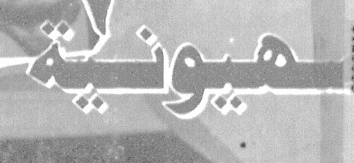
المفهوم السياسي والاجتماعي لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية

(١٩٠٠ ق.م - ١٩٩٥م)

تأليف سفير
د. حسين شريف

الجزء الثاني

الحروب التوسعية الصهيونية



٤٨ / ٥٦ / ٦٧ / ١٩٦٩م



يستعرض الكتاب فى أجزائه الأربعة حياة اليهود، الدينية والاجتماعية والسياسية، خلال ما يقرب من أربعين قرناً، منذ عهود آبائهم الأولين، مروراً بحياتهم تحت حكم السلوقيين والبابليين والرومان، وما تلا ذلك من موجات الشتات الكبرى، وكذلك ظروف حياتهم فى العصور الوسطى، وأوضاعهم منذ بداية العصر الحديث حتى ظهور الصهيونية، وما انتهى إليه نشاط زعمائها بالتواطؤ مع القوى الاستعمارية من زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى.

وهذا الكتاب ثمرة مجهودات استمرت أكثر من ٢٥ عاماً من البحث والاطلاع أثناء عملى الطو لك الدبلوماسى، وإقامتى لفتر ت طويد بالخارج - مما أتاح لى فرصة الاطلاع على العديد من المراجع التى تناولت حياة اليهود والصهيونية والعرب، ومشكلات الشرق الأوسط بالتفصيل، وقد كان محظور دخولها إلى البلاد العربية، إذ كان مجرد اقتنائها من قبل أى فرد يعد جريمة لا تغتفر.

وما كان لهذا الكتاب أن يظهر فى أى فترة سابقة، ولكن حان له أن يرى النور الآن فى ظلال الديمقراطية - فى عهد الرئيس مبارك - حيث أتيحت حرية الرأى والنشر، بما يكفل تفاعل الأفكار والآراء الذى يثرى حياتنا الفكرية والثقافية، ويسمح بعرض الرؤية الصحيحة فى كل مجال.

المفهوم السياسى والإجتماعى لليهود
عبر التاريخ
١٩٠٠ ق.م / ١٩٩٥م
الحروب التوسعية الصهيونية
١٩٤٨/١٩٥٦/١٩٦٧/١٩٦٩

الجزء الثانى

تأليف

سفير/ د. حسين شريف

تصميم الغلاف

أحمد عبد الغفار

الإخراج الفنى

صبرى عبد الواحد

محتويات الكتاب

١٤ ـ حرب الاستنزاف (٩٦٩ ـ ١٩٧٠).

١٥ ـ مساعدات الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل من عام ١٩٤٨ إلى نهاية حرب ١٩٦٧ .

١٦ ـ «جولدا مائير»

١٧ ـ نهاية زعيمين.

١ ـ مدرسة عبد الناصر .

٢ ـ مدرسة «بن جوريون» .

المراجع الأجنبية والعربية.

كلمة المؤلف

أفلحت الصهيونية فى الحرب العالمية الأولى فى استصدار وعد بلفور عام ١٩١٧ بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين، ثم لم تلبث بفضل دأبها والحاح قادتها وما حققوه من تشابك مصالحهم الصهيونية بمصالح أمريكا وبريطانيا فضلا عما بالغوا فيه من جرائم النازية ضد اليهود فى إقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ . إذ تطلعوا منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى استغلال مابدا من تعاظم القوة الأمريكية، وامتداد نفوذها ورسموا خطاهم فى إرساء علاقات وثيقة متينة بالحزبين الأمريكيين الكبيرين، وسرعان ما استبدلوا بالامبراطورية البريطانية متن الركب الأمريكى ونجمه الصاعد، فكان لهم مع ازدياد مطامعهم وبما كثفوا من ضغوطهم على أمريكا أن شكلت لجنة لاستقصاء الحقائق بريطانية أمريكية من أثنى عشر عضوا برئاسة بريطانى وأمريكى، أصدرت عام ١٩٤٦ توصيات أهمها السماح يومئذ لمائة ألف يهودى بالهجرة إلى فلسطين على ألا تتحول إلى دولة يهودية أو عربية، ومن ثم ألغى ما كان قد صدر عام ١٩٣٩ بتقسيم فلسطين مع ضغطها على بريطانيا لقبول مزيد

من اليهود حتى أعلنت دولتهم، مع اعتراف أمريكى سريع وتأييد خرج عن إطار التقسيم لتوسع اسرائيل، فكان إحتلال النقب خاصة، وذلك مع توفير الحماية لها بما بلغت من إحتلال الأرض، فصدر بذلك التصريح الثلاثى عن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا عام ١٩٥٠، وتمادت أمريكا بدعمها الاقتصادى عام ١٩٤٩ لاسرائيل ومنحها قرضا بلغ ١٣٥ مليون دولار، مع تحويل تبرعات الأمريكيين إلى إسرائيل. وذلك كله مع عجز الدول العربية وماكانت ترسف فيه من قيود الاحتلال وأوبئة الحكومات الفاسدة، فكانت الحرب العربية الفلسطينية حربا مختلة التكافؤ بادية الخسران.

ومع ما كان لثورة ١٩٥٢ بمصر من تأثير بالغ على المنطقة وما بعثت من آمال النماء والعدل وإجلاء المحتل فلم تكن بذات رؤية واضحة فى شئ، وإن وقفت مصر وكذلك إيران موقفا معارضا أدى إلى فشل نظام دفاعى مقترح يجمع بين بريطانيا وفرنسا وتركيا مع دول عربية أخرى لضمان أمن الشرق الأوسط واستقراره، وكانت مصر فى عهد عبد الناصر كانت قد أشعلت المنطقة كلها ضد المصالح الاستعمارية وتعسف إسرائيل وخاصة بعد تأميم قناة السويس، فدخلت كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى صدام بلغ ذروته عام ١٩٥٦ بالعدوان الثلاثى الفاشل الذى منى به الاستعمار بفضل الموقف الأمريكى بهزيمة سياسية واضحة إذ رأت أمريكا التى تحرص على إزاحة النفوذ البريطانى الفرنسى من الشرق الأوسط أن ماوقع منهما لم يقع بإذنها أو التنسيق معها وذلك فضلا عن الإنذار السوفيتى الشهير، ووقفه الشعب المصرى وحكومات العالم العربى.

ثم كان مبدأ أيزنهاور بما استهدف من «سد الفراغ» والاستئثار بالشرق الأوسط موطن النفط بفضل المعونات واستعراض القوة متبعا فى ذلك:

(أ) اقناع الأتحاد السوفيتى باستعداد أمريكا للحرب إذا تعرض الشرق الأوسط للغزو.

(ب) تدعيم ما تخيلت أمريكا تعرضه لتهديد عبد الناصر من حكومات معتدلة صديقة.

(جـ) اتباع وسيلة غير تقليدية لا تستند إلى معاهدات وأحلاف لحماية المنطقة.

وقد عمدت الولايات المتحدة مع ماتخيلت من سعى الأتحاد السوفيتى إلى إلتهام المنطقة إلى الضغط الاقتصادى على عبد الناصر، فتوجه من ثم نحو الكتلة الشرقية حيث ظل اعتماد إسرائيل وبعض الدول العربية على أمريكا والتحالف معها مالم يكن للنظم العربية دخل فيه من اتساق بين الأتحاد السوفيتى وأصدقائه وبين الولايات المتحدة وأصدقائها، بل دخل فى روع أمريكا أن عبد الناصر يتحداها ويتعقب نفوذها فى المنطقة ومن ثم رأت ضرب نفوذ عبد الناصر مع اطلاق يد اسرائيل، فضلا عن صرف الرأى العام الأمريكى عن «مستنقع فيتنام» الذى وقعت فيه ووضوح الانتصار السوفيتى والصينى الشيوعى بنصر سريع.

فكانت من ثم هزيمة عام ١٩٦٧ بفضل التحالف الأمريكى الإسرائيلى وأخطاء الجيوش العربية لفرض سلام أمريكى قائم على:

(أ) ارباك الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط وتدمير الجيوش التى تعتمد على أسلحتهم مع ضرب نفوذه إلى غير رجعة.

(ب) تجربة السلاح الأمريكى حيال السلاح السوفيتى.

(جـ) ضرب هيبة عبد الناصر أو إسقاطه.

(د) تمكين إسرائيل من أرض عربية تكون رهينة فى يدها لجر العرب من موقف الضعف إلى المفاوضات.

ولذلك كان تشدد الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة لعرقلة الانسحاب ١٩٦٧ على عكس موقفها عام ١٩٥٦ .

وهناك إشارة لازمة فى هذا الموضع تتصل بأفراح النصر فى اسرائيل وأحزان الشعب فى مصر، والتى أريد لها أن تتحول إلى مظاهرات صاخبة فى اتجاه عكس قلب المأتم الحزين إلى فرح صاخب انطلقت فيه الزغاريد ابتهاجا بعدول الزعيم عن تنحيه عن الحكم، واختلطت أصوات زغاريد النساء بهتافات الرجال حتى انشقت من الهتاف الحناجر، وتطايرت من التصفيق الأصابع، فرحا باستمرار الزعامة مع الهزيمة. وهكذا ازدادت الكراسى رسوخا مع النكسة. ووصل الأمر بنا أن رأينا على أجهزة الإعلام المرئية والمقروءة أجد من كانوا من ممثلى الشعب يعتلى منصة مجلس الأمة راقصا على مسرحها، بينما كانت دماء الآلاف من شهدائنا ماتزال رطبة على رمال سيناء. وتاهت التحليلات الجادة التى كان ينبغى أن تجرى فى جميع المجالات: السياسية، والعسكرية، والفكرية، والاقتصادية؛ حتى نعرف بحق أسباب ماحدث، وحتى يأخذ كل مسئ جزاءه العادل، وحتى نعرف موقفنا على حقيقته.

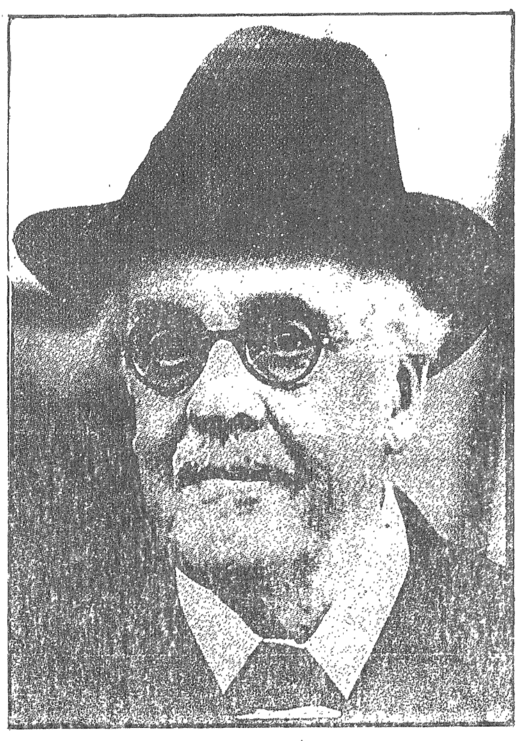
ولكن شاءت إرادة الله أن يأتى عهد آخر تمكن من أن يستخلص أرضنا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، بعد احداث تغييرات شاملة مهدت للنصر، وليصدق علينا قول الله: «إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

والله ولى التوفيق.

سفير

د. حسين شريف

الحروب التوسعية الصهيونية
نظرة عامة



بلفور صاحب التصريح المعروف بأسمه اتخذت الصهيونية من تصريحه أساساً لبناء دولة إسرائيل. «اعطى من لا يملك لمن لا يستحق»

الحروب التوسعية الصهيونية

١٩٤٨ـ١٩٥٦ـ١٩٦٧

نظرة عامة:

عن حقبة عبد الناصر وبن جوريون ١٩٤٨/ ١٩٧٠:

وصم العالم العربى بالعار، لاسيما دولة فلسطين، بعد أن انهزمت الجيوش العربية جميعا أمام المنظمات الإرهابية العسكرية اليهودية، وجحافل المتطوعين الغربيين الذين قاتلوا مع اليهود ضد العرب، وساعدوا على قيام دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى.

وقد اتسم عهد عبد الناصر منذ بداية قيام دولة إسرائيل حتى وفاته؛ بخوضه حروبا عديدة ضد إسرائيل والصهيونية، ومن ورائهما الاستعمار الانجليزى والفرنسي والولايات المتحدة التى كانت تتزعم هؤلاء، وترى الولايات المتحدة أن وجود عبد الناصر فى المنطقة العربية ـ وفى ظل المبادئ القومية التى كان ينادى بها ـ صار عقبة وئيدة فى طريق تنفيذ مخططاتها للهيمنة على المنطقة اقتصاديا، واحتواء المد الشيوعى سياسيا وعسكريا.

وكـان من الـولايات المتـحـدة ـ إزاء هـذا الوضـع ـ أن جـعلت من إسرائيل قاعدتها الأساسية لتوجيه وتنفيذ سياستها وخططها الرامية إلى ملء الفراغ الذى تركه انحسار الامبراطوريتين الاستعماريتين.

ولقـد كـان فـشل قـيـام حلف بـغـداد ـ أول مـخـططاتـهـا السيـاسيـة والعسكرية والاقتصادية ـ بمثابة الضربة القاصمة لهيبتها، وعقدت العزم منذ ذلك الحين (عام ١٩٥٤) على القضاء على عبد الناصر ـ الذى يمثل حجر عثرة فى سبيل أهدافها ـ وكانت إسرائيل هى الأداة الطيعة والمنفذة لأغراض الولايات المتحدة، وعصا التأديب لكل من تسول له نفسه أو تطلعاته من دول المنطقة إلى حذو طريق عبد الناصر.

ولم يكن التواطؤ الثلاثى عام ١٩٥٦ غير متوافق مع الأسلوب الأمريكى فى تنفيذ الأهداف المرسومة من قبلها، إلا أنه كان ـ كما استقر الرأى عليه فى الولايات المتحدة ـ تصرفا إنفراديا لإعادة الهيمنة الاستعمارية على المنطقة بالأسلوب البالى العتيق الذى مجته الشعوب العربية واستهجنته الحكومات.

وعندما تمادى عبد الناصر فى استغلال القومية العربية لتهديد الدول الرجعية. وتطاول بكافة السبل والمؤامرات للإطاحة بحكامها الذين يشكلون نظام الحراسة على المصالح الغربية، وبصفة خاصة الولايات المتحدة ـ لم تتوان الولايات المتحدة أوتتردد فى أن تعد إسرائيل لتنفيذ دورها بالوكالة وذلك بتوجيه ضربة قوية إلى القومية العربية التى فقدت سمتها الأساسية فى خضم العار والمهانة بعد حرب يونيه ١٩٦٧ .

لقد أرسى عبد الناصر قواعد خططه السياسية على كثبان من الرمـال، والتى سـرعـان مـا انهـارت وتناثرت أدراج الرياح مع أول احتكاك، ولم يعتبر ـ مع الأسف ـ من الأحداث المتتالية التى واجهته.

فقد أضعنا الوقت والفرص، وجرينا وراء سراب من الشعارات والزعامات ذات الأهواء والنزعات الشخصية، وأقمنا منظمات هشة ثم زعمنا أنها حصون منيعة.. وبدلا من جمع الشمل العربى، والعمل على وحدة الصف، أشعنا الفرقة بين الدول دون تفرقة.

وعندما وقـعت الواقـعـة، وانهـار الهـيكل والبنيـان، وبدلا من أن تحاسب الشعوب على ما بدر منها وتسبب فى الهزيمة والعار.. توسلنا إليهم وهرولنا فى مسيرات نطالب المتسبب فى الهزيمة بعدم التنحى عن الزعـامـة، وتكملة المشـوار ـ الذى لا ندرى أى مـشـوار يريدون تكملته.

ولما تـعـاطـف عـبـد الناصـر مع هؤلاء واسـتـجـاب لدعـوتـهم، وخاصة أهل الثقة، وبدأ ينفى عن نفسه مسئولية الهزيمة والكارثة التى لحقت به، وأقيمت السرادقات ورفعت الشعارات، وبدأنا نبالغ فى قدراتنا، واستهوتنا نزعات الكبرياء، وقللنا من شأن أعدائنا، وانتشرت الأغراض الدنيئة التى بدأت تضلل الأحداث الواقعة.

كـان عـبـد الناصـر برجـمـانـى المبـادئ، وطنى النزعـة، قـومى الأهداف، اعـتـمـد فـى تنفيذ سياسيته على الشعوب العربية بهدف توحيدها، وخلق قوة ثالثة تحقق التوازن بين القوتين العظمتين.. إلا أنه لبلوغه غايته وتحقيق مأربه لم يدرك سطوة ونفوذ وشكيمة القوى

المجابهة، والمصالح الأمريكية والغربية، التى تعتبر إسرائيل أداتها، وكذلك الكيانات والأنظمة الرجعية التى رأت فى دعوته المعاول التى ستهدم هياكلها.

أمام هذه التحديات، لم يحسن عبد الناصر اختيار السبل أو التوقيت المناسب، ولم يستطع استغلال الفرص التى لاحت أمامه، بل تمادى فى انفرادية اتخاذ القرار، واستعان بأهل الثقة على أهل الخبرة، فطاشت أسهمه وتكسرت نصاله بعد أن تألبت عليه كل القوى المعنية بمصالحها فى المنطقة.

وعجزت الشعوب التى كانت ترى فيه نصيرها ومخلصها من الاستبداد، عجزت عن مساندتها لأنها مكبلة بالقيود، ترزخ تحت نير الحكام المستبدين المؤيدين بقوى الاستعمار المستغلة لموارد المنطقة الحيوية.

ومات عبد الناصر، ودفنت معه القومية العربية بعد كارثة ١٩٦٧ . التى أعدت لها الولايات المتحدة وإسرائيل والقوى السائرة فى ركابهما بكل دقة ومهارة... لم تدركها ولم يعيها أهل الثقة الذين اعتمد عبد الناصر على مشورتهم، لافتقارهم إلى كل صنوف المعرفة.

وعلى الجانب الآخر، كانت إسرائيل، وكان بن جوريون، وكانت الصهيونية التى اعتمدت على التخطيط السليم، ونفذت تعليمات وتوجيهات وتوصيات أهل المعرفة، واستغلت كل الفرص المواتية لتحقيق أهدافها. بالمكر والدهاء والابتزاز والتآمر.. فالغاية عندهم

تبرر الوسيلة، وما رفضه عبد الناصر فى عام ١٩٥٤ (حلف بغداد) حققته الصهيونية فى عام ١٩٩٤ (وهو الشرق أوسطية) .. وهاهى الدول العربية فقيرها وغنيها ـ تسرع وتستجدى على استحياء؛ الصلح مع إسرائيل.

ولله الأمر والتدبير.

القسم الأول

حرب فلسطين الأولى

١٩٤٨

الفصل الأول

البلبة فى أهداف العرب وحرب ١٩٤٨

الفصل الثاني

الآثار العامة لحرب ١٩٤٨

الفصل الثالث

العار الفلسطينى

الفصل الأول

البلبلة فى أهداف العرب وحرب ١٩٤٨م

البلبلة فى أهداف العرب حرب و١٩٤٨م

تمهيد

كان العامل الدولى فى حرب ١٩٤٨ هاما وفعالا واستمرت أهمية هذا الدور خلال كافة مراحل النزاع العربى - الإسرائيلى. ورغم إننا لا نريد الاسهاب فى خلفية هذا الدور إلا أن الإشارة إليه واجبة لتفهم مجريات هذا النزاع لفترة طويلة.

والدور البريطانى مفهوم وينتهى بتسلم الولايات المتحدة لزمام الموقف فيما بعد ولذلك فإن البداية المعقولة لهذا القسم هو ايجاز الدور الأمريكى قبل حرب ١٩٤٨ ، وكان الموقف الأمريكى فى العشرينات يتبلور فى اتجاهين: أولهما التوصية التى صدرت عن الكونجرس الأمريكى عام ١٩٢٢ والتى أيدت المطلب الصهيونى بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وثانيهما تأييد الولايات المتحدة للأنتداب البريطانى على فلسطين وهو انتداب يسهل تنفيذ وعد بلفور لعام ١٩١٧ .

وعندما انتهى الوفاق بين الحلفاء وخاصة بين الاتحاد السوفيتى والغرب بدأ الرئيس الأمريكى «ترومان» ينظر إلى مشكلات الشرق

الأوسط من خلال التخوف من التهديد السوفيتى لدول منطقة الحزام الشمالى: اليونان ـ تركيا ـ وإيران، ومن هنا بدأت أقدام القوى الكبرى تجول وتصول على أرض الشرق الأوسط وخاصة مع إعلان الرئيس «ترومان» فى عام ١٩٤٧ عن مبدأه الجديد «مبدأ ترومان» لحصر واحتواء ومحاربة القوة السوفيتية.

ومن هنا، من هذا التداعى التاريخى، ازداد اهتمام الولايات المتحدة بالدولة اليهودية قبل نشأتها فوافقت على قرار التقسيم وأخذت تدعم من كيان الدولة الصهيونية الناشئة.

أولا: محاولات التسوية السلمية والحرب:

١ ـ محاولات التسوية السلمية:

عاش العرب واليهود جنبا إلى جنب فى فلسطين فى الظروف العادية، ولكن كانت هناك رغبة من بعض حكومات أخرى فى عدم ترك الشعبين وشأنهما. وقد ناقش القادة العرب فى مؤتمرهم فى «بلودان» فى يونيه ١٩٤٦ إمكانية تدخل العرب المسلح، وأيد الفكرة الملك عبد الله ورئيس وزراء العراق ومفتى القدس الحاج أمين الحسينى، وكان هدف كل منهم يختلف عن الآخر، فالملك عبد الله يطمع فى الجزء العربى من الأماكن المقدسة ليوسع مملكته، بينما كانت سوريا والعراق تريدان الجزء الشمالى من فلسطين، وأما دور المفتى فقد كان أكثر صراحة فى أن يطرد اليهود ويحكم البلاد. أما باقى الدول العربية ـ لبنان ومصر والسعودية ـ ففى الواقع كانوا يتشككون فى أمر التدخل، ففى حالة مصر كان تشككها ظاهرا من

قبل منذ مؤتمر «انشاص» الذى دعا إليه الملك فاروق كرد فعل لتقرير اللجنة البريطانية الأمريكية، وقد طرحت المملكة المصرية مسألة فلسطين على بساط البحث، لكنها ماطلت عندما أصبح اقتراح التدخل ملموسا، وكان انعكاسا صحيحا لتشكك بلاده ، ولا يزال يراوده الأمل فى تجنب نزيف الدم. وكانت هناك اتصالات مصرية مع ممثلى الصهيونية، ففى عامى ١٩٤٥و١٩٤٦ التقى «الياهو ساسون» وهو من أكبر المتخصصين فى الشئون العربية فى الوكالة اليهودية - فى القاهرة على انفراد مع رئيس الوزراء على ماهر وإسماعيل صدقى، ثم مع عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية، وفى المناقشات أكد «ساسون» لصدقى أنه فى مقابل الاعتدال المصرى فى المسألة الفلسطينية سيمارس الصهاينة نفوذهم مع حزب العمال البريطانى الصديق لخدمة الحكومة المصرية، وسيسعى لاقناع لندن بأن فلسطين كافية كقاعدة تسهيلات تغطى توقف أية انشاءات بريطانية فى مصر، ولم يهتم صدقى بالفكرة وكذلك عزام الذى استطلع امكانية تأييد الصهاينة فى وصاية مصر على ليبيا إذا لم تؤد المحادثات إلى نتيجة بعينها، فعلى الأقل أوضحت أن المصريين لا يميلون إلى خيار الحرب، وقد شوهد تطابق هذه الشكوك فى اجتماع للمسئولين العرب فى «صوفر» بلبنان فى سبتمبر ١٩٤٧ . وعندما أصبح خطر قرار الأمم المتحدة بالتقسيم جديا، اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية فى «عليا»بلبنان لمناقشة إمكانية القيام بعمل عسكرى، وفى هذه المرة لم تشارك مصر فى المناقشات، وفى ديسمبر ١٩٤٧ واجهت مصر وضعا داخليا متصاعدا ضد بريطانيا وضد الصهيونية، وتزايدت المظاهرات لدرجة أن أعلنت الحكومة

حالة الطوارئ، وعندئذ بدأ الاخوان «فتح مكاتب من جانبهم للمتطوعين للحرب فى فلسطين، وأعقب ذلك مباشرة إعلان كبار علماء الأزهر أن الجهاد - حرب مقدسة - ضد الصهاينة، وكانت الحكومة لاتزال مترددة، فقد فضل عزام باشا مثله مثل النقراشى - رئيس الوزراء - الأمتناع عن التدخل العسكرى ، وإنه من الأفضل - فى رأى عزام باشا - تدريب وتسليح الفلسطينيين العرب أنفسهم لحرب العصابات.. وكخطوة متوازنة، تقرر فى اجتماع الجامعة العربية فى القاهرة فى ديسمبر إمداد اللجنة العسكرية للجامعة بعشرة آلاف بندقية، وترتيب المرور لثلاثة آلاف متطوع عربى عبر سوريا إلى فلسطين، واعتماد مليون جنيه استرلينى تخصص للدفاع عن فلسطين، وحتى هذه الخطوة كانت كثيرة إلى حد ما بالنسبة للنقراشى، والذى استمر فى تأييد حل تفاوضى من أجل الأراضى المقدسة، وكان يفكر فى اتحاد فيدرالى فلسطينى، وهومشروع اقترحته الأقلية فى الأمم المتحدة فى تقريرها فى نوفمبر ١٩٤٧ إذا ظل الاختيار معروضا.

وفى عهد رئاسة النقراشى للحكومة - والذى لم يكن يتخذ قرارا حاسما على الصعيدين الداخلى والخارجى - وعد يهود مصر بالحماية الكاملة، ثم سمح للصحافة بحملة ضد اليهود واتهامهم بتهريب الذهب والأسلحة من مصر، وإغراق البلاد بالأوراق المالية المزيفة، وتلويث مصادر ومستودعات المياه والتآمر لتدمير نظام الصرف الصحى.

وبالتخبط والتردد بالنسبة للقضية الفلسطينية، فإن مناشدة الولايات المتحدة فى مارس ١٩٤٨ بتأجيل تنفيذ التقسيم مؤقتا، قد

هدأ من روع النقراشي وتوتره بشكل واضح، فكان هو شخصيا يرغب في قبول أي بديل عن الحرب كما أكد للسفير الأمريكي.. نعم كان من الصعب على النقراشي أن يحافظ على هذا الموقف الغامض، وأضافت كليات الأزهر وقادة مصر الفتاة والاخوان ضغوطا عليه لاتخاذ إجراء، وكان الأخيرون يبعثون بالمتطوعين والامدادات الطبية إلى فلسطين، وكان النقراشي يعلم جيدا أن الجيش غير مستعد لأن ضباطه غير أكفاء، وكان لا يصلح للمعركة سوى أربع كتائب من المشاة تقريبا، والأسوأ من ذلك الاشاعات التي كانت تدور حول ضربة مضادة من الوفد وشيكة ضد رئيس الوزراء، وربما كان النقراشي يفضل بقاء الجيش للمحافظة على أمن الحكومة، وفي أبريل كان واضحا أن تقرير العرب كان استعراضا ليس إلا، ولايكفي لتجميد التقسيم، وكان الميزان العسكري في فلسطين لصالح الصهاينة.

وزاد التشاؤم عند اعلان الملك عبد الله عن نيته فئ ارسال جحافل العرب الأردنيين إلى الأراضي المقدسة عقب انتهاء الأنتداب، وفي الحقيقة كان ذلك مفاجأة مذهلة وحرجة، والتي جعلت الحكومة المصرية تقرر تحديد وتقييد مكاسب عبد الله الأقليمية ولا تذكر هيبته في العالم العربي، ومن أجّل ذلك أصر الملك فاروق على أنه يجب تحرير فلسطين وعودتها إلى سكانها الأصليين - السكان العرب المحليين - ووافقت الجامعة العربية على الصيغة المصرية، وعلى أثر ذلك سارع رؤساء الأركان العرب إلى الأجتماع في دمشق في أواخر أبريل، وخلاصة استراتيجيتهم، سيهاجم

الجيشان السورى واللبنانى ويحتلان الجليل، وسيتحرك الجيش العراقى والقوات العربية الأخرى إلى الغرب تجاه حيفا، وفى هذه المرحلة الأولى سيكون الدور المصرى الأساسى هو تحويل السير عن الطريق المعتاد، واضعاف القوات اليهودية جنوب تل أبيب، ولكن انكشفت الخطة منذ وقت طويل قبل وضعها موضع التنفيذ، ففى الأسبوع الأول من مايو أخذ اليهود مواقع مؤثرة فى الجليل العربية والجزء الأكبر من الجليل الشرقية، وكانت خطوط مواصلاتها مع حيفا محمية جيدا، ونتيجة لهذا انهارت خطة دخول الجيشين السورى والعراقى إلى وسط شرق فلسطين، بينما كان المصريون مسئولين عن استغلال الجزء الجنوبى من البلاد، وكان منطقيا أن تنهار الخطة، فالمسافة من بغداد إلى حيفا تبلغ سبعمائة ميل، وخطوط مواصلات الجيش المصرى تمتد مائتين وخمسين ميلا عبر الصحراء بصفة رئيسية، وحتى الفيالق العربية واجهت تسعين ميلا للسفر إلى الجبهة الفلسطينية، تتضمن النزول أولا ثم تسلق أربعة آلاف قدم لعبور وادى الأردن وادراكا لهذه المخاطر، فكرت الحكومتان المصرية والسعودية فى اللحظة الأخيرة فى حل وسط (تسوية متوازنة) من خلال الوساطة الأمريكية، وقد قضى تصميم الملك عبد الله على «حل المشكلة الفلسطينية» من جانبه على المزيد من المفاوضات، وفى ١٤ مايو عين عبد الله نفسه رئيسا للأركان، وهو لقب بلا معنى لعدم الانسجام بين الجيوش العربية المختلفة.

٢ - الحرب بين العرب وإسرائيل:

(أ) جند اليهود بعد ١٥ مايو ثلاثين ألفا من «الهاجاناه» بتسليح

متواضع، وعملت الحكومة وعمل الاقتصاد بكفاءة، وكانت الميزة الوحيدة التى يملكها اليهود هى الخبرة والمهارة العسكرية، وتولى «يادين» قيادة العمليات الإسرائيلية، وله خبرة طويلة فى مهمة «الهجاناه» فى العمليات السرية، وكان بعض قواد فرقته قد حاربوا فى الجيش البريطانى؛ وقد قسم «يادين» قواته المحدودة بدقة، للدفاع عن تل أبيب والقدس والسهل الساحلى والطريق السريع لممر القدس. وحزام لمحاصرة القوات المصرية فى الجنوب.

وفى ١٦ مايو تحركت قوة مدرعة سورية جنوبا باتجاه المستوطنات اليهودية فى وادى الأردن، وكانت قد أخلت قرى عديدة منها، ولكن توقف تقدمها لوجود مدفعية يهودية غير متوقعة، وتراجعت إلى الطريق الجبلى ولم يعاودوا المحاولة، وأثبت العراقيون تأثيرهم بصعوبة، وتركزت المعركة فى شرق الأردن بالقرب من حدود فلسطين قبل ١٤ مايو، ولكن واجه العراقيون مقاومة يهودية عنيفة، لذا وضع القائد العراقى فرقة فى موقع دفاعى، فكانت أصعب مناطق الحرب فى الجنوب عبر خط المصريين لغزو ساحل البحر المتوسط، وحتى ٦ مايو كانت قيادة الجيش المصرى تشارك نفس توقعات الحكومة المصرية بأن الأمم المتحدة ستحل القضية الفلسطينية بشكل ما، وعندما صدرت الأوامر بالتحرك فعلا، أكد رئيس الوزراء النقراشى لقائد القوات المصرية بأن مجلس الأمن - ودون طلب - سيأمر بهدنة قبل أن تصبح الحرب خطيرة، وكان المصريون يتخبطون فى هدفهم حتى اللحظة الأخيرة، وكان عزام

أمين عام الجامعة العربية يتباهى فى مؤتمر صحفى بتاريخ ١٥ مايو بأن هذه الحرب ستكون حرب إبادة ومجزرة بشرية مثل مجازر المنغوليين.

وكان الجيش المصرى المهاجم ينقسم إلى قسمين: أحدهما بقيادة الأميرلاى «محمد نجيب» وكان ضابط هيئة الأركان الرئيسى الرائد «عبد الحكيم عامر»، وقاد محمد نجيب فرقة من شرقى سيناء عبر الطريق الساحلى الممتد إلى غزة وتل أبيب، أما القسم الثانى فكان تحت قيادة اللواء «عبد العزيز» والذى دخلت قواته فى ٢٠ مايو إلى بير سبع وواصلت شمالا تجاه بيت لحم، فى حين تحرك محمد نجيب بقواته بحذر بالغ إلى جهة تل أبيب، ولمواجهة هذا التهديد أمر «يادين» بنقل جزء من قواته من ممر القدس إلى الساحل، ولما كانت متعبة وتسليحها ضعيفا ـ نتيجة الخسائر الكبيرة التى منيت بها ـ فقد وصلت القوات المصرية إلى مسافة ست عشر ميلا من تل أبيب، والتى كان يصل تعداد سكانها مائتين وخمسين ألف نسمة يشكلون الركيزة الأساسية لمستوطنة اليهود فى الأراضى المقدسة، وسيعنى سقوطها نهاية دولة إسرائيل الجديدة، وفى ٢٩ مايو أمر «يادين» قواته بمحاصرة مواقع نجيب فى الليل ومهاجمتها من الخلف، وبذلك بدأ التراجع من جانب القوات المصرية وأصبح هجومها على تل أبيب محفوفا بالخطر، وأصبح الانجاز المصرى الوحيد هو السيطرة على الطرق الرئيسية للنقب، وكان هذا كافيا للنقراشى وحكومته فى المرحلة الراهنة.

وكما سبق؛ فلم يكن الملك عبد الله يخفى مطامعه فى ضم الجزء العربى من الأراضى المقدسة، وبصفة خاصة القدس

بمؤسساتها الإسلامية التاريخية المقدسة والمكرمة، وفى أواخر مايو - بعد قتال شرس - بدأت الفرق اليهودية فى طرد الجحافل العربية للخلف من الطرق المؤدية إلى شمال القدس. وفى ٢٩ مايو أغار رجال المشاة من المصريين والأردنيين على كيبوتز «رامات راشيل» الواقع على مدخل القدس الجنوبى وكانت - فى أعنف أوقات حرب فلسطين - هى المستوطنة الصغيرة التى تغيرت عليها وضع الأيادى خمس مرات فى أربعة أيام، لكنها ظلت فى النهاية فى أيدى اليهود، وسقطت القدس القديمة فى أيدى العرب، وسلم «الهاجاناه» المدافعون عنها فى ٢٨ مايو، وبضياع المدينة القديمة بمعابد اليهود التاريخية كانت الضربة المؤلمة لرجال الدين اليهود، لكنه كان ذا قيمة وأهمية عسكرية صغيرة.

(ب) وأخيرا فى ١١ يونية ظفر مجلس الأمن باتفاقية من العرب والإسرائيليين على هدنة لمدة شهر واحد وكان كلا الجانبين مرهقا، ومن الناحية الاستراتيجية يجنى العرب أقل المزايا، فى حين يتوقع اليهود وصول الأفراد والمؤن من الخارج، مما سيقويهم دون شك فى نهاية الهدنة، وكانت هناك أولوية عاجلة للعرب وهى توحيد قواتهم مباشرة، إذ عندما أعطى العراقيون قيادة قواتهم للواء «المواوى» قائد القوات المصرية عارض الملك عبد الله ذلك، وفقد الملك الهاشمى مصلحته واهتمامه باستمرار الحرب، وفى الحقيقة عندما بدأت الهدنة كان المصريون والإسرائيليون فى الجبهة الجنوبية يجرون إتصالات ويلتقون فى المناسبات، وبالفعل لم يكن قرار استمرار الحرب من المصريين، ولا من قيادات الجيوش العربية، لكنه كان من قياداتهم السياسية، وزاد العرب قواتهم فى

الأسبوع الأول من يوليو فى فلسطين من اثنين وثلاثين ألفا إلى خمسة وأربعين ألفا من الأفراد، وعلى الجانب الآخر كان اليهود مستمرين فى زيادة قواتهم، ولو أن النقب كانت بشكل كبير فى أيدى المصريين، وكان العراقيون على بعد أحد عشر ميلا من البحر المتوسط، والطريق الرئيسى الضيق من الساحل إلى القدس ظل فى خطر عظيم، وخلال وقف اطلاق النار كانت المواد الغذائية والأدوية تصل إلى المدينة المقدسة، وازدادت التعبئة بشكل محزن وبوصول المهاجرين الجدد من المتطوعين العسكريين اليهود من الخارج، وصل عدد اليهود إلى ستين ألف رجل فى منتصف يوليو، ووصلت آلاف الأطنان من المعدات الحربية، معظمها من تشيكوسلوفاكيا الشيوعية التى تتبع خط موسكو فى تأييد إسرائيل ضد الرجعية العربية والوجود البريطانى الأمبريالى فى الشرق الأوسط.

(جـ) وفى ٨ يوليو وقبل انتهاء الهدنة، هاجم نجيب من جديد النقب، ونجح اليهود فى استعادة احتلال الركن الشمالى الشرقى من النقب، مما أقنع «يادين» بأن المصريين لم يعودوا بعد يشكلون أى تهديد، لكن وجود ألفين من العرب فى الجليل الأدنى كان خطرا حقيقيا كبيرا، لكن وفى أسبوع طهر اليهود المجتمعات العربية المجاورة، وفى عملية قادها الأميرلاى «موشى ديان» تمكن اليهود من السيطرة على منطقة اللد - الرملة وبالتالى توسيع عنق ممر القدس وعند رحيل البريطانيين، وبتصاعد أعمال العنف الفدائية، هرب حوالى مائة وخمسة وسبعين ألفا من العرب من البلاد، وبعد ١٥ مايو حول هجوم الجيوش

العربية المنظم للأراضى المقدسة إلى ساحة للقتال، وفر أهالى فلسطين العرب بأعداد أكبر خوفا على أنفسهم من قذائف النار، وبانتهاء الحرب فى يناير ١٩٤٩ كان قد رحل حوالى ستمائة وخمسين ألف فرد تقريبا وأكثر من ثلثى كل السكان العرب فى البلاد. ولم يكن كل الذين غادروا ديارهم غادروا فلسطين نفسها، بل حوالى مائتين وأربعين ألف من الأفراد عبروا إلى الجزء الشرقى المحتل، وحوالى ستين ألفا آخرين عبروا نهر الأردن إلى المملكة الهاشمية، بالإضافة إلى مائة وثمانين ألف فروا تجاه غزة داخل الأراضى الفلسطينية على طرف شبه جزيرة سيناء، والباقى وجد ملاذا فى الدول العربية المجاورة، وفى البداية ساعد رحيل العرب أمن وأهداف إسرائيل الاقتصادية وتقليل التهديد من قبل الطابور الخامس، وإتاحة المساكن والأراضى الزراعية للمهاجرين اليهود الجدد.. وبمرور السنين عاش اللاجئون حياة منعزلة خاملة فى الخيام.

(د) بدأ الكونت «برنادوت» مبعوث مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المعين للتوسط بشأن فلسطين يتفاوض على وقف إطلاق النار للمرة الثانية فى ١٨ يوليه، وعلى عكس الهدنة السابقة فى يونيو، فإن وقف إطلاق النار الجديد كان سيبقى دون تحديد زمن، وفى تقريره إلى مجلس الأمن فى ٢٦ سبتمبر أعطى من جانبه مخططا تفصيليا للسلام فى الأراضى المقدسة، بمقتضاها توضع صحراء النقب تحت حكم اليهود والتى خصصها قرار الأمم المتحدة بالتقسيم للعرب، وتعويض العرب بالجليل الأدنى الذى كان مخصصا لإسرائيل، وتدويل مدينة القدس المقسمة

حاليا بين الأردن وإسرائيل، وقد عارض كلا الجانبين التقرير، وبعد يوم اغتال ارهابيون يهود الكونت «برنادوت» فى القدس، وقد كان واضحا لرئيس الوزراء «بن جوريون» أن مخطط الأمم المتحدة بالنسبة للنقب والقدس يشكل ضغطا على اليهود، وأنه يجب تقوية وضع إسرائيل فى المساومة بواقع عسكرى جديد وحاسم، واتفق مع «يادين» على أن الأولوية لهجوم على نطاق شامل فى النقب.

وكان المصريون يسيطرون فى منطقة الصحراء الجنوبية على ثلاثة قطاعات طويلة، الأول: هو المنطقة الساحلية من رفح إلى غزة، والثانى: شريط داخلى يمتد من العوجة شمالا عبر بير سبع إلى بيت لحم، والثالث: شريط كان يربط بينهما يخترق البلاد عبر طريق يمتد من المجدل عبر الفالوجا إلى بيت جوبرين.

ورغم أن المصريين عززوا قواتهم بخمسة عشر ألف مقاتل، فإن إسرائيل قد تلقت فى نفس الفترة سيلا من الامدادات من المهجر. وفى الإعداد لهجوم جديد نقلت إسرائيل - جوا - فرقة من الرجال والمواد لمطار جوى فى شمال النقب. وتحت جنح الظلام تسللت القوات خلف خطوط المصريين، وفى أوائل أكتوبر تحركت فرقتان اضافيتان نحو الجنوب حتى بلغ عدد القوات المتمركزة على الجبهة الجنوبية إلى ثلاثين ألف، وبدأ الهجوم فى ١٤ أكتوبر، وضربت الطائرات الإسرائيلية قواعد وخطوط الامدادات فى سيناء،

وفى نفس الوقت تسللت القوات السرية من فرقة النقب على الطريق الساحلى إلى «ميت حانون» وأن دور «يادين» الحقيقى هو

خط طرق «الفالوجا»، وفى ١٥ أكتوبر شنت قوات المشاه الإسرائيلية هجوما شاملا، وكانت معركة وحشية والخسائر فادحة من كلا الجانبين، لكن اليهود انتصروا فى النهاية، ثم توالى استيلاء الإسرائيليين على المواقع المصرية الأخرى عند النقب العليا، وأصبح تمركز المصريين فى فلسطين بحوالى ثلاثين ألف رجل، واجهوا احتمال الحصار قرب «الفالوجا»، وعندئذ أرسل «ايجال آلون» قائد القوات الإسرائيلية على الجبهة الجنوبية ثلاث فرق تجاه بير سبع عاصمة النقب، وتم تصيد الحامية المصرية والتى سلمت بعد مقاومة قصيرة، وفى الأسبوع الأخير من أكتوبر، وبعد أن بدأ تطبيق قرار الهدنة الثالث الصادر عن الأمم المتحدة تدريجيا على الصحراء، بدأ المصريون اجلاء وحداتهم من غرب النقب. ومنوا بخسائر فادحة، وأخيرا حوصوت الفرقة الرابعة وقوامها ثلاثة آلاف رجل - فى منخفض شمال غربى الفالوجا وشلت حركتها، وتجاهل الطرفان الهدنة فى المنطقة المعزولة، وقاومت الفرقة الرابعة تحت قيادة عقيد سودانى «طه بك» الحصار الإسرائيلى المطبق، وجرى لقاء بين آلون وطه بك فى كيبوتز شرق الفالوجا، ولكن أصر طه بك على إنه سيحارب حتى آخر طلقة وآخر رجل لديه، وبعد مناقشات اتفقا على إقامة أتصال بين الميجور كوهين مساعد آلون والميجور جمال عبد الناصر مساعد طه بك وكان ناصر غاضبا على البريطانيين متهما أياهم بتدبير هذه الحرب وأنها خدعة لصرف انتباه المصريين عن احتلال بلادهم، كما كان الحلفاء العرب هدف حنق عبد الناصر وبصفة خاصة الملك عبد الله الذى لم يبد أدنى رغبة فى مساعدة المصريين أثناء الحصار، وأعلن ناصر أن الحاكم الهاشمى سيدفع

يوما ما ثمن «خيانته»، وكان تعبير الميجور الشاب يعكس الشك بين حكومته وشرق الأردن، والتصميم على تجميد ضم الهاشميين لفلسطين العربية، وأثار النقراشي وحكومته «حقوق الشعب الفلسطيني» وحكومة شبه مستقلة للأراضي المقدسة»، وفي سبتمبر ١٩٤٨ رتبت الحكومة المصرية «حكومة عموم فلسطين» ومقرها غزة، وفي أول اكتوبر تبنت مصر وتكفلت برعاية «المجلس الوطني الفلسطيني» واجتمع في غزة وانتخب الحاج «أمين الحسيني» مفتي القدس رئيسا له. وخلال أسبوعين حظى هذا النظام الصوري باعتراض رسمي من سوريا ولبنان والعراق. ولم يقف عبد الله ساكنا، فقد نظم مؤتمرا من الوفود الفلسطينية وتبرأ من نظام غزة. وأخيرا وفي أول ديسمبر فقد قبل عبد الله طلب المؤتمر الثاني لتوحيد فلسطين وشرق الأردن فيما يسمى «المملكة الأردنية الهاشمية العربية» . وجاء دور القاهرة الغاضب، واستنكر كبار علماء الأزهر المخطط الهاشمي واتهامه بالتدخل للقضاء على الوحدة العربية، وفي الوقت الذي كشف كل من المصريين والأردنيين الآخر، كان اليهود يعدون لتصفية الوجود المصري في الأراضي الإسرائيلية، وكانت وحداتهم البالغ عددها مائة ألف جندي مستعدة وكذلك معداتهم بما فيها المدفعية الثقيلة والمدرعات، وكانت القوات المصرية موزعة على الحدود مع إسرائيل في شعبتين: القوة الشمالية مكونة من لواءين بجانب رفح وغزة تؤيدها قاعدة سيناء الكبيرة في العريش، والشعبة الجنوبية المكونة من لواءين تمتد من العوجة إلى بير عصلوج ولأعلى تجاه بير سبع، هذا بالإضافة إلى اللواء الرابع المحاصر في الفالوجا. وكان المصريون يتوقعون الهجوم ضد خطهم

الشمالى الفاصل الذى يهدد المنطقة الساحلية كثيفة السكان، ولكن «يادين» فاجأهم وأخذ المبادأة بالاندفاع جنوبا تجاه العوجة، وبدأ الهجوم فى مساء يوم ٢٢ ديسمبر، إذ أرسل «آلون» وحدة مدرعة تجاه غزة ووحدة مشاة فى اتجاه الطريق الرئيسى بين بير عصلوج والعوجة، وبعد قتال استسلمت الحامية، وواصل الإسرائيليون تقدمهم حتى «أبوعجيلة» وهى داخل أراضى سيناء المصرية بعشرة أميال، ومن هناك مارسوا ضغطا تجاه ساحل البحر المتوسط فى اتجاه العريش ذاتها.

وكانت الحكومة المصرية تواجه صدى الأحداث فى الداخل، فقد كان فاروق يريد بدخول حرب فلسطين صرف الانتباه عن الاضطرابات الاقتصادية، وللتفوق على خصومه - حزب الوفد - وقد شغلت أنباء الانتصارات الحقيقية والخيالية الصحافة، ثم أصبح فشل الجيش فى حرب فاسطين معروفا، كما انتشرت الكوليرا بين الطبقات الدنيا والوسطى، وبتحريض الاخوان عمت المظاهرات شوارع القاهرة والاسكندرية، ورفعت الشعارات الوطنية ضد المصالح اليهودية وضد حكومة النقراشى، واعتقد بعض المراقبين السياسيين أن مصر على حافة حرب أهلية، واعتبر النقراشى الأخوان خارجون على القانون وقرر مطاردتهم، وقبل أن ينفذ قراره اغتاله أحد الاخوان فى ٢٨ ديسمبر.

٣ - هدنه رودس وردود الفعل العربية المباشرة:

أصدر مجلس الأمن - الذى ظل يأمر بوقف إطلاق النار وهدنة فى فلسطين لمدة نصف عام - بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ نداء بهدنة

دائمـة، وقـبل المصـريون والدول الـعـربيـة، لكن لم يقـبلوا التـفـاوض المباشر مع إسرائيل.

وقد بدأت المحادثات عن طريق وسيط الأمم المتحدة بين مـصر وإسرائيل فى جزيرة «رودس» فى يناير ١٩٤٩، وكان الوسيط دكتور «رالف بـانش» وهو أمـريكى زنجى - يقـوم بدور «برنادوت» وحـتى اغـتـيـال الأخـيـر، مـضطرا لإجـراء مـحـادثاته مع كل وفـد على انفراد،وبـاصراره اجـتمع المصـريون والإسرائيليون معا فى جناحـه بالفندق وكـان المصـريون يصـرون على توجيـه مـلاحظاتهم إلى الوسيط. كمـا لو كان اليـهـود غـيـر مـوجودين، ولم يدم هذا الوضع طويلا، وسرعان ما بدأت المجموعتان تتناقشان مباشرة.

وكـخطوة أولى، اتخذت اتفاقيـة الـهـدنة على أساس اسـتـمـرار الخطوط العـسكرية، وتبـقى النقب فى أيدى إسرائيل باسـتثناء سـاحل قطاع غـزة الذى تحـتله القـوات المصـرية، وتبـقى مـدينة العـوجـة ومـاجـاورها منزوعـة السلاح تحت إشراف الأمم المتـحدة. وكـان هذا الاسـتـثناء يمثل حـفظا لماء الوجـه للحكومـة المصـرية التى يمكنهـا الادعاء بأنها استمرت فى ممارسة نفوذها فى جزء من فلسطين على الأقل مثلما قبل الهاشميون، وكـان كل جانب قد افترض أن الـهـدنة العسكرية ستحل مـحلـهـا مـعاهـدة سلام دائمـة فى المستقبل القريب، وفى الحـقيقـة، ولحسن الطالـع، فإن الوثيقة نفسهـا تبدأ «أخـذاً فى الاعتبار المساعدة على عودة سلام دائم فى فلسطين».. فإن المبادي التـاليـة.. قد تأكـدت. وقـد وقـعت المـعاهـدة بين مـصـر وإسرائيل أخيرا فى ٢٤ فبراير ١٦٤٩ فى حفل سادة الود المشترك.

وحينما تتفاوض مصر - أكبر قوة عربية - مع إسرائيل فإن الأمر سيكون أكثر سهولة مع الآخرين ليتبعوها، وكان العراق هو الدولة العربية الوحيدة الذى لا يرغب فى توقيع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل مباشرة.

وقد منحت الاتفاقيات لدولة اليهود ثمانية آلاف ميل مربع تقريبا من فلسطين، بزيادة واحد وعشرين فى المائة عما خصصته الأمم المتحدة فى قرار التقسيم، وقد افترض أن الحدود مؤقتة، وأنها ستتعدل فى مفاوضات السلام النهائية، فإذا لم يكن فإن الاتفاقات ستمثل قنبلة موقوتة.. فحدود إسرائيل مع الأردن مثلا - تفصل كثيرا من المزارعين العرب عن أراضيهم، مما سيصبح على المدى الطويل مصدرا مزمنا لحوادث التسلل والعنف على الحدود بين الدولتين. وفى اتفاقية الهدنة مع سوريا كانت تهدف إلى إعادة الحياة المدنية العادية فى المنطقة منزوعة السلاح تدريجيا، وأعترض السوريون. بل وكان جنودها يطلقون النار على المزارعين فى أرض الجولان. وحتى فى قطاع غزة حيث تحتفظ مصر بقوات داخل الأراضى الفلسطينية، وأصبحت مشكلة الحدود بؤرة الحرب. وتهديد قد يجر مصر إلى المواجهة مع إسرائيل. وكان قسما من الاتفاقيات مع سوريا والأردن ولبنان لم تتضمنه الاتفاقية مع مصر.

وكان هدف الحكومة المصرية أن تشجع نشاط الفدائيين ضد إسرائيل وأن تعطى لنفسها الحق فى حرمان إسرائيل من استخدام «مضيق تيران» وكانت هذه قنبلة موقوتة أخرى، ولو أن هذه الأخطار مستبعدة الوقوع فى عام ١٩٤٩ وحتى توقيع اتفاقيات

الهدنة النهائية فى صيف نفس العام. وقد عينت الأمم المتحدة «لجنة التوفيق الفلسطينية»، طبقا لنصوص قرار الجمعية العامة فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨، وبذا بدأت اللجنة تعتمد على مهام الوسطاء أكثر، وأعلنت عن عزمها على ترتيب تسوية نهائية لكل الموضوعات القائمة بين العرب وإسرائيل، وبدا هذا الاعلان الواقعى أمرا كافيا ومليئا بالأمل فى تعويض اليهود عما عانوه أخيرا فى نضالهم من أجل الاستقلال من أعداد القتلى (ستة آلاف) وجرحى (خمسة أمثال القتلى) وهذه أعداد غير قليلة بالنسبة لبلد تعداده ستمائة ألف، وعن خسائر التدمير فى المنشئات والأقتصاد. وبالرغم من تلك الجراح، فإن دولة إسرائيل الصغيرة قد بقيت على الأقل صامدة بعد محنة المعاناة.

الفصل الثانى

الأثار العامة لحرب ١٩٤٨

الآثار العامة لحرب ١٩٤٨

١ - سوء التقدير العربى:

لقد كانت حرب فلسطين الأولى أول مسمار فى نعش النظام الملكى فى مصر، بل وتعدته إلى دول عربية أخرى فيما بعد. فقد أطاحت ببعض حكومات وأغتيل رؤساء وزراء كالنقراشى وأحمد ماهر. وكانت الشرارة الأولى لأحداث تاريخية، مثل قيام الثورة فى مصر فى ٣٢ يوليه عام ١٩٥٢ والإطاحة بالملك فاروق. نعم كانت هناك أسباب عديدة طافية على السطح ساعدت على ذلك فى ذاك الوقت مثل انتخابات نادى الضباط وحريق القاهرة والإقطاع وفساد القصر والأحزاب والقواعد البريطانية فى مصر، ثم كانت الأسلحة الفاسدة وحصار قوات الجيش المصرى فى الفالوجا وغيرها مما بعث على التذمر فى القوات المسلحة، وساعد على نجاح الثورة إستغلال كراهية الانجليز للقصر فى الأيام الأخيرة - حادث اقتحام الدبابات البريطانية للقصر فى ٤ فبراير لفرض حكومة النحاس على الملك، مما يحمل عدم تدخل القوات البريطانية الموجودة فى مصر من

التدخل خاصة بعد تعهد قيادة الثورة بسلامة الملك وتنصيب طفله وليا للعهد مرحلياً.

وكما ورد فى القسم الأول من هذه المذكرات، فإن أطماع الملك عبد الله ملك الأردن الشخصية فى ضم الجزء العربى من فلسطين إلى مملكته ـ وكان هذا مرحلياً ـ لأن طموحاته كانت حلم «الهلال الخصيب» قادت ـ مع عوامل أخرى ـ إلى حرب فلسطين الأولى.

ولقد كان سوء تقدير العرب لمواقفهم، واسلوب العنترية الجوفاء والتى كانت غالباً للإستهلاك المحلى «غير المسئول» سبباً فى المزيد من الخسائر فى الأراضى والأرواح والثروات، بل وفى استعداء الرأى العام العالمى بصفة عامة والغربى بصفة خاصة للعرب، لأن إسرائيل على النقيض كانت تظهر نفسها كالحمل الوديع بين جيرانها العرب الوحوش، وساعد على ذلك تصريحات العرب أنفسهم بأنهم سيلقون بها فى البحر وإزالتها من خريطة العالم.. الخ مع فشل الإعلام العربى فى الخارج بالمقارنة بالإعلام الاسرائيلى وأبواقه المتعددة فى كل مجال.

٢ ـ وجهة نظر إسرائيلية:

لم يكن ثمة دليل على إحتمال الوصول لحل إيجابى فى العقدين الأولين لوجود إسرائيل حيث استمرت الحكومات العربية فى اعتبار ظهور إسرائيل ككارثة مؤقتة ستنتهى بعد حين قصر أم طال، رغم أن إتفاقية الهدنة العامة التى وقعت فى سنة ١٩٤٩ مع مصر والأردن وسوريا ولبنان نصت على أن جميع موقيعها سينهون الحرب ويحترمون خطوط الهدنة لحين إستبدالها بحدود دائمة

بطريقة سلمية. كانت هذه الاتفاقات تعتبر حلولاً واقعية تتبلور أولاً ثم تصير سلماً رسمياً. ولكن جددت الحكومات العربية بعد صدمة هزيمتها سنة ١٩٤٨ محاولاتها لازالة اسرائيل، ولا يوجد أى نظير لهذا العداء الصريح ذي الجوانب المتعددة، في التاريخ الدولى الحديث. نظمت الحكومات العربية على مستوى عالمى مقاطعة اقتصادية بقصد حرمان إسرائيل من الوصول إلى الأسواق العالمية، وتحدت سيادة إسرائيل كدولة مستقلة فى السياسة الدولية، وحرموها من حقها فى تجفيف المستنقعات أو استعمال نهر الأردن الذى يجرى فى أرضها مسافة ٦٥ ميلا، وسعت لاغراء الحكومات الأخرى لعدم إقامة علاقات مع إسرائيل، وعارضت عضويتها فى المحافل الدولية، واكدت حق اللاجئين فى «العودة» إلى إسرائيل بصرف النظر عن رغبة إسرائيل أو أمنها، وحاولت منع إسرائيل من الحصول على السلاح، وأبقت على الدوام موقفا دعائيا للاعتداء اللفظى والقدح فى الكتابة والكاريكاتير صورت إسرائيل على أنها وحش ذو أنف كالسنارة، لايستحق إلا الإبادة، ولم تترك أى صورة أو عبارة أو هدف فى القاموس النازى الا واستعملت فى الدعاية العربية الموجهة من القاهرة فى الحرب السياسية ضد إسرائيل، بروتوكولات حكماء صهيون المتعفنة.. اعتبرها ناصر شيئاً رسمياً. وتردد قتل النازيين لستة ملايين يهودى بين التكذيب والاجلال، وبزغت المعارضة السياسية لإسرائيل كفكرة ضد يهودية واضحة، وتعرضت المجتمعات اليهودية فى الدول العربية للمحاكمة أو للطرد، وشاع السفه فى الكتابات القومية العربية أكثر من ضد السامية اليهودية. وعرض بقاء إسرائيل بذاته فى الكتابة والسياسية العربية كعار لا يمحوه الا زوالها.

كانت هناك أوقات بدا فيها ممكنا أن يبقى هذا الكره العنيف، كافيا دون أن يتحول إلى حرب عامة، وكانت اسرائيل تفضل أن تزدهر فى جو من السلام مع جيرانها، ولكنها أيضاً كانت قادرة على الأزدهار بدونه، فاستمرت فى عملها خلف الدرع المتين من الدفاع العسكرى وبعين يقظة ترقب الجدود المعادية وأحياناً بدت، تهديدات العرب بتحطيم إسرائيل عادة أو استعراضا لغوياً عن أن تكون فعلية، ولكن انفجر العداء فى مناسبتين إلى مواجهة عامة.

٣ - الآثار الاقتصادية:

بعد أن خسرت الدول العربية المعركة العسكرية فى فلسطين فى عام ١٩٤٨، وجهت هذه الدول جهدها إلى الحرب الاقتصادية ذلك فى سلاح فعال هو سلاح المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل وأمتدت هذه المقاطعة لتشمل الشركات والهيئات التى تتعامل مع اسرائيل.

وقد تضمنت المقاطعة - والحرب الاقتصادية - منع سفن إسرائيل وبضاعتها من المرور فى قناة السويس وفى خليج العقبة وبالنسبة لقناة السويس استندت مصر إلى أحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨م.

وقد استندت مصر - والدول العربية - إلى عدد من المبادئ أبرزها أن إتفاقية الهدنة لم تنه الا المرحلة العسكرية من الحرب.

٤ - الأثار الاجتماعية للحرب: -

تعتبر مشكلة اللاجئين أهم المشاكل التى ترتبت على حرب ١٩٤٨ وأصبحت مصدراً مستمراً للنزاع وعقبة فى سبيل تحقيق تسوية عادلة.

وقد تضخمت مشكلة اللاجئين عدديا بوسيلتين رئيسيتين هما: هروب السكان الفلسطينيين من الأماكن التى احتلها اليهود، وخطة إسرائيل الإرهابية فى تقتيل العرب بشكل عشوائى وبدون تمييز بين محارب أو مسالم بهدف زيادة عدد الهاربين والمغادريين.

وقد أصبحت قضية اللاجئين مثار خلاف شديد بين وجهتى النظر العربية والإسرائيلية حيث ترى إسرائيل حل المشكلة على أساس الأمر الواقع ويتمسك العرب بقرارات الأمم المتحدة التى تدعو إلى عودة اللاجئين إلى ديارهم.

ويضاف إلى ذلك من الأثار الاجتماعية ماكشفته الهزيمة من أمراض اجتماعية ومن ذلك قضية الأسلحة الفاسدة فى مصر وقضايا المتاجرة بأقوات وأقدار الشعوب ابان المعركة فى دول عربية أخرى.

٥ ـ بعض الأثار السياسية :

(أ) حرصت مصر على تأكيد أن مباحثات رودس هى ذات طابع عسكرى لاتفسر أعمالها بأنها اعتراف ولو ضمنى باسرائيل.

(ب) أهدر قرارالتقسيم فظهرت الدولة اليهودية فقط ـ إسرائيل ـ ولم تظهر الدولة العربية المقابلة وقسم ماتبقى من أراضيها بين إسرائيل ومصر والأردن طبقا لاتفاقيات الهدنة.

(جـ) وكان عقد اتفاقيات الهدنة بين الدول العربية وإسرائيل بمثابة انفراج سياسى لإسرائيل مكنتها من إقامة علاقات دبلوماسية مع كثير من الدول التى كانت مترددة من قبل.

(د) ولمواجهة الأتحاد السوفيتى - وبشكل واضح لمساعدة اسرائيل - صدر عن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى ٢٥ / ٥ / ١٩٥٠ ،التصريح الثلاثى، الذى التزمت خلاله الدول الثلاث بالحد من كميات الأسلحة التى ترسل إلى الدول العربية وإسرائيل. وضمنت هذه الدول حدود الهدنة فى مواجهة أية محاولة لتغييرها.

الفصل الثالث

العار الفلسطينى

العار الفلسطينى:

لقد قضت حرب فلسطين على الملكية وعدد من الحكومات فى مصر، وبالرغم من اجراءات الأعتقال والسجن وغيرها، إلا أن أخبار الهزيمة قد تسربت، وكان قد أوقف العمل بالدستور فى بداية غزو فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وأعلن قانون الطوارئ، لكن كل هذه الاجراءات أثبتت عدم جداوها. هذا بالنسبة لمصر، أما اليهود فيمكن توجيه اللوم إليهم على كل سوء حظ، لقد حذر د. حسين باشا هيكل الذى رأس وفد مصر للجمعية العامة فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ عندما كانت الأمم المتحدة مازالت تناقش التقسيم، من أن حياة مليون يهودى فى الدول الإسلامية ستتعرض للهلاك بالتقسيم، وإذا نزف الدم العربى فى فلسطين فحتما سينزف دم اليهود فى أماكن أخرى فى العالم رغم الجهود المخلصة للحكومات المعنية، لمنع الثأر والأنتقام. وعندما دخلت مصر حرب فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ تم اغتقال مئات اليهود المصريين، وأممت ممتلكات مايزيد على ألف يهودى. وكان الاخوان قد لعبوا دورا رئيسياً فى الحملة الشرسة ضد اليهود، إلا أن مسئوليتهم عن أغتيال رئيس الوزراء «أحمد ماهر»

ووضوح خروج الإرهاب عن السيطرة، جاء إبراهيم عبد الهادى رئيسا للوزراء، وأطلق - بتأييد من القصر وغالبية البرلمان - سراح المسجونين اليهود من المشتبه فيهم، وملأ السجون بأعضاء الأخوان، كما قتل قائد الأخوان «حسن البنا» بطريقة غامضة فى فبراير ١٩٤٩، وبذا تم علاج الإرهاب بالإرهاب.

ولفترة ظهرت ظروف اليهود المصريين ميسرة، ففى يوليو ١٩٤٩ أفرجت الحكومة عن جزء من أرصدة اليهود المجمدة، وسمح لغير المسلمين بمغادرة البلاد، وعلى هذا غادر ثلاثون ألف يهودى مصرى (مابين عامى ١٩٤٩و١٩٥١) وباعوا ديارهم وأنهوا أعمالهم وحولوا أموالهم إلى البنوك الأوربية، وغادروا إلى فرنسا وإيطاليا، وتوجه ثلث هؤلاء إلى إسرائيل، وقد تبقى ثلاثة أخماس المجتمع اليهودى المصرى على اعتبار أن الأمن والاستقرار قد تحققا فى النهاية.

وكان الكثير من المثقفين فى مصر يستحيل عليهم قبول عار الهزيمة على أيدى عصابات الصهاينة. وقد طالب سلامة موسى الكاتب فى صحيفة الوفد «صوت الأمة» بـ «نهاية للحرب الباردة بين إسرائيل والدول العربية» وحث كلا الطرفين على «إنهاء الحرب بطريقة مشرفة»، وكانت هذه قناعة حافظ رمضان زعيم الحزب الوطنى بأن بريطانيا تزيد لهيب الصراع العربى - الإسرائيلى للحفاظ على قوتها الذاتية فى المنطقة، ونفس الإتهام كرره فكرى أباظة المحرر بمجلة «المصور» الأسبوعية واسعة الانتشار. وكانت الصهيونية توصف كفيروس يثير الكراهيات، وعادوا إلى الوراء

«بروتوكولات حكماء صهيون»، وقد عرف عباس محمد العقاد فى أحد مقالاته فى سلسلة «اخترنا لك» «الصهيونية» كـ «خاصية بغيضة» التى غرست فى العصور القديمة جذورا بين العبريين، وحلت بهم المقت والاحتقار أينما عاشوا أو جاءوا.

وكان رد الفعل الفلسطينى هو الاتجاه إلى ابتزاز الشرف العربى وإرجاع الهزيمة إلى البريطانيين «الأعداء يعرفون كل شئ عن الأسلحة» و «القوى الاستعمارية أمدت اليهود بالمعلومات»، والاتهامات نادرا ماتتغير.

وفى يوليو ١٩٤٨ قال عزام باشا علنا أن «إنجلترا وأمريكا تتابع كل جهود العرب للحصول على السلاح وتعرقلها، فى الوقت الذى تعملان فيه بكل عزم على تأمين سيل المواد الحربية والأفراد لليهود بحرا وجوا وفى كل اتجاه».

وأصر جمال عبد الناصر لـ «اخترنا لك» عام ١٩٥٥ أن الجيش المصرى لم يحارب عام ٤٨، وأضاف أنور السادات فى «ثورة على النيل» أن الانتداب البريطانى لم يسمح للسكان العرب بحمل السلاح.. أن خلق دولة إسرائيل كان حركة استراتيجية من الغرب، قصد بها إضعاف العالم العربى. ويعتبر السادات أن كلا من بريطانيا والولايات المتحدة ستتكفل برعاية إسرائيل فى الشرق الأوسط كمركز خارجى يمكن من خلالها للقوى الغربية أن تراقب الاتحاد السوفيتى.

لوزان وبعد وصول الهدنة إلى طريق مسدود:

فى ديسمبر ١٩٤٨ كلفت اللجنة الاستشارية الفلسطينية المعينة من الجمعية العامة للأمم المتحدة بثلاثة واجبات هامة هى:

- إيجاد تسوية بين إسرائيل وأعدائها العرب.

- تسوية مشكلةاللاجئين الفلسطينيين.

- ترتيب نظام حكم دولى دائم فى القدس.

ووفقا لتطور الأمور فشلت اللجنة فى تحقيق أى من هذه الأدوار، بل وقضت على فرص السلام التى كانت قائمة، فقد كان من المفيد - مثلا - أن يجرى الإسرائيليون وممثلو الدول العربية فرادى مفاوضات مباشرة على غرار صيغة رودس، وبدلا من ذلك فإن أعضاء اللجنة الثلاثة - وهم من تركيا وفرنسا والولايات المتحدة - قد قضوا ثلاثة شهور فى جولة لبلدان الشرق الأوسط دون التوصل إلى أرضية صالحة دائمة لمناقشاتهم. وذات مرة وقعت اللجنة فى خطأ كبير بأن سمحت لمختلف الممثلين العرب أن يشاركوا فى المناقشات ككتلة وليس على انفراد. ونتيجة لذلك لم يجرؤ أى من العرب على أخذ المبادرة بالأعتدال، وخلال الفرص النادرة التى بذلت فيها الجهود لجمع الطرفين سويا، تنصل العرب من صيغة مفاوضات ردوس، ورفضوا الجلوس فى حجرة واحدة مع اليهود، وكان هناك الكثير من الاختلافات الجوهرية التى كان يمكن حلها بدون تعقيدات إجرائية، واعتبرت اللجنة أن من واجبها إيجاد نظام ثقة دائم فى القدس طبقا لقرار الأمم المتحدة بالتقسيم، وقبل أن تنتهى حرب فلسطين، احتلت جحافل الملك عبد الله القدس القديمة، بينما ظلت غالبية القدس الجديدة فى أيدى اليهود. وفى أول مارس ١٩٤٩ وقع الهاشميون والإسرائيليون اتفاقية تعترف بالتقسيم فى المدينة المقدسة كأمر واقع، بينما ذعرت الحكومات العربية الأخرى

من قبول وجود اليهود فى ثالث مدينة مقدسة للمسلمين، وردا على ذلك أبلغت الأمم المتحدة رغبتها فى قبول تدويل القدس، وعلى هذا وفى ٩ ديسمبر ١٩٤٩ . صوتت الجمعية العامة بالأغلبية على تحويل القدس كلها إلى كيان منفصل. وكان رد الفعل على التصويت سريعا وقاطعا، ففى أول يناير ١٩٥٠ نقلت الحكومة الإسرائيلية مقرها من تل أبيب إلى القدس الجديدة فيما عدا وزارات الدفاع والبوليس والخارجية (تم نقل الأخيرتين فيما بعد) . وفى نفس اليوم أصدر الملك عبد الله مرسوما بمنح حق مواطنة شرق الأردن لأهالى الضفة الغربية، بما فى ذلك سكان القدس العربية، وكان قرار الجمعية الصادر فى ١١ ديسمبر ١٩٤٩ . يناشد كلا من إسرائيل والدول العربية، ليس فقط البدء فى مفاوضات سلام، بل والسماح أيضا للاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم فى أقرب وقت ممكن، وكان متوقعا حل مشكلة اللاجئين تماما قبل مفاوضات السلام.

وحذر الإسرائيليون من أن حلا أساسيا لمسألة اللاجئين يجب أن يقوم على توطينهم فى البلاد العربية المجاورة، وفى صيف ١٩٤٩ . وصل عشرات الآلاف من اليهود إلى إسرائيل وفشلت مفاوضات السلام فى لوزان فى تحقيق أى تقدم.

وكانت الحكومات العربية غير راغبة فى بقاء الفلسطينيين فى بلادها، فقضية اللاجئين تخدمها كذريعة مفيدة لمنع أى مناقشات مع إسرائيل فى المستقبل. وترتب على ذلك أن بلغ عدد اللاجئين فى نهاية ١٩٥٠ إلى ما بين ستمائة وخمسين ألفا وسبعمائة ألف، يقيمون فى الخيام التى أعدتها إدارة اللاجئين التابعة للأمم المتحدة.

وقد منح الملك عبد الله حق المواطنة لمائتى ألف لاجئ فى المنطقة الغربية للأردن، وقد حصل نصفهم على أعمال وعاش الباقى فى الخيام على معونة الأمم المتحدة. وفى غزة عاش اللاجئون فى المنطقة الساحلية يعانون.

السلام الفاشل:

وكان لوجود اللاجئين على الحدود الإسرائيلية ـ العربية تأثيرا على محادثات السلام فى لوزان، وفى الحقيقة أنها أثارت واحدا من أهم الشروط العصيبة من الاتفاقيات الأربعة للهدنة والتى قصد منها إعطاء فترة انتقالية لحين تحقيق السلام الدائم. وإلى هذه النهاية أقيمت الأجهزة التى تقلل من خطر انتهاكات الحدود، وعنصرها الأساسى كان لجان الهدنة المشتركة، وكل منها يتكون من عدد متساو من المندوبين الإسرائيليين والعرب تحت رئاسة ضابط من الأمم المتحدة مكلف بمسئولية مراقبة خرق الهدنة وتحديد اللوم، وتشجيع الأطراف أنفسهم على حل منازعاتهم. وكان هذا آخر عمل لمجلس الأمن الذى يتوقف على رغبة العرب والإسرائيليين أنفسهم للتعاون من أجل السلام.

ثم تشكلت اللجنة المصرية الإسرائيلية المشتركة، وكان أول ممثل إسرائيلى الكولونيل «اسحق رابين» ومن الجانب المصرى البريجادير «محمود رياض» وبدأت اللجنة المشتركة الإسرائيلية محادثاتها، وعموما اتسمت الاجتماعات المصرية ـ الإسرائيلية بالمعقولية. ولكن فشلت محادثات «لوزان» على نمط محادثات «رودس»، وبذا فشلت المهام من أجل سلام دائم.

وكانت الحدود التى ضمنتها هدنة رودس مؤقتة، ولم تأخذ بعين الاعتبار احتياجات المدنيين، كما مثلت المناطق منزوعة السلاح بؤرة أخرى للعنف، وقد ثبت أن المنطقة السورية منزوعة السلاح هى الأكثر انفجارا، كما أصبحت خطوط المواجهة الجنوبية فى الخمسينات الأكثر تقلبا، أما منطقة العوجة منزوعة السلاح فقد أخلاها فى مقابل ضمان تكتيك تطهيرها. ومنذ عام ١٩٤٩ حاول الإسرائيليون مرارا إقامة معسكر فى هذه المنطقة تحت ستار «كابوتز» (١) وفى سبتمبر ١٩٥٣ طرد اليهود حوالى ستة آلاف من البدو الذين يعيشون فى هذه المنطقة وأقاموا أخيرا مستوطنة. وبعد ذلك أكتشفت نقطة حدود مصرية داخل المنطقة منزوعة السلاح ولم يكن أحد الجانبين مستعدا لأن يتزحزح من مكانه، وكثرت المناوشات فى نهاية سنة ١٩٥٤ وبداية ١٩٥٥ مع تزايد الخسائر على كلا الجانبين، وفى النهاية وفى ٢ نوفمبر ١٩٥٥ تحركت القوات الإسرائيلية بقوة ضد المواقع المصرية وقتل حوالى خمسين مصريا، وتم أسر ما يزيد على أربعين شخصا فى الهجوم.

ورغم توجيه مجلس الأمن اللوم لإسرائيل على هذا العمل، لم يتخل اليهود عن الاحتفاظ بالعوجة، وكان إصرار إسرائيل على تواجد قواتها بها كمنطقة عازلة ضد التسلل العربى المتصاعد من قطاع غزة. وهذا القسم المتواضع الذى خصصته اتفاقية هدنة «رودس». لمصر من أرض فلسطين الساحلية بطول ثلاثين ميلا وعرض أربعة أميال يقيم فيها حوالى مائة وعشرين ألف لاجئ

(١) كابوتز: مستعمرة يهودية

عربى، تحت الحكم العسكرى المصرى، وليس لهم حق العمل أو التملك فى مصر. وفيما بين ١٩٤٩و١٩٥٢ كانت السلطات المصرية لا تشجع كثيرا على تسلل اللاجئين، وكانت للحكومات العربية مشاكلها الذاتية التى تتطلب حلا. وكان الملك عبد الله يتطلع إلى اتفاقية الحل الوسط المرضى، وتوصل إلى معاهدة مع الإسرائيليين عام ١٩٥٠ بمقتضاها تم تسوية كل مشاكل الحدود وسبل الدخول إلى القدس، واتصال الأردن وحيفا. وقد تسربت هذه الوقائع إلى الدول العربية، وفى ٣٠ يوليو ١٩٥١ وفى طريق عودة عبد الله من الصلاة فى القدس أطلق عليه الاخوان المصريين الرصاص فأرداه قتيلا. وفى أماكن أخرى ونتيجة لخسارة الحرب وتوقيع اتفاقيات الهدنة، أطيح بالنظام السورى بانقلاب عسكرى، كما أغتيل رئيس وزراء لبنان «رياض الصلح»، وفى مصر أغتيل النقراشى لقبوله وقف إطلاق النار.

وبعد عام ١٩٤٩ تأزمت العلاقات العربية فيما بعد، ولم يكن يجمعها سوى مناهضة إسرائيل، وفيما عدا بعض الاشتباكات المحدودة على الحدود ظل أسلوب الأنتقام العربى ضد إسرائيل أساسا غير عسكرى، وكان هدفهم فى بداية الخمسينات هو عزل إسرائيل وخنقها من خلال الضغط السياسى والمقاطعة والحصار الاقتصادى، وكان من بين الإجراءات الحاسمة العزل الدبلوماسى. فكل جواز سفر يحمل تأشيرة سفر لإسرائيل يمنع دخوله لأى دولة عربية وكل الحدود مع إسرائيل مغلقة، وكانت الحكومات العربية عنيدة فى محاولاتها لاثناء الدول الأخرى بعدم إقامة علاقات دبلوماسية مع

إسرائيل. وكانت مؤثرة بصفة خاصة فى الدول المحررة حديثا فى أفريقيا وآسيا والدول الإسلامية. ومعظم تلك الدول قبلت المفهوم العربى بأن إسرائيل عميلة وذيل للامبريالية الغربية، ولو أن تركيا وإيران والهند أقامت علاقات قنصلية.

وفى يناير ١٩٥٠ وضعت الجامعة العربية خطة لردع الدول والشركات من الدخول فى تعاملات مع إسرائيل. وفتح مكتب رئيسى فى دمشق. وأتخذت الدول العربية عقوبات صارمة ضد المؤسسات الأوربية والأمريكية أو غيرها التى تحتفظ بفروع لشركاتها أو توكيلاتها فى إسرائيل، ورغم ذلك كانت شركات البترول الأمريكية والبريطانية تنقل البترول من العراق إلى حيفا منذ ١٩٤٨ . وتحت بنود المقاطعة كان من المستحيل على البواخر الأجنبية أن تمر على الموانى الإسرائيلية والعربية فى الرحلة الواحدة، ولا يمكن لطائرة تهبط فى إسرائيل أن تحلق فى الأجواء العربية.

القسم الثانى

الأوضاع فى إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨

الفصل الأول:

الخلافات بين «بن جوريون» وزعماء المعارضة على أسس وقواعد قيام الدولة بعد الحرب

الفصل الثانى:

أول انتخابات عامة ١٩٤٩ والتقييم السياسى لـ «بن جوريون»

الفصل الثالث:

طبيعة المجتمع الإسرائيلى

الفصل الأول

الخلافات بين «بن جوريون» وزعماء المعارضة

الخلافات بين «بن جوريون»

وزعماء المعارضة على أسس وقواعد

قيام الدولة.

المنظمات الإرهابية بعد اغتيال «الكونت برنادوت»

تشكيل الاجهزة اللازمة لقيام الدولة:

عمدت إدارة الحركة الصهيونية إلى الاستعداد لفترة ما بعد الأنتداب البريطانى فقامت بتشكيل الأجهزة اللازمة لقيام الدولة ومنها:

- مجلس الشعب وهو نوع من الحكومة المؤقتة تضم ٣٧ عضواً ضمت ممثلين عن كل التيارات والأحزاب اليهودية بما فى ذلك التصحيحين والشيوعيين.
- إدارة الشعب برئاسة دافيد بن جوريون وعضوية ثلاثة عشر عضوا تم أختيارهم من بين أعضاء مجلس الشعب للقيام بالمهام اليومية للحكومة المؤقتة ولم يمثل فيها التصحيحيون والشيوعيون.

وعقدت إدارة الشعب سلسلة اجتماعات بهدف الانهاء من موضوع إعلان الدولة، وفى ١٤ مايو ١٩٤٨، تمت الموافقة على صيغة إعلان الدولة اليهودية وحرص المسئولون على أن يسرى مفعول الإعلان عند منتصف الليل، أى مع بدء يوم ١٥ مايو حيث ينتهى الانتداب البريطانى على فلسطين رسميا.

وفى الليلة نفسها، اعترفت الولايات المتحدة بالدولة اليهودية على الرغم من تحفظاتها تجاه الإعلان الفورى.

وغدت إدارة الشعب بموجب الإعلان، حكومة مؤقتة. وكانت أول خطوة اتخذتها، ليس إقامة الجيش الإسرائيلى، وإنما إلغاء قوانين الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ المتعلقة بالهجرة، وقوانين امتلاك الآراضى لعام ١٩٤٠ التى الغيت قبيل الإعلان عن قيام الدولة بساعات معدودة.

جيش الدفاع الإسرائيلى.

وتأخر أمر إقامة الجيش الإسرائيلى قرابة أسبوعين، وذلك لأنه كان يدور، فى تلك الفترة، صراع خفى بين فريقى الحركة العمالية حول طبيعة الهاجاناه وجوهرها عقب تحولها إلى جيش، شارك فيه بن جوريون، وقادة الهاجاناه. وفى ٢٦ مايو ١٩٤٨ وقع بن جوريون، بعد مصادقة الحكومة، على أمر إقامة جيش الدفاع الإسرائيلى وقد نص الأمر على التالى:

١ ـ يقام بهذا، جيش الدفاع الإسرائيلى ويشكل من أسلحة البر وسلاح الجو وسلاح البحر.

٢ - فى حالة الطوارئ يطبق التجنيد الالزامى لجيش الدفاع الاسرائيلى بأفرعه المختلفة، وسيكون سن الملزمين بالخدمة وفق ماتحدده الحكومة المؤقتة.

٣ - على كل من يخدم فى جيش الدفاع الإسرائيلى اداء قسم اليمين لدولة إسرائيل ودستورها وسلطاتها المخولة.

٤ - يحظر إقامة، أو الاحتفاظ، بأية قوة مسلحة خارج إطار جيش الدفاع الإسرائيلى.

٥ - تبقى الأوامر والإعلانات وكافة التعليمات الأخرى المتعلقة بشئون الخدمة سارية المفعول.

٦ - كل عمل ينفذ وفق تعليمات هذا الأمر شرعى حتى لو كان مناقضا لأى أمر آخر فى القانون الجديد.

٧ - وزير الدفاع مسئول عن تنفيذ هذا الأمر.

٨ - يطلق على هذا الأمر اسم جيش الدفاع الإسرائيلى لعام ١٩٤٨ .

وبقدر ما عجل هذا الأمر فى تحقيق وحدة التنظيمات، فإنه أثار أمتعاص التنظيمين الآخرين لجهة ما يستشم من اسم الجيش، فقد حرص المسئولون عن إطلاق التسمية على الأحتفاظ باسم منظمة الهاجاناه (الدفاع) كصفة للجيش الإسرائيلى. ولم تكن الرغبة فى صفة (الدفاع)، بحد ذاتها، هى الدافع لتثبيتها كصفة للجيش بقدر ما كانت الرغبة فى حشر كلمة الدفاع (هاجاناه) فى الأسم الجديد، لاسيما وأن أصحاب التسمية هم من أوساط الهاجاناه الذين كانوا يرغبون فى رؤية الجيش الإسرائيلى كوريث لمنظمتهم. ومما زاد من

أمتعاض التنظيمين الآخرين وبخاصة اتسل، الأمر اليومى الذى أصدره بن جوريون بخصوص إقامة جيش الدفاع الإسرائيلى والذى حاول رفع مكانة الهاجاناه فى الجيش على حسابهما وتحولت إلى جيش نظامى.

وقد جاء فى الأمر أيضا سرد لتاريخ الهاجاناه ونضالها؛ وتطرق إلى الهجرة الثانية وإلى منظمة هاشوق والكتائب العبرية وإلى قيام منظمة الهاجاناه وأسلحتها المختلفة، وإشادة بها دون ذكر كل من اتسل وليحى بالأسم، وأن أشير لهما بشكل عام.

ومع ذلك، فإن الأمتعاض لم يكن بوسعه الوقوف أمام وحدة التنظيمات، فقد توافر الشرطان الأساسيان اللذان طالما طالبت بهما كل من اتسل وليحى وهما: قيام الدولة وقيام الجيش. وقد حدث ذلك فى أجواء التسوية التى أبرمت بين الهاجاناه واتسل وبتفاقم الحرب العربية الإسرائيلية بدخول الجيوش العربية المعركة، الأمر الذى دفع التنظيمات للوحدة والأندماج. وقد دارت مفاوضات بين الهاجاناه وبين كل من التنظيمين لهذا العرض، وتوصلت مع ليحى إلى اتفاق بهذا الخصوص، وبعد ثلاثة أيام وفى الأول من يونيو ١٩٤٨، أعلن عن الأتفاق الشهير الذى تم بموجبه دخول اتسل الجيش الإسرائيلى المشكل أساسا من الهاجاناه.

ولم يكن هذا الاتفاق نهاية المطاف بالنسبة لوجود المنظمات المسلحة إذا استمرت أعمالها فى بعض المناطق بعد قيام الدولة اليهودية وعلى حساب الجيش الإسرائيلى التى يشكل جزءا منه، بمعنى أن معركة تصفية المنظمات المسلحة لاتزال تواجه بن جوريون.

حل «اتسل وليحى»

قامت المنظمتان بعدة أعمال إرهابية تحرج الحكومة الإسرائيلية الجديدة وتتحدى سلطات الجيش وكانت حكومة إسرائيل تتحين الفرص للنيل منهما.

عقب ظهر ١٧ سبتمبر ١٩٤٨، وبينما كان الكونت برنادوت، وسيط الأمم المتحدة لحل النزاع العربي - الإسرائيلي. متجها مع أربعة من مساعديه، بحراسة قافلة تتكون من ثلاث سيارات من قصر المندوب السامي في القدس لمقابلة أحد المسئولين الإسرائيليين تصدى له أربعة مسلحين، وبعد أن أغلقوا عليه الطريق بواسطة سيارة جيب كان أفراد ليحى قد سرقوها من قوات الأمم المتحدة قبل فترة وجيزه، وأطلق أحدهم النار نحو الوسيط الدولي الذي ما لبث أن فارق الحياة مع مساعدة الفرنسي.

لم يختلف هذا البيان الذي أصدرته ليحى، متسترة تحت اسم جبهة الوطن كثيرا عن وجهة نظر مختلف التيارات الإسرائيلية أي اتسل، تجاه الوسيط الدولي الذي كان قد واجه، خلال الأشهر البسيطة التي أمضاها لتنفيذ مهمته، حملات عنيفة سواء من قبل الصحافة الإسرائيلية أو من مختلف التيارات التي اتهمته جميعها بمحاباة العرب خدمة لبريطانيا وكانت ليحى على رأس منتقديه ومهاجميه، معتبرة إياه بمثابة عميل بريطاني.

وبمقدار ما كانت السلطات الإسرائيلية غير جادة في الكشف عن ملابسات جريمة اغتيال الوسيط الدولي، كانت في المقابل جادة وحاسمة في وضع حد نهائي لوجود بقايا المنشقين في القطاع

اليهودى من القدس. ووجد بن جوريون فى الحادث فرصة مناسبة لتحقيق هذا الهدف. ففى مساء يوم الاغتيال، عقد اجتماعا مع عدد من وزرائه استمع خلاله، إلى تقرير عن الحادث. وتقرر فى نهاية الإجتماع، الشروع فورا بتنفيذ حملة تشمل إعتقال أعضاء ليحى جميعهم ومصادرة أسلحتهم وإطلاق النار على كل من يتصدى لذلك. واشفعت السلطات هذا الإجراء بإصدارها فى ٢٠ سبتمبر قانون منع الإرهاب. وبمقتضى هذا القانون الذى حرص القائمون عليه على أن يسرى مفعوله بأثر رجعى ابتداء من يوم الإعلان عن قيام دولة اسرائيل، خولت السلطات الحكومية صلاحية سجن أى عضو، فى منظمة إرهابية مدة أقصاها خمس سنوات وسجن أى عضو نشيط، فى مثل هذه المنظمة لمدة أقصاها عشرين سنة، وأوضحت الحكومة، فى اليوم نفسه فى بيان خاص، أن ليحى تعد منظمة إرهابية.

بناء على هذه القرارات استولت قوات من الجيش والشرطة على قاعدتى ليحى فى الجزء اليهودى فى القدس، وقد تم ذلك وسط حملة تعقب ومطاردة لعناصر هذه المنظمة أدت إلى اعتقال ١٨٢ عنصراً فى المدينة و ٦٢ عنصراً فى تل أبيب.

وهكذا، كانت نهاية منظمة ليحى مثل ولادتها، فقد ولدت فى أجواء المحاصرة والأعتقال، ولفظت أنفاسها الأخيرة فى الأجواء نفسها.

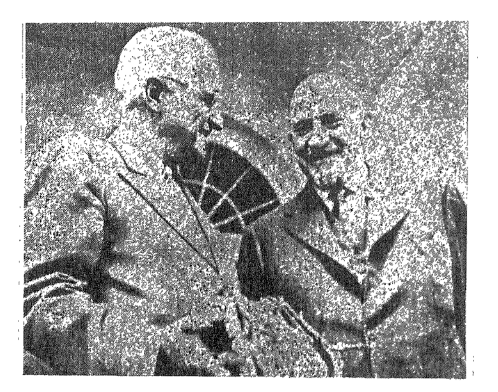
أما اتسل فلم تكن نهايتها بأفضل من نهاية زميلتها؛ فعلى الرغم من عدم اشتراكها فى عملية الاغتيال فقد طالتها يد بن جوريون

الذى كـان قـد اتقن اسـتـغلال الظروف للوصـول إلى هدفه وتوجيـه ضربة إلى خـصـمـه. ففى أثناء تضيق الخناق على عناصر ليـحى، ووسط الحملة الواسعة ضد الإرهاب، قدم يغئال يادين - رئيس شعبة العمليات فى الجيش - إلى شموئيل كاش، قائد مـجموعـة اتسل فى الجزء اليهودى من القدس، انذاراً فى ٢٠ سبتمبر أى عقب إغتيال برنادوت بثلاثة أيام بالخضوع للقانون والالتزام بسلطة الجيش أو التعرض لكل التدابير التى سيقوم الجيش بإتخاذها حيال المنظمة.

وقـام بن جـوريـون مـسـتـغـلا الظروف بإنـهـاء أى تمايز تشكيلى للبلماح (القوة الضاربة للهاجاناه) وهكذا استتب الأمر لبن جوريون داخل الحكومة وداخل الجيش.

الفصل الثانى

أول إنتخاباب عامة ١٩٤٩
والتقييم السياسى لـ «بن جوريون»



حاييم وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل يشكر هاري ترومان لاعترافه بإسرائيل بعد ساعة واحدة من إعلان قيامها.

إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨

١ - أول انتخابات عام ١٩٤٩ .

بدأت أول انتخابات عامة فى إسرائيل فى ٢٥ يناير عام ١٩٤٩ على أساس القوائم التى تقدمت بها الأحزاب وتحتم منح الأصوات للقائمة كاملة لا لمرشح بشخصه. ونصت على أن الحزب الذى لا يحصل على واحد فى المائة من مجموع أصوات الناخبين لا يفوز بأى مقعد فى «الكنيست»، وتوزع المقاعد على أعضاء كل قائمة وفق ترتيبهم فى القائمة وحسب نسبة عدد الأصوات الممنوحة لهذه القائمة على أن يمثل كل شخص ١٠ر٠٠٠ ناخب، وعدد أعضاء «الكنيست» ١٢٠ عضوا ، أما السبب الذى حدا بإسرائيل للأخذ بهذه الطريقة فهو أن معظم القادة السياسيين الصهاينة جاءوا من دول أوربا الشرقية حيث كان هذا النظام منتشرا، وطبق فى انتخابات المؤتمر الصهيونى العام. كان «بن جوريون» معارضا طوال حياته السياسية لهذا النظام وحاول فرض نظام الحزبين أو الأحزاب الثلاثة، ولكنه فشل.

وفى ٩ مـايو ١٩٤٩ ألف «بن جـوريـون» أول حكومـة أئتـلافـيـة قـبلت إسـرائيل بناء عليـهـا عـضـوا فى الأمم المتـحـدة، وأعلن « بن جوريون» أن القدس هى عاصمة إسرائيل معارضا قرار الأمم المتحدة بتـدويل القـدس. ونقل وزارة الخـارجـيـة إلى القدس فى عـام ١٩٥٣، وكان رأى «بن جوريون» من نقل العاصمة إلى القدس، وضع العرب فى مركـز أقل أمنا [١] ، وفى عام ١٩٥٠ طـالبت الأحزاب المعارضة وبعض الأحـزاب المؤتلفـة بدسـتور للبـلاد، وكـان المتـديـنون يريـدون دسـتورا على مبادئ «التلمود» و «التوراة» واليساريون يريـدون دستورا على نظام اشتراكى، والمحافظون واليمينيون يريدون نظاما رأسماليا، وأمام تباين الآراء واختـلاف وجهات النظر، اتفقوا على حل وسط هو الموافقة على دستور لإسرائيل مع إرجاء وضعه فى الوقت الحاضر.

وأقـر «الكنيـست» فى ١٩٥٠/٧/٥ . قـانون العـودة، الذى نص على حق كل يهودى فى المجئ إلى إسرائيل بوصفه «مهاجرا عائدا» وأن يعتبر كل يهودى هاجر إلى البـلاد قبل سريان هذا القانون، وكل يهـودى ولد فى البـلاد سواء قـبل صـدور القـانون أو بعـده «مـهـاجـرا عائدا» إذ تعتبر الـهجرة أو التـهجير من أهم ركائز الدولة الإسرائيلية، وقد اعتبر «بن جوريون» طوال حياته، أن دولة إسرائيل هى دولة كل اليـهـود فى كـافـة أنحـاء العـالم، وأن قـانون العودة هو قـانون البـقـاء التـارخى لليـهـود واستـمرارية للصلة القائمة بين اليـهود فى إسرائيل وخـارجـهـا. كـمـا إنـه وضـع المبـدأ الأسـاسـى الذى تحـقق بـفضـله إحـيـاء دولة إسرائيل وبقاؤها ونموها وأملها فى الخلاص القومى.

---

(١) كتاب «بن جوريون ينظر إلى الوراء».

، وقد سبب تطبيق هذا القانون مشاكل وخلافات حادة داخل إسرائيل، حينما هاجر إليها دفعة واحدة مائة وعشرون ألفا من يهود العراق فى «عملية بابل» إذ ازداد عدد اليهود الشرقيين على الغربيين»

وتذمر المهاجرون القدماء، وأبدوا تخوفهم من أن هجرة اليهود الشرقيين إلى إسرائيل تهدد البناء الاجتماعى القائم فى ذلك الحين. إلا أن «بن جوريون» قاوم هذه الآراء داخل «الكنيست» محتجا أن لا أحد أعلى من أحد، ولا ضرورة لأن تكون إسرائيل أمة أوربية الحضارة، وفى الأمكان صهرهم جميعا فى «المثل الأعلى لإسرائيل «كتاب الأرض التى تحترق» فقد أرادهم «بن جوريون» أن ينسوا أن هذا من الشرق وذاك من الغرب، كما نسى هو إنه من بولندا. وذكر مؤلف كتاب «النبى المسلح» أن «بن جوريون» قال «إنه يريد أن يعيش حتى اليوم الذى ينتخب فيه يهودى يمنى رئيسا لإسرائيل».

٢ - التقييم السياسى لـ «بن جوريون» بعد قيام دولة إسرائيل

أجمع يهود العالم وخاصة المقيمون فى إسرائيل على أن «بن جوريون» هو القائد والزعيم الأوحد الذى جمع الشتات وأعاد اليهود إلى أرض الميعاد، وهو الذى أعاد ملك اليهود الضائع ممثلا فى قيام دولة إسرائيل الجديدة.

ولا يشك أى باحث فى تاريخ الصهيونية منذ مؤتمر «بازل» عام ١٨٩٧، أن إسرائيل الحالية هى نتيجة الكفاح السياسى «لبن جوريون» فقد نجح على مر سنى كفاحه فى جعل يهود فلسطين شعبا متحدا منظما، رغم العقبات والصعوبات التى واجهته. وقال فى هذا الصدد: «نحن اليهود نختلف عن غيرنا من الأمم فليس لنا تراث على مر

القرون وعلينا أن نحصل فى سنوات قليلة ماحصلت عليه أمم أخرى فى قرون عديدة (١).

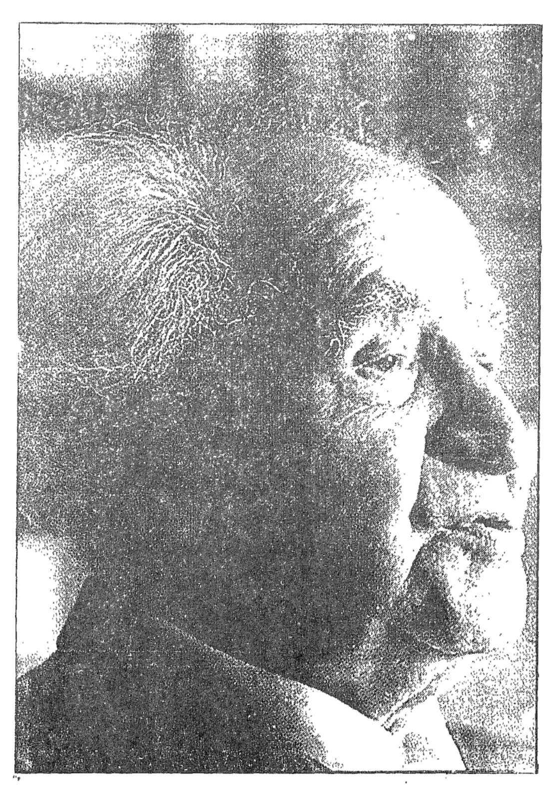
إلا أن بعض النقاد السياسيين من الأجانب ومن الصهيونيين أنفسهم يأخذون على سياسته مآخذ عديدة. كمشكلة القدس التى لم يراع فيها أى قدر من الدبلوماسية ولا الحنكة السياسية فضلا عن تجاهله للعواطف الدينية العالمية مما أغضب المراجع الدينية وعلى رأسها الفاتيكان.

ويقول مؤلف كتاب «النبى المسلح».

إن «بن جوريون» كثيرا ماكان يناقض نفسه فى أمور سياسية سبق أن اتخذ فيها قرارات معينة. فقد نقض موقف الحياد الذى اتخذته إسرائيل بالتصويت مع الاستعمار فى المشكلة الكورية عام ١٩٥٠، ومسوغ ذلك أن «بن جوريون» شأنه شأن أغلبية حكام إسرائيل يحبذون ربط إسرائيل بالغرب، لاقتناعهم بأن إسرائيل لم يكتب لها القيام أو البقاء إلا لأنها قاعدة للاستعمار وقد أساء هذا المسلك إلى علاقات إسرائيل بالأتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية الذين رأوا فى إسرائيل الأداة الطيعة فى يد الغرب ضد المعسكر الاشتراكى.

ويذكر مؤلف كتاب «دافيد بن جوريون» أن «بن جوريون» بسبب تأييده لخطط الغرب الاستعمارية وماجره ذلك عليه من المشاكل مع الأتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية قد واجه مشاكل

(١) كتاب «بن جوريون ينظر إلى الوراء».



بن جوريون أطلق عليه الكتاب اليهود (النبى المسلح)

أخرى مردها تطبيقه لمبدأ الغاية تبرر الوسيلة الذى لم يحقق له النجاح فى إقامة علاقات متينة مع الهند والصين ودول آسيوية أخرى فى الوقت الذى كان يعلق آمالا كبيرة على الهند وزعيمها «نهرو» ويحاول إيجاد عامل مشترك بين إسرائيل والشعوب الآسيوية متناسيا أن اليهود لا يملكون الثقافية المشتركة التى تؤهلهم لايجاد الطريقة المثلى للتفاهم مع فلسفات الهند والصين العريقة.

وقد أدرك «بن جوريون» أن إسرائيل فى بدء حياتها تفتقر إلى نخبة من رجال السياسة ذوى التقاليد السياسية «المثقفين»، وأنه أصبح لزاما على إسرائيل خلق جيل جديد من السياسيين، ولم يجد «بن جوريون» إلا «موسى شاريت» ليعتمد عليه فى هذه المعضلة بحكم خبرته أثناء عمله فى الوكالة اليهودية، إذ أنه كان مسئولا عن العلاقات الخارجية. وهكذا ولأول مرة يعتمد «بن جوريون» على خبرة سياسية لتنظيم جانب من جوانب الدولة وهو الذى كان فى العهد الأول لقيام دولة إسرائيل كل شئ لكل الرجال والمشكلات [1].

ويقول مؤلف كتاب «إسرائيل سنوات التحدى» أن «بن جوريون» بعد خمس سنوات من قيام الدولة وهيمنته على مقدراتها، وبعد أن أصبحت لإسرائيل صناعات تنمو بسرعة، وصل تعداد الدولة الجديدة إلى مليون ونصف مليون نسمة بفضل تدفق المهاجرين الذين يباركونه لأنه ارجعهم إلى «أرض الميعاد»، كما كان الجيش يبادله الحب والأحترام الكبيرين. قد تشجع على دفع الشعب إلى العدوان السريع لتحقيق المزيد من التوسع.

(١) المصدر السابق.

٣ ـ بن جوريون ومشكلة التعليم:

ونتيجة للهجرة الجماعية وبعد أن استتب الأمر للدولة الجديدة برزت مشكلة التعليم لكل اليهود: غربيين وشرقيين وكانت المشكلة هى: هل يكون دينيا أو علمانيا.؟

وكانت المشكلة عويصة جدا بالنسبة لـ «بن جوريون» الذى لم ينتظم فى طفولته وشبابه فى التعليم النظامى، ولم يقدر على رؤية الحياة من جميع نواحيها، فهو لا يفهم الشعر ولا فنون الرسم ولا الموسيقى، ولكنه ثقف نفسه بقراءة كتب الأدب والتاريخ. وكان لا يهتم كثيرا بآراء خبراء السياسة إذ كان يرى أن الخبير يختلف عن الزعيم أو القائد الوطنى. فالخبير السياسى يعرف مجالات تخصصه أما القائد الوطنى فيتحلى بالحس المرهف لاتجاهات الشعب وأمانيه، وردود الفعل عندهم، ولذلك يستطيع كسب ثقة الشعب واختيار المسائل المهمة لإنجازها.

وذكر مؤلف كتاب «النبى المسلح» مثلا على ذلك «أن الخبراء قدموا له تقريرا عن عدم صلاحية صحراء النقب للزراعة والسكن. وقال لهم «بن جوريون» إن الخبير هو الذى يحاول، فإذا نجح فهو خبير وإذا فشل لم يعد خبيرا لأنه لم يجد الطريقة الصحيحة لحل المشكلة.

وقد أصبح فى الفترة الأولى من قيام إسرائيل زعيما وقائدا وطنيا. أكثر منه رئيس حكومة أو رئيس حزب. فكان الشخصية الوحيدة التى يمكن أن توصف بأنها فوق الأحزاب [١].

(١) كتاب «النبى المسلح».

وكان اهتمام «بن جوريون» بالتعليم ينصب على تعليم اللغة العبرية، فهى فى رأيه التى ستوحد اليهود فى العالم، وتكون بعد الجيش هى العامل الفعال فى بناء الدولة. لذلك كان كل همه ايجاد مترجمين أكفاء ليترجموا التراث الأدبى العالمى إلى العبرية(١).

وكذلك توحيد نظام المدارس فى البلاد، ثم رفع المجانية إلى التعليم الثانوى.

ويذكر مولف «دافيد بن جوريون» أن أحب الموضوعات التى كان يقرأها تتصل بالتاريخ والفلسفة، كما كان يجيد اللغات، الروسية والألمانية والفرنسية والتركية والأسبانية، فضلا عن العبرية والإنجليزية واليونانية. وأن السياسة تسلطت على كل اهتماماته الخاصة، وقد أكد أغلب الذين تناولوا حياته بالتحليل من الكتاب، أنه كان لا يهتم بالصداقات ولا بالعواطف الإنسانية.

---

(١) كتاب «بن جوريون ينظر إلى الوراء».

الفصل الثالث

طبيعة المجتمع الإسرائيلى

طبيعة المجتمع الإسرائيلى

لقد فرض الطابع المميز لوجود «إسرائيل» وسط العداء الظاهر من جيرانها على مدى عدة عقود، حقيقة استمرارها باندفاع وفعالية هائلين، وخوض غمار حروب متكررة لم تنجح فى تخفيف حدة العداء المحيط.. ولكن على الأقل مقاومته.

وقد شهدت هذه العقود قصة المقاومة .. ليس فقط معاناة آلامها وخطورتها ولكن أيضا انتصارها. فقد شحذ الخطر اليومى الداهم كل واقع على الاتحاد، ولن يكون سهلا على المؤرخين تحديد ما إذا كان العداء المحيط فى النهاية عائقاً أم حافزا.

ولعل خصيصة إسرائيل البارزة هى سرعة النماء، ففى الذكرى العشرين لميلاد إسرائيل فى عام ١٩٦٨ - حيث كان عدد سكانها حوالى ستمائة وخمسين ألف نسمة عند قيامها - بلغ مايزيد على مليونين وسبعمائة ألف نسمة. ولا يسجل لنا التاريخ دولة زاد عدد سكانها أربعة أضعاف فى حوالى عقدين من الزمان سوى «إسرائيل». ولعل المحور الرئيسى كان فى العودة أو التجمع «gathering» وكان

المحتوى الذى تدرس فيه مشاكل إسرائيل هو طابعها اليهودى، وكان الواجب الذى يفرض نفسه هو إنقاذ بقايا الدمار الأوربى من معسكرات اللاجئين فى ألمانيا وقبرص وجزر موريشيوس، والتى أفرغت فى الشهور الأولى بعد إعلان إسرائيل لاستقلالها فى ١٤ مايو ١٩٤٨ الذى تبعه خلال ساعة واحدة صدور قانون يمحو خطر الهجرة الإجبارى، ومعلنا حق كل يهودى مهاجر فى الجنسية فورا. وصار الكون يهوديا مؤهلا للدخول فى دولة ذات سيادة، بدلا من شعار عدم التأهيل الكلى أو الجزئى. وفى ١٨ مايو أخبر ممثل إسرائيل فى الأمم المتحدة الحكومات الأخرى أن موضوع الهجرة إلى إسرائيل لم يعد موضع اعتبارهم حيث قد دخل فى التقنين الداخلى للدولة ذات السيادة، إذ كانت الهجرة هى الهدف لبقاء إسرائيل، وكانت السيادة هى الوسيلة التى أدت إلى الغاية.

وعلى عكس ما كان متوقعا من امتصاص إسرائيل ليهود أوربا، فقد كان من المثير للدهشة هجرة اليهود من بلاد المسلمين. حيث لم يكن الدافع الضغط والتفرقة، فقد دامت هذه الظروف، واحتملت لقرون، ولكن الآن كان هناك اختيار للمرة الأولى جدير للحياة. فأكثر فئات اليهود عزلة ـ وهى التى عاشت فى اليمن وقت ملوك العبريين ـ نهضت بكل ثقلها وطارت أرض الميعاد. ويهود العراق ـ وهم من نسل التفرق البابلى ـ حضروا هربا من اضطهاد حكومة بغداد، وفتحت بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وبولندا ورومانيا أبوابها لخروج اليهود الذين قصدوا الهروب من أشباح الذكريات والآلام تحت الإحتلال النازى، وتتضخم الهجرة بإضافات من إيران

وتركيا ومراكش وتونس وليبيا. وفى سنة ١٩٤٩ دخل ٢٤٠ر٠٠٠ - يهودى إلى الوطن الذى بلغ تعداده ٦٥٠ر٠٠٠ نسمة بعد خروجه من حرب البقاء، ثم حضر ٣٥٠ر٠٠٠ فى السنتين التاليتين. وخلال أربعين شهرا تضاعف سكان إسرائيل بالهجرة.

وقد شغل امتصاص هذا الفيض جميع اليهود، فكانت سنوات الهجرة فى إسرائيل فاتحة عهد ونكران الذات - فكانت المنازل والمدارس ومعسكرات المهاجرين والقرى والمؤسسات الإجتماعية كلها تعمل بسرعة هائلة، والشئ الوحيد المماثل فى التاريخ هو أنهار الهجرة التى حملت الولايات المتحدة على نموها الضخم فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، إلا أن حركة الهجرة إلى إسرائيل كانت ذات مقاييس أكبر نسبيا، وتختلف كثيرا من حيث تنوع الماضى الحضارى، ونظرتها للمستقبل.

ولا ينتمى الانجاز إلى يهود إسرائيل وحدهم، فقد كانت جميع مجتمعات المنفى «diaspora» شركاء فى المشروع، حيث ساعدت جمعيتى «يونيتد جويش أبيل» و «إسرائيل يونيتد اوجينزيشن» فى الولايات المتحدة وكذلك منظمات مماثلة فى أماكن أخرى فى استقبال وأمتصاص القادمين الجدد، وقد لمست طرافة العملية أوتارا عميقة فى شغاف الذكرى اليهودية، إلا أن التيار أصبح عكسيا الآن.

ومجتمع المهاجرين لا يمكن أن يكون متحفظا فى تفكيره، فالمعنى لا ينتمى إلى منجزات اليوم ولكن إلى الآفاق التى تفتحها تجارب اليوم من أجل الغد. فهى تتمثل فى بناء مجتمعات جديدة، حيث يصل الرجال إلى أعلى مستويات الإبداع، بل إن التحديات

والضرورات والصدامات التى أثارت مجتمع إسرائيل فى قمة فيضان الهجرة، صارت هى نفسها عوامل تكوين شخصية الدولة، فالترتيبات المستقلة والدفعات الأولى التى جاء بها يهود فلسطين خلال فترة التقشف لها الآن تعبير واسع حر، ولا تزال القوة المحركة فى حياة إسرائيل هى نتاج لحركات الهجرة، سواء من وصلوا فعلا أو المنتظرين، وكل شئ يدور ويركز على رؤية جديدة للتوسع الاجتماعى.

كانت النتيجة أن امتلأت إسرائيل بأناس تكونت شخصيتهم وأفكارهم خارجها، إلا أن الطابع العام اليوم هو التلاحق وليس التفرق، حيث سيطرت الطاقات الموحدة التى تلحم المجتمع فى تجرد فريد وبسرعة هائلة. وهناك عوامل متعددة يلزم توضيحها:

أولا حقيقة التجمع:

فمن السهل من الناحية النظرية تقرير أنه لا علاقة كبيرة بين النحاس اليمنى. والطبيب الجوهانسبرجى والمعلم البولندى والتاجر المراكشى والطالب الأرجنتينى والحمال الكردى والصانع النيويوركى.. الحقيقة هى أنهم - أيا كانت دوافعهم - يشتركون فى ذكرى يهودية خاصة تجذبهم لإسرائيل وليس لأى مكان آخر. ثم أن هناك بذور الخطر العام.. وفيما عدا ذلك توجد المؤثرات المناسبة التى يطبقها الجيش والمدرسة الإسرائيلية على الشباب المهاجر الذى نما إلى مرحلة الرجولة. وقبل نهاية القرن العشرين كانت إسرائيل قد بدأت تفقد طابع المجتمع ذى الغالبية من المهاجرين. فقد صار أكثر من ٧٠٪ من تعدادها إسرائيليين بالميلاد، وأكثر من النصف تعلموا

فى جامعات ومدارس إسرائيلية ومن الباقى جزء كبير يرجع تاريخهم إلى مدى بعيد حيث يجعل ارتباطهم القريب بإسرائيل وحضارتها أكثر من ارتباطهم ببيئتهم السابقة، والذى يخفت يوما بعد يوم. وفى سنة ١٩٤٨ ولدت دولة. وحتى يومنا هذا كانت قد نشأت دولة ذات طابع محدد هى إسرائيل. التى كانت شيئا واضحا أوحت مجموعة من العوامل المجتمعة بخلقها.

الأرض وحدودها:

وحدثت فى الأرض ثورة بانتقال شعب إليها. وقد لا تكون هناك دولة تغيرت جذريا بهذا الشكل. ففى هذا الوقت القصير تحولت الأراضى الرملية إلى مزارع، وتراجعت الصحراء أمام المحراث وأنابيب المياه المتقدمة، وفرضت المجموعات العمرانية التجديد، وأعطت البلد مظهرا متماسكا.

وتعد مصادر إسرائيل: الأرض والشمس والمياه أينما وجدت. وكان التقدم الزراعى فى أول عقدين مفروضا بالاحتياج الاقتصادى فقط، حيث كان للصهيونية أثر دائم فى الريف والمزارع، فكان تسميد الأرض جزءا من القصة فقط، والجزء الآخر لا يقل أهمية هو إعادة بناء شخصية الدولة، فتجلت ملكة الإبداع الخاصة بالارتباط الطبيعى بالتربة البعيدة عن مراكز العمران. جاء هذا كله فى محاولة لتغيير المظهر الدولى. والشعر العبرى القديم ملىء بالصور عن القرية الصهيونية وبصور عن الطبيعة، ومعها اليهود فى اتحاد وثيق، وقد أضاف الكيبوتز والموشاف فكرا جماعيا للمظهر الطبيعى لمجتمعات المزارع.

. ولا شك أن المؤسسة الإسرائيلية قد سجلت فى المزرعة والحقل أعظم نجاح. وفيما يتعلق بالبشر فقد كانت النتيجة خروج جيل جديد من داخل التربة متينة الروح والجسد، يعد الحارس الأول لتقدم الدولة. وبالرغم من أن سكان الكيبوتز جزء صغير من المجتمع إلا أنهم ساهموا بنسبة هائلة فى ضباط الجيش الإسرائيلى والطيارين، وخبراء المشروعات العمرانية فى أفريقيا وآسيا. وفى حين يقل أثرهم الاقتصادى إلى أدنى حد فى الوقت الحالى إلا أنه فى ميزان القيم وتحديد ما هو جدير بالاحترام يعد ملموسا وواضحا ينمو بحيث لايزال يشغل المنزلة الأولى، بدليل أن نخبة المجتمع نشأت فى الريف.

الاقتصاد الموسع:

وعلى الصعيد الاقتصادى وتطوره. كان القطاع الزراعى والريفى هو القوة الموجهة. وكانت السنوات بعد ١٩٤٨ عصيبة مع المجاهدة للبقاء، وتطلبت الهجرة الجماعية. ماهو فوق طاقة المصادر الزراعية المحدودة. وكانت هناك فترات من قلة المئونة واختلال ميزان المدفوعات بشكل كبير. وفى منتصف الخمسينات لم يلحق الإنتاج بتزايد السكان فحسب، بل زاد عليه إلى حد ظهور فائض، وتحقق الاكتفاء الذاتى فى كل شئ.. فيما عدا الحبوب والزيوت وجزء من اللحوم، وتحتم تنظيم المزارع بدقة لمنع هبوط الأسعار. وقبل الثمانينات انخفضت نسبة عمال الزراعة، ولكن الإنتاج ارتفع فى طفرات. فكانت إسرائيل تنتج مليون فدان من المواد الغذائية بما يكفى ٨٠٪ من احتياجاتها على مستوى مرتفع، وكانت تصدر ماقيمته ٣٠ مليون دولار من الإنتاج الزراعى للأسواق العالمية.

وقد شجع الإنجاز الزراعى الإسرائيلى كثيرا من الدول النامية للاستفادة من خبراء التربة والمياه الإسرائيليين. ودرس آلاف المزارعين فى القارات الأخرى مشاكل النمو الريفى فى إسرائيل. وفى عالم تتحدد غايته بحكم العلاقة بين تزايد السكان السريع مع نمو المصادر الأبطأ، صارت محققات إسرائيل جديرة بالتأمل والدراسة. وقد كانت الإنجازات ممكنة عن طريق توزيع وتنظيم استخدام مصادر المياه من مصادرها المختلفة بحيرة طبرية والبركون التى نقلت لشمال النجف، وأوصلت رياحات المياة القومية «The Na-tional Water carriers» التى كانت قد استكملت سنة ١٩٦٤ وقد حقق هذا تقدما إسرائيليا باهرا فى الزراعة، لكن الاقتصاد الزراعى كان واضحا إنه لن يتحمل عبء تزايد السكان فى مساحة صغيرة وعلى مستوى مقبول من الحياة المادية والعلمية. وأما النمو الصناعى والتكنولوجى ووسائل الاتصال والمواصلات فهى إنجازات إسرائيل المستقلة، رغم إنه بلغ من الإمكانات ما يقل كثيرا عند البدء عما كان عليه فى المجال الزراعى فى فترة ماقبل الدولة.

وبالرغم من النقد والتشكيك واختلاف الرؤية الذى صاحب عملية النمو الصناعى الإسرائيلى إلا أن النتائج تتحدث بإندهاش. ففى السنة الأولى من استقلال إسرائيل كانت صادراتها أقل من ٣٠ مليون دولار، أى ما يعادل ١١٪ من مستورداتها. وفى نهاية الثمانينات زادت الصادرات عن ١٥٠٠ مليون دولار، حيث غطت ٧٠٪ من المستوردات، وأعطى رأس المال القومى ومشروع السنوات «Bond Issves» واتفاقية التعويض الألمانى مبالغ ضخمة للاستثمار،

فبعد ١٢ سنة كانت إسرائيل تسدد القروض الدولية التى منحت لها فى زمن القحط دون أمل. وعلى الرغم من أن العجز فى ميزان التبادل لايزال ضخما إلا أنه وحتى نهاية الثمانينات كان السياح يصلون إلى إسرائيل بمعدل ٤٥٠ ألف نسمة كل عام. وقد نمت بلدان جديدة من الجليل الأعلى حتى ساحل البحر الأحمر مع بداية النمو الصناعى، فنمت «بئر سبع» من قرية صغيرة ذات أربعة آلاف نسمة إلى مدينة ساخنة صاخبة ومثيرة ذات تعداد يصل إلى مائة ألف، ونمت من لا شئ «اشدود» الميناء البحرى، وتم نقل خط أنابيب الزيت الوقود من إيلات على البحر الأحمر إلى شاطئ البحر المتوسط، وتضاعف إنتاج الطاقة الكهربائية كثيرا. وكان المهندسون والفنيون الإسرائيليون يعدون لعصر الطاقة الذرية فى مفاعلين للأبحاث «ديمونا» و «نهال سوريك».

لقد انهى الأندفاع الصناعى السريع - وكذلك التكنولوجى - التباعد فى المعادلة بين مساحة الأرض وتعداد السكان. وبالتالى يمكن التساؤل: كم تستطيع أن تستوعب إسرائيل؟ وصار الأمر متوقفا على طاقتها التجارية والاقتصادية وليس على مساحتها، والأمثلة المشابهة لدول صغيرة مثل بلجيكا وهولندا والدانمرك وسويسرا، والتى استطاعت أن تحتفظ بكثافة سكانية أكبر من الإسرائيليين فى مساحات الأرض المحدودة، وفى مستوى معيشى مرتفع يجعل مقدرة إسرائيل على امتصاص مزيد من الهجرات البشرية لا علاقة له قط بمساحتها.

التقدم العلمى والتكنولوجى فى إسرائيل

أوحت الحاجة إلى الحصول على الاستخدام الأمثل للمعطيات المحدودة المتوافرة لدى إسرائيل فى سنواتها الأولى إلى حتمية الاعتماد الجدى على العلم والتكنولوجيا، فقبل نهاية الثمانينات كان باحثو وفنيو ومهندسو إسرائيل قد وضعوها عاليا بين الدول المتقدمة علميا، وكان عجيبا أن توجد فى غرب آسيا دولة صغيرة عندها المفاعلات الذرية والعقول الألكترونية، والمعامل والمستشفيات والعيادات الطبية وورش إصلاح الطائرات ومصانع الإلكترونيات، ودلائل أخرى على التقدم العالمى، وروح الاستنتاج. مقاييسه وأحكامه، منطقه ونظامه، الشك والبناء والتماسك العالمى.فالمجتمع الذى تشترك فيه مجموعة الباحثين فى الغوص فى الطبيعة يختلف نوعيا عن المجتمع الذى ليس عنده هذه المجموعة، فعندما أسس «جاييم وايزمان» المعهد العلمى باسمه فى «ريهوفوت»، كان مهتما بالمستوى الثقافى الإسرائيلى بنفس القدر تماما كاهتمامه بأسئلة أساسية مثل: ماهى آثار التقدم العلمى؟ وقد دعمت مكانة إسرائيل فى المحيط العلمى من وضعها بين الأمم، فقبل نهاية الستينات اعتبرت الدولة النامية إسرائيل بمثابة حلقة الاتصال النشيطة بين الدول ذات الاستقلال الوطنى ودول التقدم العلمى، لما تتميز به من وقوعها عند تقاطع الطرق، ليس جغرافيا فحسب بل فكريا أيضا، فهى دولة حديثة فى المجتمع الدولى، وهى كذلك شريك كامل فى مجتمع العلم الدولى، ولاتوجد هناك دولة حديثة أخرى تقف فى نفس الوقت قريبة من حركة التحرير الوطنى وكذلك التقدم التكنولوجى اللذين سادا فى النصف الأخير من القرن العشرين.

غير أن روح العلم تشكل مظهرا واحدا من شخصية إسرائيل الحضارية، ويعتقد كثير من الكتاب والمفكرين أن إسرائيل تمثل أحدث عنصر فى حياة الشرق الأوسط، ساعية للتقدم خلال التفكير العلمى، ولكن الشعور بالارتباط بماضى إسرائيل لا يقل أثرا وفاعلية عن ذلك. فاحياء اللغة العبرية فى المخاطبة اليومية وتطورها فى دقة التعبير، والنتائج الكبيرة فى الاكتشافات الأثرية، ومركز التوراة فى التعليم الدينى والمدنى، والاتجاه إلى الإشارة فى الموضوعات الأخلاقية، إلى الخلق العبرى السائد. كل هذه أعراض تدل على رغبة ملحة للوحدة وللاستسلام الأثرى، وكل ذلك له دلالة واضحة على أن إسرائيل ليست دولة «مخترعة حديثا» تكتب تاريخها على لوحة بيضاء، وأنها الدولة الوحيدة فى العالم التى تتكلم نفس اللغة وتتمسك بنفس العقيدة. وتشغل نفس رقعة الأرض التى كانت عليها قبل ثلاثة آلاف سنة، وأصالة العلاقة بين هذا الشعب وأرضه هى موضع الأشكال فى الحوار الثنائى مع المنطقة العربية والعالم الخارجى. فهناك إذن ملحوظة عن الاقتصاد الحديث فى كل دليل جديد على الاستمرار التاريخى، فقد اكتشفت حصون الممالك اليهودية. فى جنوب القدس، واستخرج من الأرض معبد إسرائيلى فى النجف الأوسط، وتؤكد اللفائف العبرية القصة السائدة عن الثبات العبرى واخر ثورة، كما وجدت خطابات من «باركوتشبا» لجنوده فى المناطق اليهودية الموحشة مع دلالات أخرى عن حياة العبريين فى وقت الثورة ضد روما سنة ١٣٥ ، والهياكل العظيمة لهؤلاء الذين قتلوا عائلاتهم لتفادى الاستسلام المهين تعطى شهادة فائقة على البطولة القديمة، كل ذلك يرفع الخيال التاريخى فى شباب الأمة والتنافس فى

دراسة التوراة، يتبعه عادة مناقشات حادة من النوع الذى تعطيه أكثر الدول للمباريات الرياضية.

وتعتمد جميع الحركات القومية اليهودية فكرة عبرية قديمة كمنطلق لها، ولكن إسرائيل لها مخزون من الثروة الأدبية اليهودية من العصور الوسطى والحديثة والإنسانيات الأوربية وعلوم القرن العشرين. وتنتمى حضارتها الحديثة - خارج نطاق الأدب - إلى الشكل الأوربى والبحر والمتوسط مع إضافة بعض سمات شرقية إليه، وتوجد حيوية تجريبية فى الموسيقى والفن التشكيلى.

والجديد فى حضارة إسرائيل هو مبدأ المساواة. فليس هناك حواجز تعيق الإحساس بالفرق بين المدينة والقرية، وبالتالى فليس ثمة حواجز أو عوائق تقف فى طريق أى فكرة أو صورة أو رسم أو نحت أو افتراض تعرض كل ذلك عبر المظهر القومى العام.

ولقد كان سكان ماقبل الدولة مجموعة مختارة «ELITE» فى كثير من الإعتبارات. جاوءا من طفرة مثالية شكلت جزءا من تاريخ أوربا الحضارى. وعليه بدت الهجرة الجماعية من دول أقل تقدما كعنصر تهديد لمستوى الدولة الثقافى على المدى القريب، إلا أنه فى المدى الطويل يظهر أن الأختلاف والنشاط اللذين صاحبا أزمة المهاجرين قد عملا فعل الفوار رغم أن النتيجة المباشرة قد تكون مربكة، وفى نفس الوقت صارت فكرة الحفاظ على المساواة فى فرص الثقافة تشغل فكرة الحركة التعليمية بشكل أساسى فى الستينات، وشبكة المدارس التى تضم أكثر من ٧٠٠٠٠ ألف تلميذ فى التعليم الأبتدائى وما بعده كانت متوجة لإنجازات إسرائيل فعندما

تضاعف عدد السكان ثلاث مرات، تمدد نظام التعليم ستة أضعاف، وكان السؤال هو ما إذا كان سيظهر قطاع متخلف ثقافيا بين ثلث السكان الذين ترجع أصولهم إلى دول إسلامية، هؤلاء المهاجرون البعيدون عن الثقافة اليهودية السائدة. رغم أن تقواهم الدفينة منحتهم أساسا متينا فى المعرفة العبرية. هل سيقتصر التعليم العالى على مهاجرى أوربا وأبنائهم؟ بينما يبقى الجزء الشرقى من المجتمع فى الجانب الاخر؟ إذا كان الأمر كذلك فإن فرصة إسرائيل للوصول إلى تماسك اجتماعى وروحى ضئيلة، وقد واجهت الحركة التعليمية هذا المأزق بفاعلية، حيث أعتبر أهم من الطموح العلمى، فبذلت المجهودات الجبارة لزيادة الفرص أمام التلاميذ من البيوت الفقيرة الذى ينتمون غالبا إلى أصل أفريقى أو آسيوى للتعليم الثانوى والجامعى. ولم يكن التقدم بالسرعة التى توقعها الكثيرون أو بالبطء الذى خشيه الكثيرون، ولكنه كان محسوسا بشكل كاف لتوقع اليوم الذى يتساوى فيه كل الإسرائيليين فى تحصيلهم العلمى على اختلاف أصولهم. وبالتالى يتساوون فى الفرص الاجتماعية، وفى بعض الأحيان ظهرت فى فترة الأنتقال ثرثرة مبالغ فيها من قبل الفوضويين.

ولكن الزمن والعمل الجدى كانا يضيفان بعدا على الشقة. وتشعبت الجامعة من القدس وحيفا وريهوفوت إلى جامعة تل أبيب وجامعة وبارعلان فى رمت جان. واتسع الأساس العريض ليضم شمل مجموعات المهاجرين، وبالنسبة للجيل الثانى كان كل عدم تساوى قد زال إلى حد كبير.

ولم يكن هناك شك فى أن اتجاه المساواة يسير إلى أعلى وليس إلى أسفل. وقد أحس بعض الكتاب اليائسين من أى صلح بين العرب

وإسرائيل اليهودية الغربية براحة وهمية لسببين: أن إسرائيل ستتحول تدريجيا إلى «شرقية» حتى تتخلص من كل الصفات التى تفصل بينها وبين دول الشرق الأوسط الأخرى، وإنه سينتهى كونها «صهيونية» على أساس إحساس بقرابة مع اليهود خارجها. وبمعنى آخر فإسرائيل لن تبقى إسرائيل لمدة طويلة فسوف تذوب فى خضم المحيط العربى حولها [١].

وسواء أكان هذا حلا للخلاف العربى الإسرائيلى أم لا فهو أمر ثانوى، حيث لا يوجد احتمال تحقيقه. فإن إسرائيل ستبقى حتما لا عربية فى لغتها وفكرها وطريقة تصوراتها.. وستبقى صلاتها اليهودية الخارجية أقوى من صلاتها بمحيطها العربى. فقد تعلمت فى سنة ١٩٦٧ أن بقاءها الفعلى يعتمد على اتصالها العضوى بالعلم والتكنولوجيا والتضامن الاجتماعى والديمقراطية والتى تميزها عن جيرانها، نفس الصفات التى اختلفت فيها معهم كانت هى الأسباب التى جعلتها قادرة على مواجهة الاعتداء، فقد تصير إسرائيل جزءا من دول البحر المتوسط، ولكن الروح يهودية أكثر من كونها عربية. إن الأحتمال الأكبر هو أن يصير العرب «غربيين» يعتنقون الديمقراطية والتكنولوجيا، لا أن تصبح «إسرائيل» كما يتصور بعض الأوربيين «دولة أخرى من دول البحر المتوسط».

إن أصول إسرائيل ووسطها الجغرافى أقدم، وكذلك انتماءها للشرق الأوسط لا يقل أصالة عن نظيراتها العربية. ولكن إسرائيل لن تكون «أخرى» لأى سبب.. ستكون هى ذاتها محددة كلية، تستجيب

(١) يختلف هذا الرأى مع رأى أبا إيبان.

للأختلاف الطبيعي وليس للتجانس الزائف للشرق الأوسط، إن السؤال هو: هل ستعيد المنطقة مجدها عندما تصبح اليهودية والمسيحية والإسلام والهلينية والحضارة الرومانية جميعا عناصر تكوينها المركب، ذلك لأنه لا يتحتم أن تنتمى للشرق الأوسط أن تكون عربية أو مسلمة. وليس هناك اعتداء على تقليدية الشرق الأوسط أن تعيش وتزدهر غير عربية وغير مسلمة فى الوطن الأصلى للفكر والموروث العبرى.

إن السؤال ليس ما إذا كانت إسرائيل ستغير طبيعتها الخاصة.

وإنما ما إذا كان العرب سيقبلون إسرائيل كما هى [١].

---

(١) رأى أبا إيبان فى كتابه (شعبى).

القسم الثالث

الأوضاع فى مصر وظهور جمال عبد الناصر ١٩٥٢



البكباشى عبد الناصر زعيم ثورة يولية ١٩٥٢ .

١ ـ قبل عام ١٩٥٢ :

المد الصهيونى والدعم الأمريكى

(أ) لم تبدأ الثورة فعلا فى يوليو ١٩٥٢ فى مصر بل يمكن أن نقول أنها أعلنت عن نفسها فى هذا اليوم، أما البدايات الحقيقية والمقدمات الفاعلة فكانت قبل ذلك.

ويمكن أن نرصد عاملين رئيسيين كان لهما أثرهما فى تحفيز الجيش لقيادة الثورة:

العامل الأول:

هو الحركة الصهيونية التى دعمتها بريطانيا بوعد بلفور عام ١٩١٧، وقد نجحت هذه الحركة فى إقامة علاقات ناجحة مع الولايات المتحدة الأمريكية ـ تلك الحركة التى برزت بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد بدأت هذه الحركة فى التعلق بالركب الأمريكى، حيث استطاعت أن توفق علاقاتها مع الحزبين الرئيسيين فى الولايات المتحدة الأمريكية، كما استطاعت أن تتحالف مع القوى الأمريكية المؤيدة لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، مما أدى بهذه الضغوط الأمريكية إلى إعلان بريطانيا تشكيل لجنة خاصة للخروج بتوصيات تهتدى بها الحكومة تجاه القضية الفلسطينية، وقد رفضت الإدارة الصهيونية اتجاهات هذه اللجنة لاعتقادها أنها لاتف بالتطلعات الصهيونية، وعليه فقد تشكلت لجنة بريطانيا أمريكية مشتركة لتقصى الحقائق من أثنى عشر عضوا برئاسة مزدوجة بريطانية وأمريكية.

وفى عام ١٩٤٦ أصدرت هذه اللجنة عدة توصيات تفتح الباب على مصراعيه أمام الهجرة اليهودية. وتلغى ماجاء بالكتاب الأبيض البريطانى المتوازن لعام ١٩٣٩، ثم استمر الضغط الأمريكى لصالح الحركة الصهيونية. وخاصة عندما ضغطت حكومة الرئيس ترومان على الأمم المتحدة لإصدار قرار التقسيم عام ١٩٤٧ .

كما ساندت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، حيث اعترفت بها حكومة الولايات المتحدة فور إعلانها.

العامل الثانى:

كانت الحرب التى خاضها الشعب الفلسطينى فى مواجهة العصابات الصهيونية مثل الهاجاناه واتسل وليومى - حربا غير

متكافئة سواء من حيث الدعم المالى أو من حيث مجالات التسليح والمعلومات، كما أن الدول العربية دخلت الحرب عام ١٩٤٨ فى ظروف غير مواتية، إذ كان الاستعمار البريطانى لايزال يجثم على صدورها وذلك فى مواجهة الدعم الأمريكى الكامل لإسرائيل.

وقد شارك، ضمن القوات المصرية، الضابط جمال عبد الناصر فى الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ وحوصر فى منطقة الفالوجا ولمس دور الأسلحة الفاسدة فى هزيمة الجيش المصرى، كما أحس بالفساد الذى أخذ ينخر فى عظام الدول العربية.

وبإعلان الهدف بعد حرب ١٩٤٨ تنامى انحياز الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لإسرائيل، إذ اجتمعت هذه الدول وأصدرت التصريح عام ١٩٥٠ بغرض حماية إسرائيل وتأكيد حدودها التى وصلت إليها عبر إتفاقيات الهدنة - وليس حدود التقسيم عام ١٩٤٧ - كما قدمت الولايات المتحدة الدعم الاقتصادى لإسرائيل.

كل هذه الظروف الخارجية أثرت على تفكير الضباط الأحرار وقائدهم جمال عبد الناصر تأثيرا مباشرا جعلتهم يفكرون جديا فى ضرورة التخلص من الاستعمار البريطانى والفرنسى للدول العربية وكيفية مواجهة الدعم الغربى الإقتصادى والسياسى لإسرائيل وطريقة مواجهة عربدة القوة الإسرائيلية فى أرجاء العالم العربى.

(ب) - الوضع الداخلى فى مصر:

- إذا كان الاستعمار يجثم على صدر مصر ويتمركز فى قواعده فى منطقة القناة وكانت حكومات مصر تحاول عبر مفاوضات ولقاءات طويلة اقناع الاستعمار بالرحيل إلا أن هذه الحكومات المتعاقبة قد

فشلت فى مواجهة الاستعمار حيث كانت تتفاوض من مركز الضعف.

- كما كان الأقطاع يستولى على معظم الأراضى الزراعية ويتعامل مع الفلاحين وزراع الأرض بالغبن تارة والتهديد والقوة تارة أخرى.
- كما استغل رأس المال المصرى فى السيطرة على الأحزاب والضغط عليها والتحالف أحيانا مع الأستعمار.
- وكان الجيش المصرى وخاصة طلائعه الثائرة لا ترضى عن مجمل الأوضاع فى مصر، ولا ترى فى التغيير الجزئى خلاصا للوطن ، بل وقر فى ذهنها ضرورة إنهاء وطأة الاقطاع ورأس المال اللذان كانا عقبة أمام إقامة نظام يرسى قواعد العدالة الاجتماعية.
- وكانت الحياة السياسية فى ذلك الوقت تحظى بغطاء ديمقراطى وهامش معقول من الحرية السياسية، إلا أن هذه الديمقراطية كان يعوقها فى بعض الأحيان تدخل «السراى» ومناورات «الاستعمار» وضعف واستكانة معظم القوى السياسية الوطنية.
- وكان من جراء ذلك كله تعبير القوى الشعبية الحقيقية عن غضبتها فقامت المظاهرات وأثيرت القلاقل فى مواجهة الأستعمار والقصر والذى بلغ أوجه بحريق القاهرة فى ١٩٥٢/١/٢٦ ومن خلال المواجهات المسلحة الفدائية ضد القواعد البريطانية على طول القناة، وبذلك أصبحت مصر بمثابة بركان يغلى على وشك الانفجار.

٢ ـ اندلاع الثورة واتساعها:

(أ) وهكذا بعد أن تهيأ مسرح الأحداث تفجرت الثورة يوم ١٩٥٢/ ٧/٢٣ .وقد لجأ قائدة الثورة ـ جمال عبد الناصر ـ إلى عدة إجراءات لتأمين الثورة ومنها:

- الاستيلاء على السلطة بدعم كامل من الشعب فى ١٩٥٢/٧/٢٣ .
- طرد الملك فاروق فى ١٩٥٢/٧/٢٦ .
- إلغاء دستور عام ١٩٢٣ فى ١٩٥٢/٩/١٠ .
- اصدار مرسوم فى ١٩٥٣/١/١٣ بإقامة لجنة لوضع مشروع الدستور الجديد ثم إصدار الإعلان الدستورى فى ١٩٥٣/٢/ ١٠ بتحديد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات مع تقرير مبدأ أن الأمة مصدر السلطات وأن المصريين أمام القانون سواء وكفالة حرية الرأى والعقيدة.
- اعلان الجمهورية فى ١٩٥٣/٦/١٨ .
- إصدار قرار بحل الأحزاب بما فى ذلك حزب الوفد الذى كانت له مواقف تساندها الجماهير فى مواجهة السراى والاحتلال.
- إصدار قوانين الإصلاح الزراعى فى ١٩٥٢/٩/٩ .
- تمصير الأقتصاد المصرى إبتداء من عام ١٩٥٧ .
- إصدار قوانين يوليو الأشتراكية فى يوليو ١٩٦١ .

(ب) وقد اهتمت الثورة وقائدها منذ البداية بدعم رؤية «القومية العربية» وتحول جمال عبد الناصر إلى بطل القومية العربية

وخاصة بعد مواجهته للاستعماريين البريطانى والفرنسى وللعدوان الإسرائيلى عام ١٩٥٦ ، وأصبحت القومية العربية صفة لصيقة بقائد ثورة يوليو الأمر الذى أثار حساسية عدد من الدول العربية المحافظة التى خشيت على أنظمتها وخاصة بعد أن أسرعت مصر إلى نجدة ثورتى اليمن الشمالى عام ١٩٦٢ واليمن الجنوبى عام ١٩٦٣ .

(جـ) ثم كان تحرك الثورة لكسر احتكار السلاح دفاعا عن النفس لاسيما أن إسرائيل كانت تحصل على السلاح من عدة مصادر غربية تمكنها من العربدة فى المنطقة دون مقاومة، وهو أمر أخل بالتوازن العسكرى فى الشرق الأوسط.

وقد لجأت مصر إلى الكتلة الشرقية للحصول على احتياجاتها من السلاح وهو أمر حرك الغرب للضغط على مصر، اقتصاديا، وسياسيا، وانتهى الأمر بسحب الدول الغربية بتمويل مشروع السد العالى عام ١٩٥٦ ، مما دفع عبد الناصر إلى تأميم قناة السويس.

(د) ونتيجة التحولات الاجتماعية التى أحدثها عبد الناصر فى مصر وقيامه بكسر احتكار السلاح ومساندته لثورة اليمن ومعاداته للأحلاف والقواعد العسكرية الأجنبية، نتيجة ذلك حدث نوع من التقسيم بين دول الشرق الأوسط - بسبب تخوف الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة من التغلغل الشيوعى، إلى الشرق الأوسط، حيث وضعت فيه الدول العربية ذات التوجه الوطنى التحررى فى سلة واحدة مع الاتحاد السوفيتى ووضعت فيه إسرائيل وبعض الدول العربية المحافظة فى سلة مقابلة مع الغرب والولايات المتحدة، مما أدى إلى تضييق الخناق على مصر ومحاصرتها.

القسم الرابع

الولايات المتحدة والشرق الأوسط بعد قيام دولة إسرائيل وحرب ١٩٤٨

الولايات المتحدة والشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية.

تمهيد عام

قبل انتهاء الحرب كانت الظروف كلها مواتية إلى أن تتغلغل الولايات المتحدة فى المنطقة بكل امكانياتها وذلك حينما أقامت لنفسها قواعد عسكرية وجوية فى ليبيا والسعودية وإيران كما قدمت لعدة بلاد مساعدات ضخمة اقتصادية وفنية.

وبعد الحرب حصلت تغيرات جذرية فى السياسة العالمية زلزلت قواعد الاستعمار الأوربى القديم فى منطقة الشرق الأوسط ليحل محلها الاستعمار الأمريكى الجديد. ومن أهم هذه التغيرات:

١ ـ انتقال قاعدة النفوذ الصهيونى من انجلترا إلى أمريكا.

(ب) قيام ثورات وطنية فى بعض بلاد الشرق الأوسط أودت بالاستعمار وجعلت بعض الشعوب تنعم بالاستقلال.

ولما كان الشرق الأوسط مجالا حيويا بالنسبة للثروات الطبيعية وخاصة البترول، وموقعا استراتيجيا هاما فى خريطة العالم، وسوقا استهلاكية جبارة للمنتجات الامريكية، فقد رأى الساسة الأمريكيون

تثبيت قواعدهم فى هذه المنطقة حتى لاتقع فى يد الأتحاد السوفيتى وتستخدم ضد مصالح امريكا.

وعلى ذلك فقد عملت السياسة الأمريكية منذ سنة ١٩٤٦ على منع امتداد النفوذ الشيوعى (بما فى ذلك الصين) ومحاربة التوسع الروسى بقدر المستطاع لضمان أمن أمريكا وحريتها. اذ أنه لو تغلغل النفوذ السوفيتى فى منطقة الشرق الأوسط أدى ذلك إلى حدوث تغير حاسم فى ميزان القوى العالمية. لو حدث أن روسيا استولت على منابع البترول فى الشرق لم يؤد ذلك إلى حدوث خلل خطير فى اقتصاديات العالم الحر فحسب بل أنها بذلك تكون قد سيطرت على شريان الحياة للقارة الاوربية، وعلى ذلك فلا يمضى وقت طويل حتى يضطر حلفاء أمريكا فى أوربا ان يخضعوا لروسيا وحينئذ تجد أمريكا نفسها فى عزلة تهدد بقاءها وتهدم صرحها الاستعمارى فى أوربا[٨١].

يضاف إلى ذلك خوف الولايات المتحدة من أنه اذا انتصرت الشيوعية فى الشرق الأوسط الذى هو قلب العالم الإسلامى - فسوف يكون ذلك مقدمة لانتصارها فى آسيا وافريقيا. لذلك كان من المسائل الحيوية لأمريكا ان يظل الشرق الأوسط مرتبطا بها، داخلا فى نفوذها بدعوة أنه جزء مما يدعونه العالم الحر.

كان من نتيجة هذه السياسة أن عملت الولايات المتحدة على أن تتسلم القواعد العسكرية والسياسية لبريطانيا وفرنسا فى الشرق الأوسط، وبدأت تقوم بالدور الفعال من خلال تخطيط محكم يكفل لها السيطرة الكاملة. وأهم عناصر هذا التخطيط:

(أ) مشروع الضمان الجماعى العربى. سنة ١٩٤٩ .

(ب) مشروع قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط.

(ج) حلف بغداد.

(د)- مشروع ايزنهاور.

(هـ) التدخل فى النزاع العربى الاسرائيلى فى مختلف مراحلة.

ونظرا إلى أهميـة هذه المرحلة فى السياسة الأمريكية بالنسبة لحوادث الشرق الأوسط فقد رأينا ان نقف عندها قليلا لنلقى عليها بعض الضوء فى الصفحات التالية.

الولايات المتحدة الأمريكية

و

الشرق الأوسط

أولا: مقدمة:

يمكن تقسيم المراحل التى مرت بها علاقة الولايات المتحدة بالشرق الأوسط إلى مراحل ثلاث.

فالمرحلة الأولى: وهى ماقبل قيام الحرب العالمية الأولى، لم تكن للولايات المتحدة الأمريكية اهتمامات بمنطقة الشرق الأوسط نظرا للبعد النسبى - فى ذلك الحين - بينها وبين تلك المنطقة، يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت كانت تولى اهتمامها لمصالحها فى نصف الكرة الغربى والشرق الأقصى.

ونتيجة بعد الولايات المتحدة عن الشرق الأوسط بوصفه من عوامل عدم اهتمامها بتلك المنطقة، فقد انعدمت تقريبا المصالح الأمريكية بها خاصة وأن الوقت لم يكن مناسبا لأن تدخل أمريكا فى صراع ومواجهة مع الدول الغربية التى كانت تتطلع دائما للمنطقة وتسعى للسيطرة عليها.

والمرحلة الثانية: وهى ما بين قيام الحرب العالمية الأولى حتى قيام الحرب العالمية الثانية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لم تشترك فى الحرب الأولى لسبب راجع إلى الوضع فى الشرق الأوسط، بل بعد نهاية الحرب العالمية الأولى يظهر بوضوح أن الولايات المتحدة لم يكن لها موقف محدد بالذات من المسألة الشرقية، بل وقد تعمد الرئيس الأمريكى «ويلسون» فى نقاطه الأربع عشرة الا يقيد الولايات المتحدة بخطة معينة بالنسبة للمسألة الشرقية، وأن كانت قد اتفقت مع حليفتيها بريطانيا وفرنسا على مبادئ اساسية ثلاثة بالنسبة للشرق الأوسط وهى:

(أ) الباب المفتوح.

(ب) احترام الحقوق الدولية القائمة فعلا.

(جـ) عدم انهاء أى امتيازات سبق منحها لامريكا دون موافقتها رسميا.

ثم ظهر بعد ذلك عامل البترول، فقد تواتر الحديث عن مخاوف الولايات المتحدة من نضوب ابارها البترولية، فعمدت إلى دعم الحقوق التى سبق للشركات الأمريكية البترولية الحصول عليها فى الامبراطورية العثمانية، مع السعى طبقا لسياسة الباب المفتوح والمطالبة ببعض الحقوق الجديدة البترولية.

وقد ظهر ذلك من دعم الولايات المتحدة لموقف شركة ستاندارد اويل اوف نيويورك التى كانت تعمل فى فلسطين والعراق والتى تعرضت لتعسف السلطات البريطانية فى فلسطين والعراق ، ودعمت أيضا مركز نفس الشركة فى إيران، ثم لم تلبث الشركات الامريكية ـ

تسـاندها بالطبع الحكومـة الأمـريكيـة ـ حـتى تسللت إلى الكويت والبحرين والسعودية.

والمرحلة الثالثة: هى مابعد الحرب العالمية الثانية، وهى الفترة التى وجهت فيها الولايات المتحدة اهتمامها للشرق الأوسط، بعد ان خرج الحلفاء ـ باستثناء الولايات المتحدة ـ منهكين بشريا واقتصاديا، ثم بدات تسعى لتحل محلهم لكى تملأ ما اسمته بالفراغ الذى نشأ بجلائهم عن مناطق نفوذهم ودخلت بكل ثقلها وعلى نطاق واسع بطريقة تختلف عن طريقة العزلة التى كانت تسير عليها من قبل، فأقامت لنفسها اثناء الحرب ذاتها قواعد عسكرية وجوية فى ليبيا ومصر والسعودية وإيران، وقدمت المساعدات الاقتصادية والفنية، وتمت زيارات امريكية من مسئولين أمريكيين للمنطقة على أعلى مستوى.

وبدا اهتمام الولايات المتحدة بصفة واضحة بمشكلة فلسطين سنة ١٩٤٤، وأصبحت المشكلة الفلسطينية أحد عناصر الدعاية الانتخابية الأمريكية لكسب أصوات اليهود وتأييدهم، كما لعبت الولايات المتحدة دورا هاما من أجل استقلال سوريا ولبنان، وتظاهرت الولايات المتحدة بانتهاج خط تحررى يتمشى مع حكام الشرق الأوسط فى الوقت الذى كانت تعمل على الحلول محل الاستعمار القديم وتتقدم لملء الفراغ واحتواء الشرق الأوسط داخل منطقة النفوذ الأمريكى.

وأخذت بريطانيا تنسحب بالتدريج من الشرق الأوسط تاركة اياه حقلا للصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ودول الشرق الأوسط التى ظلت تسعى لتملأ بنفسها ما سمى بالفراغ.

ولكن الولايات المتحدة قد أعلنت مبدأ «ترومان» فى مارس ١٩٤٧ بهدف حصر الاتحاد السوفيتى وإحباط خططه فى الشرق الأوسط، وكان ذلك بمناسبة أحداث تركيا واليونان، وعلى ذلك منحت الولايات المتحدة لتركيا واليونان مساعدات ضخمة مالية وعسكرية لمواجهة الخطر الشيوعى.

ثانيا الولايات المتحدة وسياسة الأحلاف فى الشرق الأوسط:

قامت الولايات المتحدة الأمريكية - التى كانت تنتهج مبدأ العزلة بين الحربين الأولى والثانية قامت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بأكبر دور فى تنظيم وتخطيط الأحلاف بهدف المحافظة على مصالحها وأمنها الذى أصبح حسب ماتزعم يشمل سائر أنحاء العالم والشرق الأوسط بالذات، يشير إلى ذلك تصريح «دالاس» عن الشرق الأوسط (إذا سقطت هذه القلعة فى أيد السوفييت فإن ذلك من نتائجه اختلال فى ميزان القوى، ومن نتائجه سيطرة السوفييت على همزة الوصل بين مواصلات الغرب والشرق ومواصلات آسيا وأفريقيا) ولذلك أعلنت الولايات المتحدة أول الأمر فى مارس ١٩٤٧ «مبدأ ترومان» ثم دعت إلى مشروع قيادة الشرق الأوسط فى أكتوبر ١٩٥١ عقب قيام مصر سنة ١٩٥١ بإلغاء معاهدة ١٩٣٦، وقد ربطت الولايات المتحدة بين هذا المشروع وبين حلف شمال الأطلنطى، وبموجب المشروع توضح جميع القوات المسلحة لدول المنطقة تحت قيادة موحدة تخضع للغرب وتقبل بموجبه دول المنطقة وجود قوات دول الغرب على أراضيها ووضع قواعدها



فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة سحب تمويل السد العالى وصاحب مقولة يجب أن يوضع عبد الناصر فى حجمه الطبيعى صاحب فكرة حلف بغداد والسيطرة الأمريكية على الشرق الأوسط.

العسكرية وموانيها وطرق مواصلاتها ومنشئاتها تحت تصرف القيادة الموحدة، ولكن مصر رفضت هذا المشروع.

وبدلا من تركيز الولايات المتحدة على القاهرة عمدت إلى الإرتباط مع دول المنطقة بإتفاقيات ثنائية تستكمل بها الحزام الممتد من أوروبا إلى الشرق الأقصى (هذه الدول هي إيران وباكستان والعراق والمملكة العربية السعودية ولبنان وإسرائيل).

حلف بغداد: وتوسعت الولايات المتحدة فعمدت بالتعاون مع بريطانيا إلى إنشاء حلف بغداد (رغم عدم إنضمام الولايات المتحدة رسميا للحلف) في فبراير ١٩٥٥ وفشلت محاولات الحلف لضم مصر والأردن والسعودية ولبنان والكويت، ومن المعروف مصير الحلف الآن وما آل إليه.

مشروع أيزنهاور: وبمساعدة النظم التحررية الناشئة تمكن السوفيت من كسر الحصار الذى فرضه الغرب عليهم بمساعدة هذه النظم التحررية على مقاومة نفوذ الغرب، الأمر الذى دعا الولايات المتحدة لإعلان«مشروع أيزنهاور» الذى يقضى باستعداد الولايات المتحدة لمساعدة دول الشرق الأوسط على تطوير اقتصادياتها وتقديم المساعدات العسكرية فى حالة طلب أى دولة من دول الشرق الأوسط حمايتها من أى اعتداء مسلح تقوم به أى دولة خاضعة لسيطرة الشيوعية الدولية، وقد باء المشروع بالفشل خاصة وأنه كان مبررا لتدخل الولايات المتحدة فى لبنان. فكان المشروع صورة من صور فشل السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط.

ثالثا الولايات المتحدة الأمريكية والقضية الفلسطينية:

منذ نشوب الحرب العالمية الثانية، أخذ اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بشئون منطقة الشرق الأوسط يتزايد، خاصة وأن المصالح الأقتصادية الأمريكية كانت قد بدت حاجتها لوجود سياسى أمريكى نشط يؤمنها.

ومن هنا بدأ اتجاه أمريكى يهتم بفلسطين ويدعو لتسوية مشكلتها بالأتفاق مع الاتحاد السوفيتى وفى إطار الأمم المتحدة التى كانت بشائر قيامها لاحت فى الأفق، وعلى ذلك فالخط الاستراتيجى الأمريكى منذ عام ١٩٤٥ قائم على أساس إمكانية التعايش بين الوجودين الأمريكى والسوفيتى فى الشرق الأوسط وعلى هذا الأساس تدور السياسة الأمريكية إزاء القضية الفلسطينية رغم بعض تغيرات عارضة تؤثر على جوهر الخط الأمريكى أو الخط السوفيتى إزاء المشكلة الفلسطينية بوجه خاص وشئون الشرق الأوسط بوجه عام.

ففى نفس الفترة المعاصرة - فى الأربعينات - كان الأتحاد السوفيتى أيضا يولى وجهة شطر الشرق الأوسط بالذات إلى فلسطين، ولم تتورع مجلة «كومينيست انترناشيونال» عن مهاجمة قادة العرب (إن العناصر الرجعية بين العرب تخون باستمرار مصالح بلادها وأن رئيس العصيان المفتى أمين الحسينى جاسوس مأجور للفاشستية الألمانية)، ولم يكن هجوم السوفيت فقط بسبب تعاطف قادة الحركات الوطنية العربية وقتئذ مع الألمان وإنما بسبب اتجاه الحركة الصهيونية إلى إعلان تعاطفها مع الأتحاد السوفيتى وتأييدها له فى الحرب مستغلين سياسة التعاون مع كل القوى التى من شأنها تدعيم موقفه العسكرى والتى أتبعها للسوفيت خلال تلك الحرب.

ووصف أحد الكتاب الصهاينة الموقف فى تلك الفترة بأن (الظروف تدفع روسيا السوفيتية إلى تحالف قوى مع اليهود الفلسطنيين معطية تأييدها غير المشروط بفلسطين اليهودية، وباتباع هذه السياسة فإن روسيا لن تكسب فقط الاعتراف بالجميل الأبدى مع عديد من المجموعات اليهودية في العالم بل أنها أيضا ستحصل على مركز ممتاز فى الشرق الأوسط) (كتاب نيفيل).

وعلى ذلك أقيمت علاقات وثيقة على المستوى النقابى بين يهود فلسطين وعمال الأتحاد السوفيتى، بل وصرح «ايفان مايسكى» نائى رئيس قومسيير الشئون الخارجية السوفيتى لدى زيارته للمستعمرات اليهودية فى فلسطين سنة ١٩٤٣ (يجب أن يكون واضحا أن اليهود التقدميين في فلسطين سيحصلون على تأييدنا المتزايد أكثر من العرب المتخلفين الذين يحكمهم الملوك الاقطاعيين). لذلك لم يكن غريبا أن يبادر الأتحاد السوفيتى إلى الاعتراف بإسرائيل بحجة الدفاع عن حقوق الشعوب فى تقرير مصائرها وحق كل شعب فى إقامة دولته الوطنية المستقلة.

ولكن الغرب - وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية - تخوف من نشاط الاتحاد السوفيتى الذى كان يهدف لإضعاف النفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط ظنا من السوفيت أن إسرائيل ستكون معادية لبريطانيا، وسعيا من الاتحاد السوفيتى لتأمين حدوده الجنوبية حتى لا تستخدم منطقة الشرق الأوسط كمنطقة وثوب إلى أراضيه، وسعيا - أيضا - لخلق دولة فى الشرق الأوسط تكون نواة للاضطرابات وذريعة للتدخل ونشر الشيوعية فى العالم العربى.

وأما الولايات المتحدة فإنها فوق إدراكها الأهداف السوفيتية السالفة فإنها رأت أيضا أن المصالح الأمريكية بالمنطقة فى حاجة إلى دولة كإسرائيل قوية تخضع للحماية الأمريكية.

وعلى ذلك فإن اعتراف السوفييت والولايات المتحدة الأمريكية بإسرائيل لم يكن لمجرد الاستجابة للضغوط اليهودية على أى منهما إنما كان بحسب مصالح كل منهما واللتين يتعارضان مع بعضهما البعض.

وعملت الولايات المتحدة منذ نشأة إسرائيل حتى عدوان ١٩٥٦ على تدعيم مصالحها الحيوية فى منطقة الشرق الأوسط - سواء عن طريق الأحلاف على ما سلف، أو من الناحية الاقتصادية - وحاولت الولايات المتحدة السيطرة على التحركات الإسرائيلية حتى لاتتعارض مع مخططاتها إزاء العالم العربى، واستعانت على ذلك بسلاح المعونات العسكرية والاقتصادية لإسرائيل، مع عدم تخلى الولايات المتحدة لحظة واحدة عن ضمان أمن إسرائيل، ويشير إلى ذلك موقف الولايات المتحدة سنة ١٩٥٦ عندما خشيت الولايات المتحدة أن يؤدى عناد إسرائيل فى الانسحاب إلى تدخل الأتحاد السوفيتى كطرف فى أزمة الشرق الأوسط، فوقفت من إسرائيل موقف الضغط من أجل الأنسحاب، ووقفت من الأتحاد السوفيتى موقف الحزم معارضة المحاولة السوفيتية للأشتراك عسكريا مع الولايات المتحدة ضد (قوى الغزو).

وبعد انقشاع غمة العدوان الثلاثى وإرتفاع لواء القومية العربية فى منطقة الشرق الأوسط على أساس ثورى، أخذ القلق يساور

الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى ذلك صدر مبدأ أيزنهاور فى يناير ١٩٥٧ بقصد الحفاظ على الوضع الراهن فى المنطقة العربية، هذا المبدأ الذى قبلته كل من العراق ولبنان وليبيا ـ والسعودية واليمن وإسرائيل.

وعلى ذلك فقد ظهر أساس جديد قامت عليه علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل، هو «مبدأ ايزنهاور»، أو الاشتراك فى خط واحد هو المحافظة على الأوضاع الراهنة بالمنطقة، وقد عبر عن ذلك السناتور «سمنجتون» عضو لجنة الشئون الخارجية الأمريكية ١٩٦٢/٤/١١ فاعترف بأنه (فى حالة غياب إسرائيل فإن الوضع بالمنطقة يزداد تدهورا، فإسرائيل عنصر استقرار).

ومن هنا كانت إسرائيل ووجودها عنصرا من العناصر ذات الأولوية لدى رسم وتخطيط استراتيجية الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط. فإذا ما أمكن استعراض الأوضاع سنة ١٩٦٧ لأمكن الشعور بأن رد الفعل الرسمى الأمريكى لنتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ كانْ مشوبا بالأرتياح توقعا من الولايات المتحدة أن هذا الأنتصار الخاطف الإسرائيلى كفيل بإنهيار النظم الثورية فى المنطقة العربية رغم صمود شعب مصر وقدرتها على مواجهة تلك الأيام العصيبة.

وأخذ المخطط الأمريكى صورة جديدة، فبدلا من أن يكون الأمر (عدوان إسرائيل) أثرت الولايات المتحدة مناقشة (النزاع العربى الإسرائيلى بوصفه موضوعا واحدا) وبذلك أرادت وضمنت لإسرائيل أن يكون انسحابها مرتبط بالتزامات عربية مقابلة.

وإلى الآن لاتزال هذه الصورة (الجديدة) هى التى تعمل الولايات المتحدة على العمل فى إطارها سواء كان ذلك فى «اجتماع جلاسيور» أو فى يونيو ١٩٦٧ أو فى مختلف مراحل عرض النزاع على الأمم المتحدة أو من خلال الاجتماعات الرباعية أو الثنائية للقوى الكبرى.

وقد أعلن نيكسون مرة أخرى عن الخط السياسى الأمريكى إزاء المنطقة فى ١٩٦٨/٩/١٠ فذكر (أن مساندة الولايات المتحدة لإسرائيل ليست من قبيل الدعاية أو لجذب أصوات اليهود، بل نتيجة للأعتقاد إنها مهددة من الاستعمار السوفيتى من ناحية، ولأن وجودها يحقق الآمال البعيدة داخل منطقة الشرق الأوسط من ناحية أخرى)، وأضاف (يجب أن نوضح للسوفيت بما لا يدع مجالا للشك كل تصميم من جانبنا لإجبارهم على إعادة تقييم سياستهم لتجنب صدام مع الولايات المتحدة الأمريكية) وبذلك فقد التزمت أمريكا بالوقوف بإزاء الموقف فى الشرق الأوسط بما يلى:

(أ) الألتزام الثابت والقوى بضمان وجود إسرائيل.

(ب) ضمان تفوق إسرائيل عسكريا على الدول العربية مجتمعة.

(جـ) تشجيع قيام محادثات مباشرة بين العرب وإسرائيل.

القسم الخامس
حرب عام ١٩٥٦
«العدوان الثلاثى على مصر»

الفصل الأول:

مقدمات حرب السويس ١٩٥٦

الفصل الثانى:

الموقف الأمريكى قبل حرب ١٩٥٦

الفصل الثالث:

الظروف العربية

الفصل الرابع:

العدوان الثلاثى والموقف الأمريكى

الفصل الأول

مقدمات حرب السويس ١٩٥٦

مقدمات حرب السويس ١٩٥٦

(أ) الظروف الإسرائيلية:

قد يحسن عرض بعض التصورات الغربية والإسرائيلية ليمكن تفهم الظروف الإسرائيلية المحيطة بحرب السويس وبالنزاع العربى - الإسرائيلى بشكل عام، وترى هذه التصورات أن إسرائيل عاشت فى سنوات نشأتها الأولى واستوعبت أعدادا متزايدة من المهاجرين بحيث أرتفع عدد سكانها اليهود بشكل لم يحدث فى التاريخ أن أرتفع عدد سكان دولة بمقدار ثلاثة أضعافها خلال ٢٠ عاما. وقد قدمت التجمعات اليهودية خارج إسرائيل وخاصة فى الولايات المتحدة الكثير من الدعم المادى الذى ساعد على استيعاب المهاجرين الجدد. وساعدت الأخطار المحدقة بإسرائيل فى صهر السكان من مختلف دول العالم بحيث بدأ المجتمع ابتداء من نهاية العقد الثانى بعد تأسيس إسرائيل يفقد طابعه المكون من شتات المهاجرين وأصبح ٤٠ ٪ من السكان من مواليد إسرائيل.

وقد تطورت الزراعة منذ البداية لإرتباط الحركة الصهيونية بالأرض مع تطور مفهوم «الكيبوتز» والمزارع التعاونية «الموشاف».

ورغم أن جـزءا بسـيطا من السكان يعـمل بـالزراعــة إلا أن سكان المزارع الجـمـاعـيـة والتـعـاونيـة قـدمـوا للدولة العـديد من الكفـاءات العـسكرية والعلمـيـة النادرة، كـذلك تطورت الصناعـة. وقـد كـانت صـادرات إسرائيل عـام الاستقلال أقل من ٣٠ مليون دولار وقيمتها تمثل ١١٪ من قيمة وارداتها. وفي عـامـها العـشرين من الاسـتقلال تعدت قيمة صادراتها ٥٠٠ مليون دولار تمثل ٧٠٪ من مجمل قيمة وارداتهـا. وارتفعت حـركـة السياحـة بحيث وصل عـدد السيـاح إلى أعداد كبيرة متزايدة ونشطت الحياة الثقافية والعلمية وتطور الفكر العبرى القديم.

وقد اعتقد بعض الكتاب فى إمكانية تمهيد الطريق لتوافق بين إسرائيل والعرب من خلال تغيير إسرائيل لطابعها الغربى وإندماجها فى المحيط الشرقى الكائنة فيه، غير أن ذلك يبدو مستحيل التحقيق وسوف يستمر الطابع غير العربى لإسرائيل فكرا وثقافة وستكون ارتباطاتها باليهود فى الخارج أكثر من صلاتها بالمحيط العربى. والاحتمال فى أن يتجه العرب نحو التغريب فى الثقافة والتكنولوجيا من الاحتمـال فى أن تصبح إسـرائيل مـجرد دولة من دول الشرق الأوسط. وستظل إسرائيل كمنطقة بطابعها المتميز فى المنطقة.

ولا يدور السؤال وفق التصور الغربى الآن حول إمكانية تغيير إسرائيل لطابعها وإنما حول إمكانية تقبل العرب لها كما هى. وقد أضـاع العرب الفرصة منذ البداية واشتـدت حملة كراهيتهم ضد إسرائيل واستخدم الرئيس المصرى عبد الناصر عداء إسرائيل محورا لتوحيد العرب تحت زعامته. وكان عداؤه لإسرائيل وسيلة لا غاية

واشتد هذا العداء فيما بين عام ١٩٥٣ وعام ١٩٥٦ واتخذ شكلا آخر تمثل فى تدريب الفدائيين وإرسالهم لإسرائيل للمقاومة.

وكان السبب الدافع والمناسبة الملتهبة ناتجا عن رئيس مصر ناصر، الذى وصل إلى السلطة سنة ١٩٥٣، وجعل العداء لاسرائيل نقطة الارتكاز لتوحيد العرب تحت لوائه، وكانت طريقته فى القيادة ضجة وضوضاء، حتى صار فى قبضته جميع دول الشرق الأوسط وكثير من دول أفريقيا الذى أصبحوا فى خدمة القاهرة. وكان العداء لاسرائيل هو الشعار الموحد، ولم يكن اعتقاده فى دعاياته خالصا على الدوام، فكان صنبور التهيج ضد اسرائيل، يترك أحيانا ليمر بهدوء وينفجر فى أحيان أخرى إلى فيضان، وكان عداء ناصر لاسرائيل وسيلة وليس غاية، الا أنه كان يتطور ويمارس بالشكل الذى قضى على فرصة الهدوء فى المنطقة (١).

وبين عامى ٥٣ / ١٩٥٦ ظهرت طريقة جديدة للتعبير عن العداء العربى لاسرائيل، فقد نظم الفدائيون صفوفهم وتدربوا للتسلل إلى اسرائيل، حيث قاموا بعمليات قتل وتخريب. وفى سنة ١٩٥٦ كانت الغارات كثيرة بشكل خاص، وعضد ثقلهم برنامج تسليح مصرى ضخم. والاستيلاء على قناة السويس من المصالح الدولية التى ادارتها دائما.

وأدى التحالف بين مصر وسوريا والأردن تحت قيادة مصر إلى احساس إسرائيل بالتطويق، وازداد الخلاف شدة، وكان الضغط من كل جانب، ونجح ناصر فى السيطرة على النفوذ الدولى والمحلى

(١) رأى جميع زعماء إسرائيل فى عبد الناصر.

اللذين وقفا فى طريقه، وكان ينكر على اسرائيل الأمان العنصرى لحياتها وشعبها وفى نهاية اكتوبر ١٩٥٦ انفجرت إسرائيل من الحلقة المطوقة، ولم تكن بمفردها فقد كانت فرنسا غاضبة من إضعاف القاهرة لموقفها فى الجزائر، وسبقت بريطانيا تحت قيادة «انتونى ايدن» إلى المقاومة بعد الاستيلاء على القنال - الأمر الذى وضع اقتصاد بريطانيا ومواصلاتها الهامة فى أيد معادية، وكانت الحاجة إلى منع سيطرة ناصر على الشرق الأوسط هى الهدف الأول فى المحادثات بين القدس وباريس، ثم بين باريس ولندن، ولم يكن الالتقاء محض صدفه. ففى الوقت الذى تحركت فيه الجيوش الإسرائيلية تحت قيادة «موشى ديان» عبر سيناء لكسر الحصار في خليج العقبة، ولطرد الجيش المصرى من غزة - احتلت القوة الفرنسية والبريطانية الجزء الشمالى من منطقة قنال السويس، وقد بورت الحكومتان موقفهما بالتصريح الغريب انهما كانتا مدفوعتان لمنع الاشتباك فى منطقة القنال.

ويسجل «بن جوريون» أنه منذ تولى مسئولية الأمن، اتخذ قاعدتين، أحدهما إيجابية والثانية سلبية، فالأولى أن تكون قوات الدفاع الإسرائيلى قوية بدرجة كافية للانتصار حتى لو حاربت جميع الجيوش العربية، والثانية هى عدم اقحام قوات الدفاع الإسرائيلى فى أى حرب ضد الأوروبيين أو الأمريكيين أو السوفييت.

وكان «بن جوريون» مسئولا عن الأمن منذ قاد «الهاجاناه» أيام الأنتداب، وعندما قامت إسرائيل عام ١٩٤٨ وعين وزيرا للدفاع ورئيسا للوزراء حتى حرب ١٩٥٦، فيما عدا فترة رئاسة «شاريت» فقد جاء «لافون» أولا ثم «بن جوريون» وزيرا للدفاع.

ولم تفقد إسرائيل تفوقها العسكرى على العرب أبدا، ولو أنها غالبا ما تزعم أنها فقدتها، محاولة منها للحصول على أسلحة، وكانت واشنجتن ولندن قد كررت مرارا طوال الفترة بين الإغارة على غزة وحرب السويس الأولى أن إسرائيل تتفوق على العرب فى التسليح.

ويضاف إلى ما سبق أهمية المؤسسة العسكرية فى إطار الحياة الديمقراطية.

وكان «ديان» قد أعفى من منصبه عقب أخذه جانب «بن جوريون» فى صراعه مع «أشكول»، ثم عاد فى منتصف المرحلة كوزير للدفاع فى أول يونية، وكان هذا التعيين واضحا أنه جاء بناء على مطلب شعبى وخاصة فى القوات المسلحة، والتى تصبح جامحة فيما يبدو من عدم حزم «أشكول».

وترددت إشاعات أن الجيش قد يعمل لاستبدال «أشكول» بقائد أكثر صلابة مما دعا «بن جوريون» أن يحذر فى ٢٩ مايو ضد أى إخلال بالمبادئ الديمقراطية تحت ضغط الأزمة - فالجيش فى أى جمهورية ديمقراطية لا يتصرف وفقا لرغبته، بل على أوامر الحكومة المدنية وطبقا لتعليماتها.

وتبخرت الإشاعات بتعيين «ديان». وكان التغير فى معنويات إسرائيل مثل الكهرباء، وأظهر الإسرائيليون أنهم لا يشكون فى قدرتهم على هزيمة العرب.

(ب) النشاط السياسى العسكرى لإسرائيل قبل الحرب

١ ـ خطة وزارة الدفاع الإسرائيلية بقاء بريطانيا فى مصر:

كانت مصر تفاوض بريطانيا للجلاء عن القناة، وكانت أمريكا تحاول الضغط على بريطانيا للجلاء عن مصر، بينما كانت فرنسا تتودد علنا لإسرائيل وتمدها بأحدث الأسلحة وذلك بسبب مساعدة مصر للثورة الجزائرية.

ووضعت وزارة الدفاع الإسرائيلية خطة محكمة تستهدف إبقاء بريطانيا فى مصر عمادها إرسال أحد عملائها السريين إلى مصر للإتصال بشبكة يهود مصر كانت تعمل بها منذ عام ١٩٥١ لتقوم بتفجير المنشآت الأمريكية والبريطانية فى القاهرة والأسكندرية بغية لإضعاف العلاقات مع بريطانيا وأمريكا لإفشال المفاوضات. إلا أن البوليس المصرى استطاع أن يكشف شبكة الجاسوسية فى ديسمبر ١٩٥٤ مما أدى إلى انتحار الضابط الإسرائيلى المسئول عن العملية فى مصر، وتقديم أعضاء الشبكة للمحاكمة وصدور أحكام ضدهم تتراوح بين الاعدام والأشغال الشاقة والبراءة، وطلب «شاريت» رئيس وزراء إسرائيل تفسيرا لهذه الحوادث من «لافون» والقادة المسئولين فى الجيش الإسرائيلى وأنتهى الأمر باستقالة «لافون» وزير الدفاع فى ١٩٥٤/٢/١٧ .

٢ ـ عودة بن جوريون للوزارة:

فى ١٩٥٥/٢/٢١ عاد «بن جوريون» وتولى وزراة الدفاع، كما عين «لافون» سكرتيرا عاما «للهستدروت» وبذلك أسدل الستار على

هذه القضية وإن كانت قد أدت بعد سنوات إلى تحطيم قوة «بن جوريون» نفسه والقضاء على شعبيته، وبعد عودة «بن جوريون» بأسبوع واحد أى فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ أصدر أمرا بالهجوم على قطاع غزة وبعدها على مدينة غزة حيث قتل أربعون مصريا، معلنا سياسة «بالرد بقوة على العرب والحصول على السلاح، ثم التحالف مع قوى غربية لحفظ سلامة إسرائيل».

٣ ـ اتصال إسرائيل بفرنسا وأمريكا:

وأطلق «بن جوريون» لمعاونيه حرية التصرف مع فرنسا والحصول منها على أسلحة، كما حاول الحصول على أسلحة من أمريكا نظير ومقابل تقديم قواعد عسكرية بشرط ضمان حدودها. وكان رد أمريكا فى عهد الرئيس «ايزنهاور» بالرفض، وأعيد تشكيل حكومة برئاسة «بن جوريون» فى ١٩٥٥/١١/٢ من خمسة أحزاب هى «الماباى»، «وعمال مزراحى» «واحدوت هاعفودا» و «مابام»، و «التقدميون»، وأهم أحداث هذه الوزارة استقالة «شاريت» من وزارة الخارجية وتعيين «جولدا مائير» مكانه، ثم حملة سيناء. وأعتبرت هذه الوزارة بتشكيلها وزارة قومية مقبلة على تنفيذ أحداث جسام.

٤ ـ حجة إسرائيل فى حرب ١٩٥٦:

١ ـ فى شهر سبتمبر انتهت المفاوضات بين تشيكوسلوفاكيا ومصر حول صفقة السلاح ورأى «بن جوريون» و «ديان» وجوب التصرف بسرعة قبل أن يتدرب الجيش المصرى على سلاحه الجديد، فوضعا خطة لاحتلال غزة والتقدم فى سيناء واحتلال خليج العقبة الذى أغلقته مصر بوجه الملاحة الإسرائيلية.

٢ ـ وبعد أن حازت وزارة بن جوريون الأئتلافية الثقة أعلن فى خطابه أمام «الكنيست» عن برنامجه حول الدفاع «إن مصر تمنع حرية الملاحة فى البحر الأحمر، ويجب أن نوقف هذا الإجراء الذى يتضمن حربا معلنة من جانب واحد»، وأضاف إن مصر أغلقت الملاحة فى وجه إسرائيل عام ١٩٥١ وأن إسرائيل لم تكن بالقوة الكافية للرد على مصر إلا أنها الآن لن تسكت»، وطرح إمكانية الأستيلاء على المضايق للمناقشة فى الوزراة، ولكن الحكومة رأت أن الوقت لم يكن مناسبا، وتنازل «بن جوريون» عن اقتراحه مؤقتا، رغم أنه كان مصمما على فك الحصار على العقبة بالقوة، ولم يعد يدعو إلى الحرب الوقائية وأصبح يدعو إلى حرب هجومية.

(جـ) المناورات السياسية الإسرائيلية لتمهيد الطريق لحرب ١٩٥٦:

فى ديسمبر عام ١٩٥٥ قدم «بن جوريون» شكوى إلى مراقبى الهدنة ضد مصر وقال إن الحكومة المصرية مسئولة عن الفدائيين، وأن هذا العمل يخرق إتفاقية الهدنة وأتهم العرب بأنهم سبب التوتر على الحدود، كما أتهم «داج هموشولد» السكريتر العام للأمم المتحدة بأنه لا يسلم بحق إسرائيل بالدفاع عن نفسها.

وفى ١٩٥٦/٤/١٢ أرسل «شمعون بيريز» إلى فرنسا لطلب المساعدة والسلاح.



موشى ديان تليمذ بن جوريون فى الشئون العسكرية اشترك فى مفاوضات «سيفر» السرية فى الاعتداء الثلاثى على مصر.

(د) التـــواطؤ الفـــرنسى الإســـرائيلى لحـــرب ١٩٥٦ وتغاضى أمريكا عن تسليح فرنسا لإسرائيل:

كانت أمـريكا على علم بتـحـركات إسرائيل وتؤيد تسليح فـرنسا لإسرائيل وإن لم تجـهر بذلك، أما وزارة الدفاع الفرنسيـة فقد كانت ترى أنها فى مساعدتها ما يؤدى إلى إسقاط الحكم فى مصر، وقد يكون فـى ذلك إنهـاء للقـضيـة الجـزائرية، ولهـذا أخـذت تتـواطأ مع إسرائيل. أما فى إسرائيل فقد انـتهت الخلافات بين «موسى شاريت» وبين «بن جوريون» إلى استقالة وزير الخارجية فى ١٨ يونيو مما أثار فضيحة علنية. نظرا لمعارضته لخطط «بن جوريون» العدوانية.

(هـ) مقدمات حملة سيناء:

أعلنت مصـر تأمـيم شركـة قناة السويس وكـان «بن جـوريون» يخطط للهـجوم على مصـر، فاستغل رد الفعل عند بريطانيا وفرنسا ليـضرب ضربتـه، وكان «شمعون بيريز» فى فرنسا أثناء أزمـة قناة السويس، وأكد لفرنسا أن إسرائيل ستساعد فرنسا فى حالة القيام بعمل عسكرى على مصر، وفى ١٩٥٦/٩/٢٨ سافر إلى فرنسا مرة ثانية وبصحبتـه «موشى ديان»، و«جولدا مائير» وعند عودته لإسرائيل وضع «ديان» خطتـه مع أركان حـربه بنـاء على توجيـه العسكريين الفـرنسـيين، ولم يطلـع «بن جـوريون» وزراته علـى مـجـرى الأمـور، وأعلن بعد الحـرب أنه خدع وزراءه وخـدع العالم، فى مشكلة السويس وفى ٤ أكتوبر وضع الفدائيون لغما فى «سدوم» وقتلوا خمسـة عمال يهـود، ولم يرد «بن جـوريون» على ذلك لتظهـر إسـرائيل بمظهـر المعتدى عليها، وصرح «بن جـوريون» للصحافة بأن الملك حسين أمر

بإطلاق سراح الفدائيين، ولذلك فقد أعطى الأمر فى اليوم نفسه بالهجوم على «قليقيلية» بعد أن أخذ موافقة حكومته، وغضبت بريطانيا من هذا التصرف وأعلنت بأنها ستساعد الأردن تنفيذا للمعاهدة التى بينهما.

(و) خطة حرب السويس: مفاوضات وإتفاقية سيفر السرية.

فى ١٤/ ١٠ وبعد أن فشلت المباحثات حول قناة السويس تبلورت الخطة للتدخل العسكرى فى أذهان فرنسا وبريطانيا بأن تبدأ إسرائيل الهجوم وتتدخل فرنسا وبريطانيا بحجة التفرقة بين إسرائيل ومصر، وبذلك تحتلان القناة. وفى ١٦/ ١٠ ذهب «ايدن وسلوين لويد» إلى فرنسا واتفقا على أن التدخل بسبب العدوان الإسرائيلى هو العذر الوحيد المقبول ورأى وزير خارجية فرنسا «كرستيان بينو» أن روسيا لن تتدخل بسبب انشغالها بمشكلة المجر، وأن أمريكا لن تخذل حلفاءها فى النهاية. ولم يكن هدف «بن جوريون» حربا شاملة ضد مصر بل يريد غزة وسيناء الشمالية وخليج العقبة، وسافر إلى فرنسا ومعه موشيه ديان وشمعون بيريز مستقلين طائرة فرنسية فى زيارة سرية للغاية، لم يعرف شيئا عنها إلا فى سنوات متأخرة وذلك كطلب «بن جوريون» حتى لا يظهر التواطؤ بصورة واضحة حتى لا يتهم بالعدوان مستغلا بذلك أطماع دولتين استعماريتين، وكانت بشروطه:

١ ـ حماية جوية للمدن الإسرائيلية كثيفة السكان.

٢ ـ ضرب المطارات المصرية.

٣ ـ عدم إعلان حرب شاملة على مصر من قبل إسرائيل.



انطونى ايدن رئيس وزراء انجلترا الشريك الأول فى مؤامرة الاعتداء الثلاثى ١٩٥٦ .

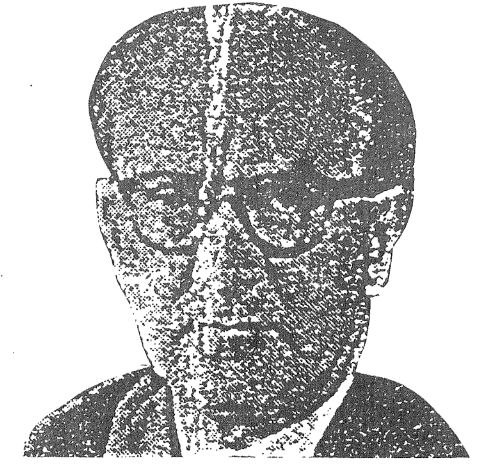
وبعد أن تم التوقيع على الاتفاقية (اتفاقية سيفر) وأصلها محفوظ فى إسرائيل، وفى ١٠/٢٦ أعلنت إسرائيل التعبئة العامة ويعزو «بن جوريون» السبب فى كتابه (إسرائيل سنوات التحدى) إلى ظهور نتائج الانتخابات فى الأردن (٣٠ أكتوبر) وإلى عقد المعاهدة الدفاعية بين مصر وسوريا والأردن - فى ١٠/٢٣، وإعلانه دخول قوات عراقية إلى الأردن. وهو ادعاء باطل - حتى يهىء الرأى العام بأن الحرب ستكون ضد الأردن، وفى ١٠/٢٨ جمع كل الوزراء ماعدا الشيوعيين وأخبرهم عن عملية الهجوم وأخذ موافقتهم.

(و) رسائل من «ايزنهاور» إلى بن جوريون: التحرك الأمريكى:

بعث «ايزنهاور» إلى «بن جوريون» برسالة أولى فى ١٠/١٦ يطلب فيها من إسرائيل ضبط النفس، ورد عليها بن جوريون معبراً عن خوفه من الجيش العراقى فى الأردن محاولا بذلك أن يخدع المخابرات الأمريكية، وفى ١٠/٢٨ تلقى «بن جوريون» رسالة ثانية من «ايزنهاور» يذكر فيها أنه لا وجود للقوات العراقية فى الأردن، وفى ١٠/٢٩ تلقى «بن جوريون» رسالة ثالثة من «ايزنهاور» يطلب إليه فيها الانتظار لأنه طلب من فرنسا ومن بريطانيا (دول الإعلان الثلاثى فى عام ١٩٥١ لضمان الحدود فى الشرق الأوسط) الاجتماع لمناقشة المسألة. وتدل هذه الرسالة على مدى سرية اتفاق «سيفر» لقد خدع العالم فقد كان الشعور السائد والرأى العام يعتقد أن الحرب مع الأردن فى الشرق وليس ضد مصر. وعندما حدث الهجوم فى عصر ١٠/٢٩ كان مفاجأة لسكان إسرائيل مثلما كان لسكان القاهرة.

الفصل الثانى

الموقف الأمريكى
قبل الحرب (١٩٥٦)



چی موليه رئيس وزراء فرنسا ١٩٥٦ اراد الانتقام من عبد الناصر لمساعداته الثورة الجزائرية وتأميمه قناة السويس

(أ) دعوى الدفاع عن الشرق الأوسط

أرادت الولايات المتحدة، عقب الحرب العالمية الثانية، أن تضمن ولاء دول الشرق الأوسط حتى لا تقع هذه الدول فى نفوذ الأتحاد السوفيتى. ففكرت حينئذ فى عدة خطوات لتحقيق فكرتها التى تتلخص فى عقد محالفات بينها وبين هذه الدول وإمدادها بما تحتاجه فى تقدمها وتطورها ماديا وعسكريا. وعلى هذا الأساس كانت الولايات المتحدة وراء فكرة ميثاق الضمان الجماعى العربى الذى عرض على مجلس الجامعة العربية فى أواخر عام ١٩٤٩ .

ثم اتفقت مع بريطانيا وفرنسا على أن ينضموا إليها فى أن يعرضوا على القاهرة مشروعا للدفاع عن الشرق الأوسط ضد العدوان الخارجى. وفعلا قدم السفير البريطانى إلى الحكومة المصرية هذا المشروع فى ١٣/١٠/١٩٥١ - وكان مما ينص عليه إنشاء قيادة للشرق الأوسط ومنظمة للدفاع عنه ضد أى عدوان. وكانت النية

معقودة على أن تقوم مصر بالدور الأساسى فى هذه المنظمة. ولكن الظروف حينذاك لم تكن فى صالح الفكرة، إذ أن الحماس فى هذه وخاصة فى منطقة قنال السويس، كان قد بلغ ذروته ضد الاحتلال البريطانى إلى درجة استعمال العنف. وعلى ذلك رفضت مصر المشروع.

ومع ذلك فقد عاودت الولايات المتحدة الكرة من جديد حينما أرسلت وزير خارجيتها «مستر دلاس» إلى القاهرة فى مارس ١٩٥٣ وكان بصحبته مدير الأمن المتبادل، لبحث موضوع هذه القيادة مع المسئولين فى القاهرة، ثم بعد ذلك مع حكومات إحدى عشر بلدا هى: سوريا والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية وليبيا وإسرائيل واليونان وتركيا وباكستان والهند وإيران.

ومرة أخرى لم تبد مصر كثيرا من الاهتمام لهذه الفكرة، وكان لموقفها أثر كبير فى موقف بعض البلاد العربية. وعلى ذلك لم يصادف المشروع النجاح الذى كانت تنتظره الولايات المتحدة فى محاولتها الثانية.

(ب) حلف بغداد

بعد عودة «دالاس» إلى أمريكا، أذاع فى أول يونية ١٩٥٣ حديثا تلفيزيونيا شرح فيه نتائج رحلته وعن انطباعاته وكان مما قاله:

«إن منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط هى فكرة للمستقبل أكثر منها فكرة ممكنة التحقيق فورا فإن بلاد الجامعة العربية مشتبك فى نزاعات قوية، بعضها مع إسرائيل، وبعضها مع بريطانيا أو

فرنسا، ولذلك فهى لا تبدى اهتماما بخطر الشيوعية من ناحية الاتحاد السوفيتى وعلى كل حال فهناك اهتمام أكثر فى البلاد القريبة من روسيا، وبصورة عامة نجد أن بلاد النطاق الشمالى تدرك هذا الخطر».

وقد تبين من حديث «دالاس» أن فكرة السيطرة على المنطقة بمنظمة الدفاع المقترحة قد تلاشت من خطة الولايات المتحدة، وحل محلها فكرة أخرى عرفت بفكرة «النطاق الشمالى المجاور لروسيا» أو «حلف بغداد».

كانت الخطوة الأولى لتنفيذ ذلك المشروع هى الأتفاقية التى وقعتها تركيا والباكستان يوم ٢ ابريل ١٩٥٤، والتى تنص على التعاون المشترك. ثم جاء دور العراق حينما تبنى «نورى السعيد» فكرة الحلف حيث أظهر تحمسا شديدا له، وبذل مجهودات لاقناع مصر بالانضمام إليه، ولكن مصر أعلنت دون خفاء أنها تعارض كل المحالفات التى قد تؤدى بطريق أو بآخر إلى التبعية لدولة أخرى.

وقد سألت مصر حينذاك «نورى السعيد» إذا كان لديه اقتراح آخر. وقد رد بأنه يمكن اتخاذ ميثاق الضمان الجماعى العربى - الذى يعتمد على المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة - كقاعدة لميثاق دفاعى تكون العضوية فيه مفتوحة للدول غير العربية كتركيا وإيران والباكستان وبريطانيا والولايات المتحدة. وكانت حجة «نورى السعيد» فى كل ذلك أن الاتحاد السوفيتى يهدد المنطقة وإنه لا بد من اتخاذ إجراء حاسم ضد هذا التهديد وعلى الرغم من أن خمسا وتسعين فى المائة فى الرأى العام العراقى كان يعتبر خطر إسرائيل أعظم من

خطر الاتحاد السوفيتي فإن «نوري السعيد» وقف مع الأقلية التي لا ترى ذلك وتمسك برأيه. وفي نفس الوقت أعلن أن العراق سيهتم بسلامة الأقطار المجاورة كتركيا وإيران لأن سلامتها تنطوي على سلامة العراق. وكذلك على العراق أن يأخذ بعين الأعتبار ميثاق الضمان الجماعي العربي بسبب تهديد إسرائيل للبلدان العربية.

ويبدو أن «نوري السعيد» كان يريد بهذه التصريحات امتصاص غضب الشعب العراقي واستنكاره احتفاظ بريطانيا بقاعدتين جويتين في العراق، وحق استعمال المواصلات العراقية لنقل الجنود والأسلحة. كما كان يرى أن توقيع حكومة العراق على الميثاق التركي الباكستاني قد لا تكون له آثار سيئة بين الدول العربية، إذ أن عددا منها صار طرفا في مثل هذه الاتفاقات فالأردن عقد معاهدة تحالف مع بريطانيا في ١٩٤٨/٣/١٥ . والسعودية عقدت اتفاقا معها في ١٩٥١/٦/١٨، وكذلك الاتفاق التي أعقبته مع الولايات المتحدة لاستخدام مطار الظهران، بجانب المساعدات العسكرية.

ومع ذلك فقد كان «نوري السعيد» دائما يخشى من رد فعل مصري، كما كان يبدى انزعاجه من الوضع السياسي في روسيا بحجة أن الدعاية اليسارية أصبحت سافرة.

بعد هذا حدث لقاء بين رئيس وزراء تركيا ورئيس وزراء العراق، وعقب اللقاء صدر بيان مشترك عن عقد معاهدة لتوسيع التعاون ولضمان الاستقرار والأمن في الشرق الأوسط، وأن الدخول في هذه المعاهدة يعتبر ممكنا وضروريا للدول التي أظهرت عزمها على تحقيق هذه الأهداف. ثم أعلن وزير خارجية العراق في ١٩٥٥/١/١٤: «أنه من المفيد ومن الضروري لكافة الدول العربية

ابتداء من مصر أن تشترك فى الاتفاقية، وسوف ترحب جميع البلدان المحبة للسلام باشتراك مصر نظرا لموقعها العسكرى وتوافر امكانياتها... مع العلم بأن الاتفاقية الجديدة المقترحة لا علاقة لها بالتحالف التركى الباكستانى. وإنما هى ترتيبات جديدة تماما، ولا يوجد أى مانع يمنع الباكستان وإيران من الإشتراك فيهما.

وكما تقدم كانت مصر فى هذه الأثناء تبدى اعتراضها الشديد للحلف. وكان لهذا الأعتراض أثره البالغ فى البلاد العربية، وليس أدل على ذلك مما جاء فى قول السفير الأمريكى بالعراق فى ذلك الوقت: «إنه دعى فى يوم ١٢/٢/١٩٥٥ إلى القصر الملكى حيث أطلعه الملك والأمير عبد الله على رسالة من الرئيس «كميل شمعون» إلى الرئيس المصرى طالبا منه ايقاف الحملة المصرية على الميثاق التركى العراقى قائلا: إن العالم العربى لا يمكن أن يعيش بمفرده، وأن الدعاية المصرية كادت تعزل العالم العربى وتسبب الامتعاض فى الداخل».

أبدت الولايات المتحدة ارتياحا شديدا لهذه الجهود التركية العراقية التى كانت تهدف إلى الوقوف أمام أى خطر شيوعى. ولذلك سارعت الولايات المتحدة باستعدادها لمساعدة هذه الجهود، وأوحت للدول العربية أنه ينبغى أن ترحب بهذا التطور كخطوة فعالة فى سبيل أمنها. وقد صرح «فوستر دالاس» فى ١٨/١/١٩٥٥ بما يلى:

«إن الولايات المتحدة تعتبر هذا الأمر خطوة بناءة، وسعيا فى اتجاه بناء ما يسمى بالنطاق الشمالى الذى كانت تركيا والباكستان من رواده الأول».

وكان سبب ترحيب الولايات المتحدة بهذا الميثاق يرجع إلى عدة عوامل أهمها: أنها هى التى أخرجت فكرة الميثاق إلى حيز الوجود، ثم أن تعاونها مع بريطانيا فى تنفيذ المشروع سوف يبرهن للشرق الأوسط أنها تتعاون معها فى الدفاع عن العالم الحر ويزيد نفوذها فى المنطقة، كما أن اشتراكها فى تشجيع الميثاق سيبدد مخاوف إسرائيل من احتمال استعمال هذا الميثاق ضدها. يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة أرادت بهذا الترحيب أن تقوى موقف «نورى السعيد» الذى ضحى بالكثير فى الداخل والخارج لتحقيق الفكرة.

وقد أرسل سفراء أمريكا فى أنقرة وطهران وكراتشى مذكرات تلح بضرورة اشتراك الولايات المتحدة فى الميثاق. وبينما كانت أمريكا تتردد عملت بريطانيا بسرعة، فقد أدرك الإنجليز أن انضمامهم للميثاق يضع علاقتهم مع العراق على أسس أكثر واقعية فى سبيل الحفاظ على المصالح البريطانية.

أنضمت إيران إلى الحلف رسميا فى يوم ٢٥/١٠/١٩٥٥ وبهذا أصبح عدد المشتركين كافيا لتأسيس المجلس الدائم طبقا لنص المادة السادسة، وتحدد يوم ٢١/١١/١٩٥٥ موعدا لاجتماع هذا المجلس. وقبل موعد الاجتماع بأسبوعين أبلغ السفير الأمريكى «نورى السعيد» أن الولايات المتحدة ستقيم نوعا من الإرتباط السياسى والعسكرى مع المجلس، وأنها عينت السفير مراقبا سياسيا، والاميرال جون ا. كسادى، والجنرال فورست كراواى مراقبين عسكريين. وعند إفتتاح المجلس صوتت الوفود فيه بالاجماع على توجيه الدعوة للولايات

المتحدة للإشتراك بوساطة المراقبين. وبعد إنتهاء اجتماعات المجلس أدلى «عدنان مندريس» في بغداد بالتصريح التالى:

«لقد أسهمت الولايات المتحدة فى مناقشاتنا، وهى حليفة لدولتين من أعضاء الميثاق ومع أنها لم تصبح عضوا شرعيا بعد فإنها ساندت الميثاق بقوة منذ التفكير فيه. وهى تمد منذ سنوات أعضاءه جميعا بالمعونات الاقتصادية والعسكرية، فهى إذن مشتركة عمليا فى التعاون على ذلك... ولم تكتف بإرسال المراقبين إلى المجلس الدائم، بل أمنت الإرتباط فى الميدانين السياسى والعسكرى. ولا شك أن إشتراكها سيكون أكثر من مجرد إرسال مراقبين وأكثر من اطلاعها على الحوادث. وليس من الخطأ أن نفترض أن دخول الولايات المتحدة دخولا قانونيا هو مسألة وقت ... فمن الصواب ومن الطبيعى أن يحدث ذلك فى الوقت الذى تراه الولايات المتحدة ملائما وموافقا».

وعلى الرغم من أن المناقشات التى دارت بين الرئيس «ايزنهاور» و «انتونى ايدن» انتهت إلى أن هناك مبررات من الناحية النفسية والواقعية لانضمام الولايات المتحدة إلى الحلف فقد رأت أمريكا فى ذلك الوقت أن تبقى خارج الميثاق لسببين:

أولا: لكى تستطيع أن تمارس نفوذها بكل حرية، وأن تحتفظ بذلك النفوذ تجاه الشرق الأوسط.

ثانيا: خوفها من أن الانضمام إلى الميثاق قد يثير مشاكل فى إسرائيل، كما يزيد فى حدة معارضة مصر وخاصة أن الجو فى ذلك

الوقت فى الشرق الأوسط كان قد بلغ ذروة التآزم - وعلى ذلك فقد رأت أمريكا من الأفضل أن تتجنب القيام بأى عمل يزيد فى تعقيد الأمور، وأن تبقى على هامش الميثاق.

ومع أن الولايات المتحدة ضمت بصورة أصلية إلى اللجنة الاقتصادية فى اجتماع المجلس الذى عقد بطهران فقد صدر بلاغ رسمى يعلن عدم استعدادها لدخول الميثاق وإن كانت تسانده بكل قوة لحفظ التوازن.

غير أن أمريكا لم تنظر بعين الارتياح إلى موقف مصر، وظهر رد الفعل عندما رفضت أن تزودها بالأسلحة الذى كان قد طلبها الرئيس جمال عبد الناصر وكانت حجة الرفض هوتمسكها بتصريح الثلاثة الكبار والتزامها بحفظ التوازن بين دول المنطقة.

(جـ) صفقة الأسلحة الروسية وسحب تمويل السد العالى:

لم يغب عن الولايات المتحدة أن الدول الشيوعية كانت تقوم بمحاولات كبيرة لشق طريقها إلى العالم الحر عن طريق البحر المتوسط. وقد تأكدت شكوكها عندما أعلنت مصر صفقة الأسلحة التى حصلت عليها فى خريف ١٩٥٥ بعد أن وافقت حكومة تشيكوسلوفاكيا على مقايضة القطن المصرى بالسلاح. ثارت ثائرة الولايات المتحدة حينذاك، ورأت فى هذا العمل أول برهان للتغلغل الشيوعى داخل الشرق الأوسط، واعتقدت أن نفوذها فى المنطقة قد تزعزع، وأن الروس قد قصدوا من وراء ذلك إثارة الصعاب فى طريق أمريكا، وأن إرسال الأسلحة إلى بلاد الشرق الأوسط ينسجم

مع تخطيطهم المستمر فى خلق فوضى عالمية. وقد هاجمت وكالات الأنباء فى أوروبا وأمريكا الاتحاد السوفيتى لإرساله الأسلحة إلى مصر، وكتب «فوستر دالاس» فى أكتوبر ١٩٥٥ إلى «مولوتوف» يقول: «إن الأسلحة الروسية تقرب الحرب فى الشرق الأوسط أكثر من المحتمل، وأنها تخلق موجه من الاستياء، والشعور المرير فى الولايات المتحدة». وفى مذكرات «ايزنهاور»: قلت فى رسالة إلى «بولجانين»: تسلمت فى ٢٢ أكتوبر رسالتك بخصوص بيع الأسلحة إلى مصر ... لاحظت إنك تعنى إنه لا داعى للقلق... لكن حسب معلوماتى ... هذه الصفقة الكبيرة قد خلقت خطرا متزايدا من نشوب العنف فى المنطقة».

وكأنه بذلك بدأ التسابق فى التسلح، فبعد أن حصلت مصر على الأسلحة الروسية حصلت إسرائيل على طائرات «ميستر» الفرنسية. وهنا رأت الولايات المتحدة أن تقوم بتنفيذ فكرة جديدة بالنسبة للأسلحة الأمريكية، وذلك لمعالجة أى حادث فى الشرق الأوسط، وكانت هذه الفكرة هى فكرة أسلحة الطوارئ، وذلك بخزن كمية من السلاح فى سفينة تتخذ قاعدتها فى البحر الأبيض المتوسط وتكون على استعداد لانقاذ أية دولة من دول الشرق الأوسط التى تكون هدف العدوان. وفعلا نفذت الفكرة وفى يوليو ١٩٥٦ كانت هذه السفينة تتخذ موقفها فى المتوسط.

ساعدت تلك التطورات على زيادة التقارب بين مصر وروسيا، وظهرت نتيجة هذا التقارب عندما عرضت روسيا أن تمول السد العالى بعدما تعقدت مباحثاته مع أمريكا وارتطمت بصخرة الشروط التى كانت تريدها ورفضتها مصر.

ويبدو أن أمريكا شعرت بخطئها البالغ لسحب تمويل السد العالى وإعطاء تلك الفرصة الذهبية للاتحاد السوفيتى، ويدل على هذا الشعور بالخطأ قول الرئيس «ايزنهاور»: «لم يكن لدى أى شك فى صواب إلغاء عرضنا لكنى كنت شاعرا - نظرا لأحداث الأسابيع التى أعقبت سحب العرض - بأننا أقترفنا خطأ دبلوماسيا فى الطريقة التى عالجنا بها هذه القضية».

(د) تأميم قناة السويس:

كان رد الفعل بعد سحب أمريكا عرضها لتمويل السد العالى أن أممت مصر قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ . وقد أحدث هذا العمل المفاجئ توترا فى المجال الدولى، وخاصة عندما حذر الرئيس عبد الناصر بأنه إذا حاول الغرب التدخل عسكريا فسيحارب المصريون. ولما كانت بريطانيا وفرنسا تعتبران القناة رمزا لمركزهما فى الشرق الأوسط فقد داسوا على القيم الدولية وقاموا بالاشتراك مع إسرائيل بعدوان غادر على مصر، وهنا انتهزت روسيا الفرصة فأرسلت إنذارا حاسما لدول الاعتداء، وكادت تقوم حرب عالمية ثالثة، ولكن الولايات المتحدة تحركت بسرعة فنددت بالعدوان لتسد الطريق على الروس الذين أعلنوا أمام العالم تأييدهم الكامل لمصر - رأت الولايات المتحدة حينئذ أن واجبها ألا تسمح للروس بتزعم النضال ضد استخدام القوة فى الشرق الأوسط حتى لا يكسبوا ثقة الدول حديثة الاستقلال فى العالم - ومع ذلك فلم ترد الولايات المتحدة أن تندد بريطانيا وفرنسا وتصفهما بالاعتداء بل اكتفت بأن أعلنت وقف مساعدتها العسكرية والاقتصادية لإسرائيل، وتقديم قرار للأمم المتحدة بوقف إطلاق النار وإنسحاب القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة.

وقد واجهت أمريكا بعد ذلك نقدا لاذعا فى أوربا وأمريكا، على الرغم من أن موقفها هو الذى حسم الخلاف. وكانت أهم عناصر هذا النقد هو أن موقفها من إسرائيل بعث على خيبة الأمل وإنه كان من واجبها أن تساند بريطانيا وفرنسا.

وكادت هوة الخلاف تتسع بين أمريكا من جهة ودول العدوان من جهة أخرى، لولا أن الساسة الكبار رأوا إنقاذ الموقف بشئ من التسامح حرصا على مصالحهم الباقية. وقد أشار «ايزنهاور» إلى أنه تلقى يوم ١٩٥٦/١١/٢٣ رسالة من «تشرشل» يلح فيها عليه بترك الخلاف على أحداث الشرق الأوسط، وباتخاذ عمل مشترك لمواجهة النصر السوفيتى هناك، وقال له: «إن من عدم الرأى أن تضيع المسائل الجوهرية من أجل سوء تفاهم حدث بين بريطانيا وأمريكا». وقد أجاب عليه «ايزنهاور» «بأنه يرجو أن تمحو هذه الرسالة ما حدث، وأن تعود المياه إلى مجاريها، ويتخذ البلدان وسائل أخرى لتحقيق أهدافهما المشروعة فى الشرق الأوسط ولإعادة الإرتباطات القديمة».

ومن الطريف فى هذا الصدد أن نذكر تعليق الرئيس «ايزنهاور» على موقف أمريكا من العدوان الثلاثى إذ يقول:

هناك عدد من الأسئلة التى يصعب الإجابة عليها، منها:

(أ) إذا لم تتدخل بريطانيا وفرنسا هل كانت إسرائيل وحدها تستطيع الانتصار على المصريين وإذا كان الجواب بالإيجاب ماذا يحدث وفقا لبنود تصريح الثلاثة الكبار سنة ١٩٥٠ ؟

(ب) هل كان عمل بريطانيا وفرنسا هو الذى قدم عذرا للاتحاد السوفيتى للتحرك بقوات ضخمة إلى هنغاريا؟ وهل كان من الممكن أن يكون رد الفعل الغربى أكثر شدة إذا كان الروس تحركوا إلى هنغاريا فى وقت لم تكن فيه دول الغرب مشغولة بمشكلة السويس؟

إن جوابي على هذين السؤلين لا يزال سلبيا.

الفصل الثالث

الظروف العربية

الظروف العربية

لم تكن الظروف العربية المحيطة بأزمة السويس بنت الساعة، بل كانت محصلة ظروف متعددة وغائرة إلى سنوات سابقة، ويمكن إيجازها على النحو التالى:

(أ) فى عام ١٩٥١ قامت مصر بإلغاء معاهدة عام ١٩٣٦م، وعلى أثرها حاولت الولايات المتحدة إقامة تحالف عسكرى بالشرق الأوسط تتقدمه الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا. وقد رفضت مصر هذه المقترحات على أساس أنها تكرس الاحتلال البريطانى، وقد انزعجت الدول الغربية لرفض مصر السريع لهذه المقترحات، وكان لموقف مصر تأثير على بقية الدول العربية التى حذت حذوها.

(ب) ومع قيام ثورة يوليو١٩٥٢ فى مصر، حظيت الثورة بتأييد الولايات المتحدة، بينما تخوفت الدول الاشتراكية من أن تكون الثورة أداة تمكين النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط، وقد طور هذا الموقف السوفيتى والإجراءات الأمنية الشديدة التى اتخذتها الثورة حيال القوى الماركسية الشديدة واليسارية وقياداتها العمالية.

ولعل هذا الموقف السوفيتى هو الذى أدى إلى استمرار الدعم الأمريكى لثورة يوليو المصرية وتقديم بعض المعونات الأقتصادية.

(جـ) ثم تغيرت المواقف وخاصة موقف الاتحاد السوفيتى

الذى وجد فى النزاع العربى الإسرائيلى عاملا لمنع وقوع الدول العربية داخل دائرة النفوذ الغربى، وقد تطور هذا الموقف مع الأزمة الأردنية الإسرائيلية عام ١٩٥٣ عندما بدأت إسرائيل فى تحويل مجرى نهر الأردن مما يؤثر سلبيا على حقوق كل من الأردن وسوريا ولبنان.

وكانت مواقف الدول الغربية مائعة، أما الإتحاد السوفيتى فقد وقف إلى جانب القضية العربية.

(د) وفى تلك الفترة ظهر موقف غربى إيجابى بتوقيع بريطانيا معاهدة الجلاء مع مصر الثورة عام ١٩٥٤، وجلاء قواتها من قواعدها فى السويس خلال عشرين شهرا، وقد حظيت مصر بتأييد أمريكا وضغطها لكى تخرج بريطانيا من مصر لصالح استقرار المنطقة.

(هـ) إلا أن الأمور لم تواصل سيرها المأمول بعد الجلاء البريطانى على النحو الذى شرحناه من خلال ماتم حول حلف بغداد، وصفقة الأسلحة التشيكية، وسحب تمويل أمريكا والغرب لمشروع السد العالى، وقيام مصر بتأميم قناة السويس.

فى خلال ذلك كله كانت القومية العربية - بفضل جهاد جمال عبد الناصر - تتصاعد فى المنطقة تصاعدا جعل حلف بغداد كما جاء فى مذكرات الرئيس «ايزنهاور» ينظر إليه من معظم الشعوب العربية

على أنه ليس خطوة لحماية المنطقة من النفوذ الروسى، لكنه مكيدة لتقوية النفوذ البريطانى الذى كان قد أخذ يتهدد بالتلاشى. دليل ذلك أنه عندما طلبت بريطانيا من الأردن الانضمام إلى الحلف. انتفض الشعب الأردنى انتفاضة عنيفة أدت إلى إسقاط ثلاث حكومات فى خلال شهر من الأزمة، وإلى إشعال النار فى المركز الفنى الجوى الأمريكى فى عمان وقذف القنصلية الأمريكية فى القسم العربى من القدس بالحجارة.

وعلى أثر ذلك عزل الملك حسين الجنرال جلوب المستشار البريطانى القديم. فعاد البريطانيون يطلبون من الولايات المتحدة الانضمام إلى الحف. ويقول الرئيس «ايزنهاور» فى هذا الصدد: «لم يبد منطقيا انخراطنا فى الحلف رسميا من غير أن نعطى ضمانا لحماية اسرائيل. ولو فعلنا ذلك لكنا قد طردنا العراق خارجا.

كذلك عارضت الهند الانضمام إلى الميثاق، وقد قال «نهرو» فى تبرير ذلك: إن للهند والصين حدودا مشتركة طولها ألف وثمانمائة ميل، وأن أية محاولة دفاعية عن هذه الحدود الطويلة ستكلف ثمنا باهضا، مما يجعل الهند عاجزة عن رفع مستوى معيشة شعبها، فالمجاعة والمرض سيجعلان الهند أكثر تعرضا للخطر من التغلغل الخارجى».

وهكذا وقفت الهند بجانب مصر فى معارضة الأحلاف ورسم طريق جديد فى السياسة الدولية عرف بسياسة الحياد الايجابى والتعايش السلمى.

(و) وهناك عوامل أخرى وقعت فى عام ١٩٥٦، ففى ٣٠ مايو وقع عبد الناصر والملك حسين معاهدة دفاع لمدة خمس سنوات،

ومثل اتفاقية ٢٤ أكتوبر التى وضعت القوات المدرعة الأردنية تحت القيادة المصرية، وكان الاتفاق مفاجأة، بعد الحزازيات والمشاحنات بين القائدين على الجانبين، فكان حسين يتهم عبد النصار بالجبن، وعبد الناصر يتهم حسين بأنه حول بلده إلى عاهرة للولايات المتحدة.

الفصل الرابع

العدوان الثلاثى والموقف الأمريكى .

العدوان الثلاثي والموقف الأمريكي

١ ـ الأزمة:

بعد أن سحبت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والبنك الدولى عرض تمويل السد العالى، قام الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ .

وقد هدفت ألدول الغربية إحراج مصر والتشكيك فى صلاحية اقتصادها، من وراء سحب وعرض التمويل.

وقد جاء سحب العرض بسبب صفقة الأسلحة التشيكية لمصر، ونمو تيار القومية العربية، وعدم تفهم الغرب لطبيعة أمانى الشعوب العربية، وكانت اللعبة هى استخدام الضغوط ـ استخدمها الغرب واستخدمتها مصر ـ ونشأ عن الموقف كله أزمة تتطلب الحل.

وقامت محاولات كثيرة لحل المشكلة وتعديل شكل إدارة القناة بما فى ذلك محاولة تأسيس هيئة المنتفعين التى أقدمت عليها بريطانيا وفشلت فى ذلك، فأحيلت الأزمة إلى مجلس الأمن، الذى أقر فى ١٣/ ١٠/١٩٥٦، ستة مبادئ حول هذه الأزمة وهى:

(أ) أن تكون حرية العبور مكفولة لكل الدول دون تمييز.

(ب) احترام السيادة المصرية على القناة.

(جـ) عزل إدارة القناة عن السيادة القومية لأية دولة.

(د) يتم تحديد رسوم المرور باتفاق بين مصر ومستخدمي القناة.

(هـ) يخصص نصيب من الرسوم لتحسين أحوال الملاحة في القناة.

(و) في حالة النزاع يحال الأمر إلى التحكيم.

وبدلا من السير في إجراءات المفاوضات وفقا للمبادئ الستة التي أقرها مجلس الأمن، ومعظمها إن لم تكن كلها في صالح مصر، قامت كل من بريطانيا وفرنسا بالتنسيق ـ وتحريض ـ مع إسرائيل التي هاجمت مصر في ١٩٥٦/١٠/٢٩، وهنا جاءت الحلقة الثانية بأن وجهت كل من بريطانيا وفرنسا إنذارا لمصر بدعوى أن الحرب المصرية ـ الإسرائيلية تعطل حرية الملاحة في القناة، وقدمت أربعة مطالب لمصر على النحو التالي:

(أ) إيقاف العمليات العسكرية.

(ب) تراجع المتحاربين إلى عشرة أميال من قناة السويس.

(جـ) أن تقبل مصر احتلال قوات بريطانيا وفرنسا لمدن بورسعيد والسويس والإسماعيلية.

(د) يتم إقرار كل ذلك في مدة أقصاها ١٢ ساعة.

وقد رفضت مصر الإنذار، واستمرت الأزمة في نموها على الصعيدين الدولي والغربي.

(٢) العدوان:

(أ) بدء العمليات الحربية:

استاء «بن جوريون» من تأخر فرنسا وبريطانيا فى ضرب المطارات المصرية، فطلب من «ديان» أرجاع القوات الإسرائيلية، ولكن «ديان» لم يوافق لتوغل قواته فى سيناء.

وفى منتصف ليلة ١٠/٣٠ أنذرت كل من بريطانيا وفرنسا الطرفين بعدم الأقتراب من القناة فى حدود عشرة أميال. وفى٣١ /١٠ رفضت مصر الإنذار - كما كان متوقعا - أما إسرائيل فقد وافقت عليه لأنها لم تكن قريبة من القناة فى هذا الوقت، وفى عصر ذلك اليوم بدأت بريطانيا فى ضرب المطارات المصرية.

وفى ١٠/٣٠ اجتمع مجلس الأمن للنظر فى الاعتداء الإسرائيلى على سيناء ولكن حق «الفيتو» لكل من فرنسا وبريطانيا شل حركة هذا المجلس.

(ب) موقف ايزنهاور:

حاول ايزنهاور أن يبدو - بعد أن أدرك أن الدول الثلاثة تواطئوا من خلف ظهره - حفاظا على ماء الوجه، فطلب من «بن جوريون» بواسطة «جولدمان» أن ترجع إسرائيل إلى حدودها، بعد أن تم الغرض من القتال حيث كان «بن جوريون» يزعم أن هدفه هو القضاء على مراكز الفدائيين فى غزة وسيناء ومراكز الجيش المصرى فى خليج العقبة. وركز «ايزنهاور» على إنه بالرغم من المنافع الحالية من بريطانيا وفرنسا فإن مستقبل إسرائيل وقوتها

مـرتبطـان مع أمـريكا. وبعث «أبا إيبـان» إلى «بن جـوريون» يقتـرح إعادة النظر فى علاقات إسرائيل مع أمريكا.

وفى ١٠/٣١ تلقى «بن جوريون» رسالة أخرى من «ايزنهاور» يطلب فيـهـا من إسـرائيل أن تسحب قـواتهـا من سـينـاء، كـمـا أذاع «ايزنـهـاور» فى اليوم نفسه خطابا فى التليفزيون قال فيه إن أمـريكا لاتحكم على المرء بأسمـه وميـزاته بل بعـمله ومـوقـفه وكـذلك تحكم على الأمم».

وأعلن «بن جوريون» أنـه يهـتم برأى أمـريكا من أى رأى اخـر، وليس المهم أن يسـتـولى على المضـايق وإنما المهم تأمين الملاحـة حتى لو لم تكن إسرائيل موجودة هناك.

وأخذ «أيزنـهاور» ـ بعد إعادة إنتخابه ـ بالرغم من تصويت يهود أمريكا ضده موقفه الحاسم مع إسرائيل، وهدد بإتخاذ إجراءات قاسية إذا لم تنسـحب إسرائيل، وأتبع ذلك بخطاب تحـدث فيه عـن وجوب إنسحاب القوات المعتدية من الأراضى المصرية.

(جـ) موقف الاتحاد السوفيتى:

فى١١/٥ وجـه «بولجـانين» إنذارا لكل من فـرنسـا وبريطـانيـا بالكف عن العدوان، وفى رسالة إلى إسرائيل أتهمها بالتظاهر بالسلام بينمـا هى تعـتـدى على جيـرانهـا وهدد باسـتـخـدام القـوة، وأخـذت التهديدات الروسية تزداد عنفا.

وفى مـوسكو قـاطع سـفـراء حلف «الناتو» حـفـلات الأسـتـقـبـال الدبلوماسية يومى ١٧و١٨ نوفمبر عندمـا هاجم «خروشوف» بصوت عال بريطانيا وفرنسا فى «الكرملين» فى أول مناسبة قائلا «إن إنجلترا

وفرنسا كانتا «قطاع طرق». وفى حفل سفارة بولندا قال أن حرب السويس شنها «الأمبرياليون وصنيعتهم، وأن هذه «العصابات الفاشية شكلوا جزءا من تمرد المجر» كما وجه «خروشوف» لسفير بريطانيا عبارة «سنقبرك» وتعنى أن الشيوعية السوفيتية ستعمر أطول من الرأسمالية الغربية.

(د) الموقف الإسرائيلى:

وعندما استشار «بن جوريون» فرنسا نصحته بالإنسحاب ووعدت ببذل المساعدة ضد تدخل روسيا، إلا أنه حاول أن يملى شروطا ويأخذ ضمانات، ولكن أمريكا رفضت الاصغاء للشروط والمطالب التى قدمها ومنها: وضع سيناء وشرقى القناة تحت إشراف الأمم المتحدة، ومرور السفن الإسرائيلية فى قناة السويس، وفصل قطاع غزة عن قضية سيناء كى لا يعود القطاع لمصر. إلا أن «بن جوريون» لم يتنازل عن مطلبين هما: حرية الملاحة فى خليج العقبة، والسيطرة على حدود غزة، وظلت إسرائيل فى غزة وسيناء حتى نهاية ١٩٥٧ حيث طلبت الأمم المتحدة من إسرائيل إخلاء المناطق المحتلة، وجاءت فرنسا بالحل الأخير وهو وضع قوات طوارئ دولية فى غزة ومضايق تيران، وفى ١٩٥٧/٢/٢ طلبت هيئة الأمم المتحدة من إسرائيل الإنسحاب التام من سيناء حتى خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ .

وفى أول مارس أعلنت «جولد مائير» فى الأمم المتحدة أن إسرائيل ستسحب قواتها، وفى الوقت نفسه أعلنت الدول البحرية أن مياه خليج العقبة تعتبر مياها دولية. وهكذا أنسحبت إسرائيل، وهكذا كان للتواطؤ ثلاث فوائد لإسرائيل:

١ ـ أظهر أهمية خليج العقبة للرأى العام العالمى مما جعل الدول البحرية الكبرى تعمل على جعل مياه الخليج مياها دولية تخدم مصالح إسرائيل.

٢ ـ أن الهجوم جعل مشكلة حماية إسرائيل من الفدائيين مشكلة عالمية.

٣ ـ أن الجيش الإسرائيلى لن يستطيع أن يسيطر على سيناء سيطرة فعلية إلا إذا قوى من ناحية العتاد والرجال وحماية الولايات المتحدة.

(هـ) إنشاء الأمم المتحدة لقوات الطوارئ

ولقد كان «أيزنهاور» يؤمن أن تأييد الولايات المتحدة حيوى للأمم المتحدة والتى هى حيوية لسلام العالم فى عصر الذرة. كما كانت قوة الطوارئ الدولية والضغط الأمريكى هما نقطة الارتكاز والذراع التى أرغمت القوات البريطانية والفرنسية أولا ثم الإسرائيلية من الجلاء عن الأراضى المصرية، وكان الهدف من وضع قوات الأمم المتحدة بين القوات الإسرائيلية والمصرية لمنع حوادث قد تؤدى لتصاعد العمليات، وكانت إسرائيل ترفض السماح لأى قوات طوارئ فى الأراضى التى تحت سيطرتها وبخاصة فى العوجة، كما كانت مصر ترفض أيضا أى تدخل لقوات أجنبية، وبهذا لم يكن هناك أمل للتغلب على مقاومة الإسرائيليين وشكوك المصريين.

وإزاء ما تقدم كان منطقيا أن تقود كندا ـ وبيرنز من رعايها ـ فكرة قوة السلام، وقد طلب همرشولد فى ٤ نوفمبر وضع خطة للقوة.

وقدم ممثلو كندا وكلومبيا والنرويج مشروع القرار الذى اتخذته الأمم المتحدة بالتوافق مع توصيات «همرشولد» الذى أنشأ قيادة الأمم المتحدة لقوة طوارئ دولية لضمان مراقبة وقف التحرشات، وعين «بيرنز» قائدا لها وخول فى تعيين ضابط من مواطنى الدول غير دائمة العضوية فى مجلس الأمن، وبهذا استبعدت إنجلترا وفرنسا اللتين ارتكبتا العدوان وكذلك الاتحاد السوفيتى الغير مقبول من الولايات المتحدة. وقد حدد «همرشولد» مهمة قوات الطوارئ وصلاحيتها ولم يقصد بها ممارسة النفوذ على التوازن العسكرى فى الصراع الحالى، وأن هذه القوة لا يمكن الموافقة على تمركزها أو عملها داخل أراضى دولة دون موافقة حكومة هذه الدولة. وقد وصل «بيرنز» إلى القاهرة فى ٨ نوفمبر للاتفاق على قبول مصر لهذه القوات، وكانت صدمة له أن د. محمود فوزى وزير الخارجية وعبد الناصر لم يوافقا على القوة الكندية لتسميتها «حرس الملكة» مما شككهم أن تكون فى الحقيقة قوات بريطانية، وشعر أن عبد الناصر يخشى أن تستخدم هذه القوات لتدويل القناة إذا استمرت بعد رحيل البريطانيين والفرنسيين، إلا إذا تمركزت فى بورسعيد بين القوات المصرية والمتحالفة من ٢١ نوفمبر إلى ٢٢ ديمسبر عندما رحل آخر جندى بريطانى، وبعد ذلك تحركت قوات الطوارئ عبر سيناء حينما انسحب الإسرائيليون. وقد وصلت الدفعة الأولى من كولومبيا والنرويج من نابلس إلى مطار أبوصوير قرب الإسماعيلية وعلى نفس الطائرة وصل «همرشولد» فى مهمة لتكملة الترتيبات مع مصر، وتوصل إلى تفاهم مع عبد الناصر وفوزى على أن وجود قوات الطوارئ فى مصر مشروط بموافقتها، ولكن حينما تمارس مصر

حقوقها السيادية فى أى موضوع يتعلق بوجود ووظائف القوات ستسترشد بقبولها لقرار الجمعية العامة بإنشاء هذه القوات، كما وعد «هموشولد» نيابة عن الأمم المتحدة أن يسترشد بنفس القرارات وأكد من جديد الاحتفاظ بقوات الطوارئ حتى تكمل غايتها.

القسم السادس

دور الإعلام المصرى فى حرب ١٩٥٦

دور الإعلام المصرى
فى حرب عام ١٩٥٦

تمهيد :

الموقف العام

قامت ثورة ٢٣ يولية فى مصر والسودان والبلاد العربية والأفريقية دول محتلة.. ثم وقعت مصر اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ - والتى تم على أساسها جلاء القوات البريطانية بعد احتلال طويل منذ عام ١٨٨٢ - مصر تطالب شركة قناة السويس بحقوق مشروعة والشركة ترفض معتقدة أنها دولة داخل الدولة - مصر تطلب سلاح من الولايات المتحدة بعد هجوم إسرائيلى على غزة فى فبراير ١٩٥٥ . وترفض الولايات المتحدة - مصر تتجه لشراء السلاح من تشيكوسلوفاكيا - مصر تتجه إلى باندونج ودول عدم الانحياز .

مصر تنادى باستقلال الشعوب العربية والأفريقية من إذاعتها - مصر تساعد ثورة الجزائر ضد فرنسا - مصر تطلب من الغرب

مساعدتها لإقامة مشروع السد العالى - ويرفض البنك الدولى مساعدة مصر.

مصر تعلن فى ٢٦ يوليو تأميم شركة قناة السويس وتعلن تعويض المساهمين وتضمن حرية الملاحة فى قناة السويس ، مستندة إلى معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ وأن القناة مصرية فى أرض مصرية.

بدأت معارك سياسية بين مصر وفرنسا وانجلترا ثم حدث تواطؤ بين إسرائيل وفرنسا وإنجلترا وتم الهجوم من دول العدوان الثلاثى اسرائيل، إنجلترا، فرنسا .

الإعلام المصرى يشرح القضية للرأى العام العالمى والعربى والداخلى، ونجح فى تأدية دوره الوطنى.

خلاصة الموقف السياسى:

- المصريون مصممون على التخلص من الاستعمار.

فرنسا مصممة على إبقاء سيطرتها على القناة . المملكة المتحدة مصصمة على العودة إلى احتلال مصر .

الولايات المتحدة تريد استبعاد فرنسا والمملكة المتحدة من الشرق الأوسط والحلول محلها .

الاتحاد السوفيتى يريد استبعاد كل الغربيين من المنطقة والوصول إلى البحار الدافئة لنشر نفوذه .

مصر تصر دائما على أن شركة قناة السويس شركة مصرية وأن القناة لمصر وليست مصر للقناة - هناك تآمر استعماري يريد نشر نفوذه فى الشرق الأوسط.

أهمية دراسة تجربة اعلام ١٩٥٦:

١ - أمر حيوى من أجل مستقبل مصر، لأن مايحدث للقناة أو حولها ومايؤثر على أمنها واستمرارها وتطورها سيستمر هذا الموضوع لأن التجارة العالمية تنمو حاليا ومستقبلا وأن البترول فى هذه المنطقة له أهمية كبرى لدول العالم.

٢ - إنها تجربة اعلامية ناجحة واجه فيها الإعلام المصرى إعلام ثلاث دول - إسرائيل وفرنسا وانجلترا - وأعلن «بن جوريون» بعد انتهاء العدوان وانسحاب الدول الثلاثة من الأراضى المصرية .. لقد انتصر علينا الإعلام المصرى - وأعلن إيدن .. لقد أنفقنا ٢٥ مليون جنيه استرلينى على الدعاية البريطانية ولكن للأسف انهزمنا أمام الإعلام المصرى.

الخطوات التى اتبعها الإعلام المصرى:

١ - الالتزام بالصدق والموضوعية وسرعة الرد.

٢ - كان أمامه ١٢ محطة سرية معادية لتشتيت الرأى العام المصرى وتأليب الرأى العام العالمى ضد مصر.

٣ - أقام الإنجليز محطة إذاعة الشرق الأدنى فى قبرص ، ولكن أمكن للإعلام المصرى أن يصفى هذه المحطة وأغلقت بعد أن أعلنت

إذاعة القاهرة أن أى عربى يعمل فى هذه المحطة، فهو من أعداء الأمة العربية، وأن إذاعة مصر تفتح أبوابها لكل المذيعين العرب بها فانسحب المذيعين العرب وانضموا لإذاعة مصر.

٤ - كشف الإعلام المصرى التواطؤ الذى حدث سرا بين «ايدن وجى موليه» «وبن جوريون» على أساس خطة عدوانية ضد مصر. والخطة هى أن إسرائيل تهاجم مصر عبر سيناء وأن فرنسا وبريطانيا بعد أن تتيح للقوات الإسرائيلية الوقت الكافى للاستيلاء على سيناء توجهان أمرا إلى الجانبين لسحب قواتهما من قناة السويس للسماح لقوة بريطانية فرنسية أن تتدخل وتحتل القناة بزعم انقاذها من التدمير بسبب القتال - وهكذا تتمكن الدولتان من الادعاء بأنهما إنما «يفصلان بين المتحاربين» ويطفئان نارا خطيرة - بينما يسيطران فى حقيقة الأمر على الممر المائى وعلى ميناءيه من الطرفين بورسعيد والسويس.

٥ - كشف الإعلام المصرى هذا التواطؤ وخصوصا أن الرأى العام العالمى كله كشف أسلوب فرنسا وانجلترا بأنهما منحازتان وليسا كما يدعيان لا يوجد اتفاق مسبق بينهما ، وهذا التواطؤ خداع وعمل ضد ميثاق الأمم المتحدة.

٦ - بعد تأميم شركة قناة السويس كانت دول العدوان الثلاثى تكسب وقتا للاستعداد الحربى والتظاهر بالمفاوضات السلمية. كما أن مصر كانت تعمل على أن يقوم الإعلام المصرى بشرح القضية للعالم وكسب الرأى العام العالمى تحسبا لأى هجوم من الدول الثلاثة. وقد تم الهجوم على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ .

٧ ـ كان هناك خطوة إعلامية لمصر قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة وضعها الدكتور محمد عبد القادر حاتم [١] اعتمد فيها الإعلام المصرى (مصلحة الاستعلامات) على التخطيط العلمى.

٨ ـ كانت هناك مؤتمرات صحفية تعقد يوميا لشرح الموقف المصرى.

٩ ـ صدرت آلاف المطبوعات والصور عن الهجوم الثلاثى على مصر وضرب المدنيين والمساجد والكنائس.

١٠ ـ استخدمت أناشيد وطنية حماسية رفيعة بلا تشنج ولا عصبية كما استخدم نشيد «الله أكبر فوق كيد المعتدى».

١١ ـ لما سحبت الدول الغربية المرشدين من شركة قناة السويس المؤممة أعلنت مصر عن حاجتها لمرشدين ولكن لم ينشر الإعلان إلا فى صحيفة واحدة بريطانية «المانشستر جاردن» حيث رفضت الصحافة الفرنسية والانجليزية نشر الإعلان.

واستثمر الإعلام المصرى الموقف ضد أجهزة الإعلام الاستعمارية.

١٢ ـ أعلنت أجهزة الإعلام المصرى أن اتفاقية القسطنطينية تتضمن حرية الملاحة وليس وضعا دوليا .. وأن المادة ١٦ تقر بأن الشركة مصرية تخضع للقوانين المصرية .. أن التأميم لشركة مصرية هو عمل من أعمال السيادة ـ وأن محاولة الدول

(١) الدكتور محمد عبد القادر حاتم رائد الإعلام العلمى فى العالم العربى دون منازع.

الاستعمارية إقامة لجنة دولية لإدارة القناة ماهو إلا استعمار جماعى.. وإذا كانت الدول الاستعمارية قد اعتقدت بأن موقفها قوى وعادل فلماذا الحصار الاقتصادى والتهديدات العسكرية ضد مصر إن التأميم لم يؤثر على حرية الملاحة .. إن مصر لا تحضر أى مؤتمر دولى يؤثر على سيادتها.

١٣ ـ استثمر الإعلام المصرى جيدا ـ استقالة انطونى نانتج الوزير البريطانى احتجاجا على سياسة رئيس الوزراء البريطانى.

١٤ ـ قام الإعلام المصرى بتحليل علمى للرأى العالمى فى كل دولة مبينا المعارضين للاعتداء على مصر ـ القوى المؤثرة فى الرأى العام الداخلى ـ الطوائف الإسلامية ـ الجاليات العربية ـ أحزاب المعارضة فى الدول المعتدية ـ إرسال الوفود المصرية التى قامت بشرح الموقف لدول العالم.

١٥ ـ أنشئت وكالة أنباء الشرق الأوسط وذلك قبل العدوان لتقف أمام الوكالات العالمية.

١٦ ـ قام جهاز الإعلام المصرى بكشف كل أكاذيب العدو وكان الرد سريعا.

١٧ ـ لم يخف الإعلام المصرى شيئا عن الرأى العام المصرى فقد استحدث برنامج «أكاذيب وحقائق» يذاع يوميا ليفند كل ماتذيعه ادعاءات محطات الاعداء.. ويرد عليها بالحقائق.

١٨ ـ كان الإعلام المصرى يستخدم أسلوبا واحدا فى إعلامه فلم يكن هناك استهلاك خارجى واستهلاك محلى.

١٩ ـ أنشأت مصلحة الاستعلامات معهدا علميا للرأى العام وكذلك معهد لتدريب رجال الإعلام بها ولذلك نجح جهاز الإعلام المصرى بواسطة خطته ورجاله الأكفاء والتنظيم الجيد.

٢٠ ـ رد الإعلام المصرى على مندوب انجلترا فى الأمم المتحدة القائل باستسلام مصر فلماذا بالانسحاب؟ وهكذا كشف الإعلام المصرى كذب المندوب البريطانى عندما اتصل بالمستشار الإعلامى المصرى فى نيويورك هاتفيا الذى كذب خبر الاستسلام.

٢١ ـ المصور العالمى اندرسون الهولندى المحايد ـ الذى نقل الصور عن بورسعيد للقاهرة عبر قبرص والتى تصور هدم المساجد والكنائس والجرحى من الشيوخ والأطفال والنساء .. ثم طبع مجلة Scribe المصرية وكلها صور تفضح العدوان الثلاثى على مصر وإرسالها إلى زعيم المعارضة البريطانى جيتسكل فى مجلس العموم.

٢٢ ـ قام الإعلام المصرى برفع شعار «ارفعوا أيديكم عن مصر» على ملصقات .. وزعت على كل بلاد العالم من الصين حتى الولايات المتحدة مع تنظيم مظاهرات تندد بالعدوان على مصر.

٢٣ ـ حينما نزلت القوات المعتدية على بورسعيد ـ لم تخفيه الإذاعة المصرية بل أذاعته بطريقة صادقة وعلمية ثم أبرزت مقاومة الشعب المصرى لهذه القوات.

٢٤ ـ حينما ضرب العدو محطة إرسال صوت العرب قام جهاز

الإعلام بتجهيز إذاعة بديلة فورا والإيحاء لإذاعات الدول العربية بأن تقول أنها إذاعة صوت العرب ،وكذلك تم عمل إذاعات سلكية فى الميادين لإذاعة الأناشيد والبيانات العسكرية.

٢٥ ـ كانت هناك لأول مرة فى مصر قوافل للاستعلامات تطوف كل قرى مصر لتذيع المواد الإعلامية.

٢٦ ـ نشطت الإذاعات الموجهة المصرية بكل اللغات (وعددها ٣٤ لغة) فى شرح العدوان الثلاثى على مصر.

٢٧ ـ لم تستخدم الإذاعة وجهاز الإعلام أى شتائم ضد دول العدوان .. بل شرح كيف يريد االاستعمار العودة وأن شعب مصر لن يسمح له بأن يعود أبدا.

٢٨ـ كان هناك جهاز لتحليل كل الدعاية المضادة والاشاعات المضادة .. ويقوم بالرد الموضوعى عليها بالموضوعية والفورية المطلوبة.

٢٩ ـ استغل جهاز الإعلام المصرى انسحاب دول العدوان وكذلك سقوط جى موليه وايدن وبن جوريون على إعتباره نصر للعرب جميعا وبذلك ارتفعت هيبة مصر أمام العرب.

٣٠ ـ كان هدف جهاز الإعلام المصرى طوال المعركة وبعد المعركة جمع كل الشعوب العربية لتقف فى وحدة تامة من أجل استعادة حقوق العرب ووحدة العرب.

الخلاصة :

١ ـ أهمية دراسة التجارب الناجحة للإعلام المصرى لتكون حافزا وتراثا حضاريا يجب أن تتعلمه الأجيال القادمة بصفة عامة ورجال الإعلام بصفة خاصة ـ وكذلك تجارب الإعلام الخاطئة لمعرفة السلبيات وتجنبها.

٢ ـ إن جهاز الإعلام المصرى يمكنه إذا ما توفر له القيادة الرائدة والخبراء الأكفاء والامكانيات فإنه قادر على تحقيق أهدافه.

٣ ـ إن نجاح الإعلام المصرى فى معركة إعلام حرب السويس أمام أجهزة الدعاية الاستعمارية كان أساسه الدخول فى معركة مركزة لأن القضية عادلة فضلا عن التخطيط الإعلامى الجيد.

٤ ـ يلزم أن ينبه الإعلام المصرى بصفة مستمرة الأجيال القادمة أن مصر وقناتها كانت وستظل مطمعا للطامعين وهدفا للمستعمرين .. كما كانت على مر العصور والأزمان .. وحججهم لا تنتهى .. الشرق الأوسط منطقة البترول ـ قناة السويس شريان عالمى ـ من يسيطر على مصر يسيطر على البحرين الأبيض والأحمر ـ وكذلك يسيطر على البلاد العربية، فمصر قلب العالم العربى ومفتاح أفريقيا وموقعها استراتيجى عالمى.

دحض حجج المستعمرين.

قام جهاز الإعلام المصرى بدحض حجج المستعمرين التى كانت ترى:

١ ـ بأن منطقة الشرق الأوسط هى منطقة فراغ .. يجب احتلالها ـ كأنه لا يوجد بها شعب.

٢ ـ أن هذه المنطقة يجب أن ترتبط بأحلاف ويلزم وجود قواعد عسكرية بها.

٣ ـ أن هذه المنطقة يجب ألا تكون غير محايدة أو غير منحازة فالحياد فى رأيهم لا يعنى الحياد بين الصواب والخطأ أو بين ما هو لائق أو ماهو غير لائق ـ بل يعنى الحياد بين القوات العسكرية المتحارية أى ليس من حق أى دولة أن تبدى عدم اكتراث بمصير دولة أخرى.

٤ ـ ترى بعض الدول الكبرى أن النظام السياسى فى هذه المنطقة عليه أن ينفذ أيدلوجية معينة ـ وترغب بعض الدول الكبرى أن تتبع هذه المنطقة الأيدلوجية التى تراها هذه الدولة وليست التى يراها شعب هذه المنطقة.

٥ ـ رغبة بعض الدول الكبرى أن تبقى كل دول هذه المنطقة فى حجمها ولا تتعداه حتى لا تقيم وحدة أو تحالف مع أى دولة أخرى.

وهكذا يجب أن تعتمد مصر ذاتيا بعد الله على قوتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا معتمدة على سلاحين أساسيين، القوات المسلحة القوية وسلاح الإعلام الكفء.

القسم السابع
تقييم بعد حرب السويس

الفصل الأول:

وجهة النظر الغربية

الفصل الثانى:

مكاسب مصر وإسرائيل

الفصل الثالث :

الأوضاع فى إسرائيل بعد حرب السويس

الفصل الرابع :

الموقف الأمريكى بعد حرب السويس

الفصل الأول

وجهة النظر الغربية

وجهة النظر الغربية

من الأهمية بمكان معرفة آراء الآخرين بالنسبة لمجريات الحرب ونتائجها وخاصة إذا تضمنت آراء ومعلومات موضوعية، على النحو التالى:

(أ) انتهت الحرب التى خطط لها «بن جوريون» طويلا للفوز بممرات مائية ومزيد من الأرض، والتى حلم بها «موليه» لمفتاح النصر فى الجزائر، والتى بارز بها «إيدن» شخصياً وظاهريا على عبد الناصر لتسوية حساب القناة ولتحطيمه فى الواقع، ولقد حقق «بن جوريون» غايته، ولكن فرنسا لم تكسب ولم تخسر، وإيدن مع دلاس مناضلاً من أجل نهاية القناة - حلقوم عبد الناصر.

كان أيزنهاور هو الذى وضع نهاية للحرب، وضعف دور الأمم المتحدة وكل قادر على التدمير بأسلوبه ، وكان أيزنهاور لايرى صعوبة فى إخراج انجلترا وفرنسا، لكن كان الأكثر صعوبة فيما بعد إخراج الإسرائيليين، إلا أن مسلك الشدة والصلابة معهم أجبرهم على الموافقة فى النهاية بالجلاء.

وقد كان واضحا أن عبد الناصر قد خسر الحرب، ولكن فى نفس الوقت إزدادت قوته فى مصر وفى العالم العربى وكمتحدث لأفريقيا وآسيا.

وكانت أوامر عبد الناصر بالأنسحاب سببا فى عدم الدفاع عن «أم كتاف» وممر متلا، وكما قال «ديان» أن القصف الجوى البريطانى الفرنسى حقق التحكم الكامل لهم فى الجو، وجعل انسحاب المصريين بالقليل من معداتهم فضيحة وعاراً عسكريا، ففى حربى سيناء والسويس كانت لإسرائيل ميزة لا تنكر وهى أن تضرب أولاً، وميزة أكبر فى حرب الصحراء أن تقضى على القوات الجوية المصرية، وقد أصبح الموقع المحصن الوحيد «شرم الشيخ» فى أيدى الإسرائيليين.

وتعكس الخسائر مجرى الحرب، فقد أعلن الجيش الإسرائيلى فى ١٩ نوفمبر أنه فقد مائة وواحد وتسعين قتيلاً وأسير واحد، وطيار أطلق عليه النار فى شرم الشيخ، ومن بين القائمة ثلاثين ضابط وهى نسبة عالية وكان من بينهم الكولونيل «سمحونى» قائد كل العمليات فى سيناء ومساعده المقدم «آشردروم» والذى أطلقت عليه المدفعية الأردنية بالقرب من عجلون - جبل شرقى نهر الأردن - وكانت طائرته قد ضلت الطريق من إيلات إلى تل أبيب، وكانت الأوراق والمذكرات التى وجدت فى حطام الطائرة تحتوى على الأمر الإسرائيلى بالمعركة إلى جانب انتقاد صريح لديان والعمليات الإسرائيلية، وقد نشر عبد الناصر نسخا من مذكرات «سمحونى» مع تحليلاته هو شخصياً عن حملة سيناء فى مجلة «أخر ساعة» بتاريخ ٥ ديسمبر والتى ذكر فيها «سمحونى» بأن الهجوم الجوى المصرى على

المحاور الجنوبية كان عنيفا إلى الدرجة التى لم تمكن الإسرائيليين من نقل جرحاهم، وكان واضحا التذمر من تضارب الأوامر وعدم التنسيق وغياب «ديان» عن مقر القيادة.

أما خسائر البريطانيين فكانت ستة عشر قتيلا وستة وتسعين جريحاً. بينما فقد الفرنسيون عشر قتلى وثلاثة وثلاثين جريحاً، وكان الإنجليز والفرنسيين قد وضعوا اثنين وعشرين ألف رجل (ثلاثة عشر ألفا وخمسمائة بريطانى وثمانية آلاف وخمسمائة فرنسى)، وأربعة آلاف وأربعمائة سيارة حربية فى بورسعيد وبور فؤاد.

أما خسائر المصريين فلم يعلن عنها رسميا، أما الأسرى لدى الإسرائيليين والبريطانيين والفرنسيين فكان ستة آلاف معظمهم من الحرس الوطنى والفلسطينيين من غزة، وقد تم تبادل الأسرى تحت إشراف الأمم المتحدة فى ٢١ يناير ١٩٥٧ . وقد أعادت مصر طيار إسرائيلى وثلاث أسرى تم أسرهم خلال اشتباكات الحدود عام ١٩٥٥ .

واختلفت الأرقام فى الروايات المتعددة عن عدد القتلى من المصريين فى المعركة، كما سجل المصريون الكثير من أعمال الإسرائيليين الوحشية والهجمات الجوية على المستشفيات وقطارات الجرحى وعربات الإسعاف بالصواريخ والنابالم. كما وجد عمال مصريين معلقين على أعمدة التلغراف ما بين القنطرة والعريش، هذا إلى جانب ما أطلق عليه «مجانين المعركة» أى من أصيبوا بالجنون من ويلات الحرب وحزنا على أولادهم.

وقد أقام المصريون نصبا تذكاريا لقبر الشهداء فى ميدان البلدية فى بور سعيد، كما تحدد يوم ٢٣ ديسمبر الذى تحررت فيه بور سعيد أصبح «عيد النصر» ويأتى الثانى فى الأهمية بعد عيد الثورة» فى يوليو.

وكان تكتيك «بن جورين» واضحا فركز معركته السياسية للاحتفاظ بالامبراطورية الجديدة التى كسبها بالسلاح، وتعامل مع سيناء كجزء تاريخى من إسرائيلى وعزمها على البقاء فيها، وأبلغ «الكنيست» أن العمليات حددت على منطقة شبه جزيرة سيناء، وأن اتفاقية الهدنة مع مصر قد ماتت ودفنت ولن تبعث للوجود، كما أن الحدود بين مصر وإسرائيل قد توارت.

(ب) وكان أن صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بانسحاب كل القوات الإسرائيلية فورا من خلف خطوط الهدنة، وكان صوت إسرائيل هو السالب الوحيد ضد القرار، كما امتنعت بريطانيا وفرنسا عن التصويت.

وبالنسبة لقوات الطوارئ التابعة أعلن «بن جوريون» «إن إسرائيل لن تقبل تحت أى ظروف لأى قوات أجنبية مهما كانت تسميتها أن تتمركز فى أراضيها أو أى أراضى تحتلها إسرائيل حالياً».

واستمر «بن جوريون» فى مغالطاته بادعائه أن سيناء صحراء أجنبية بالنسبة للمصريين وأن «تيران» حررها الجيش الإسرائيلى وأن أزمة السويس التى تفجرت منذ شهور مضت وسببت غضبا اجتاح كل العالم وجرتنا إليها، بل كان مخططا لها منذ أن انتهك حقنا فى

حرية الملاحة بطريقة همجية من جانب الحكام المصريين، ومن أجل اقتصاد ومستقبل إسرائيل فإن حرية الملاحة فى البحر الأحمر من وإلى إيلات ليست أقل أهمية بل ربما أكثر من حرية الملاحة فى السويس.

وقد كان عبد الناصر يعلن دائما أنه فى حالة حرب مع إسرائيل ولم يخفى هدفه الأساسى وهو الهجوم على إسرائيل وإزالتها من الوجود فى أول فرصة، وأجادت إسرائيل استغلال هذه التصريحات العدائية المتكررة.

(جـ) ونشرت «جيروزاليم بوست» وهى الصحيفية الرسمية لحزب «الماباى» حزب «بن جوريون» فى ٧ نوفمبر تاريخ شبه جزيرة سيناء وتفند السيادة المصرية عليها، وأن محمد على أخذ جزءا منها من تركيا عام ١٨٤٠ كمنطقة عازلة فى مقابل انسحاب مصر من سوريا وفلسطين، ولم تحدد هذه الحدود لكنها معروفة وتبدأ من العريش حتى السويس، والتى تركت معظم الأرض فى فلسطين فيما عدا مثلث صغير تمتلكه مصر فى الشمال الغربى. وكانت اتفاقية الحدود البريطانية التركية عام ١٩٠٦ والتى ظلت مقبولة للجميع فيما عدا إسرائيل، وأن بريطانيا قد منحت العريش لهرتزل عام ١٩٠٢ كعرض لمستوطنة صهيونية، ولو أتيحت الفرصة لإسرائيل أن تعيد لشبه الجزيرة المهملة مجدها بزراعتها لتتطور مثل ما فعلت فى أراضى الآباء.

وقد وصلت أحاديث «بن جوريون» المتمردة إلى أيزنهادر فى

خضم محادثاته مع «إيدن» الذى كان يأمل فى الاحتفاظ ببور سعيد على الأقل للمساومة عليها مقابل بعض التنازلات من مصر بقدر ما يستطيع، وقد أبرق أيزنهاور إلى «بن جوريون» بأن الولايات المتحدة تنظر لموقفه بقلق شديد وأن إسرائيل تنسف جهود الأمم المتحدة بهذه السياسة التى لن تؤدى إلا إلى إدانة إسرائيل.

وكانت هذه الرسالة الصارمة والتى بلغت حد الأضرار بالعلاقات بين بلديهما قد أزعجت «بن جوريون»، كما بعث «ميشيل بارزوهار» من هوفر برسالة مماثلة إلى «جولدا مائير» حددت احتمالات فرض عقوبات اقتصادية ضد إسرائيل، واتجاه كبير فى الأمم المتحدة لطردها. كما توالت الرسائل الشفوية من واشنجتن تحذر من أن التعنت الإسرائيلى سيمنعَ الغرب من معارضة التدخل الروسى المحتمل كمتطوعين. واجتمعت حكومة «بن جوريون» مرتين للتوصل إلى صيغة تسترضى أيزنهاور دون التسليم، ورد عليه فى ٨ نوفمبر بأن إسرائيل لم تخطط أبدا لضم صحراء سيناء وأنها ستعمل طبقا للترتيبات المرضية مع الأمم المتحدة فيما يتعلق بالقوة الدولية، التى تدخل منطقة قناة السويس. وأنها راغبة فى سحب قواتها. ولم يكن مصادفة أن يقول «بن جوريون» أقل مما يزعم قوله، فقد قصد أن دخول قوات الطوارئ فقط إلى منطقة القناة التى كانت تحتلها بريطانيا وفرنسا. وكان غامضا غير صريح عن انسحاب القوات، لم يقل من أين أو إلى أى مدى الانسحاب ودون الإشارة إلى انسحاب البوليس أو العناصر الأخرى من احتلال السيطرة، كذلك صيغة أخرى مشابهة حددت مدى سيطرة إسرائيل على العوجة منزوعة السلاح من الاحتفاظ ببعض ثمار انتصاره. وبعد ساعاتْ من

تأكيداته الصورية لأيزنهاور أدلى «بن جوريون» بتأكيد متضارب أذاعة الراديو على الشعب، قال إن لإسرائيل ثلاثة أهداف رئيسية فى عملية سيناء، وهى: تدمير كل القوى التى حاولت طوال الوقت من قهر وتهديد إسرائيل، وتحرير هذا الجزء من الوطن الذى احتله الغزاه. وضمان حرية الملاحة فى مضايق إيلات وأيضاً فى قناة السويس. ولو أن الهدف الأول قد تحقق، لكن سيتحقق الهدفين الآخرين بالكامل فالصراع لم ينته بعد، وقد قال «بن جوريون» «إن قرار الانسحاب كان أقسى ما آلمه فى حياته».

أما «مناحم بيجين» فقد قال فى مناقشة بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٥٧ أن لا الشئون الخارجية بالكنيست أو لجنة الأمن علمت كيف أو ماذا حدث بين ٧ و ٨ نوفمبر الذى أدى إلى أن توافق الحكومة على الأنسحاب.

وقد أبرقت إسرائيل «لهمرشولد» فى ٨ نوفمبر أنها ستسحب قواتها من مصر متى توصلت إلى ترتيبات مرضية فيما يتعلق بقوات الطوارئ الدولية. وكان «بن جوريون» قد حذر دون جدوى «دالاس» أن الانسحاب يعارضه كل الشعب الإسرائيلى والذى قد يؤثر على الناخبيين اليهود فى الولايات المتحدة، ولم يأبه «أيزينهاور» بهذا النوع من الضغوط والتهديد وفى عام الانتخابات، وقد جاءته اتصالات من نيويورك وغيرها بأنه سيفقد أصوات اليهود، لكنه كان مقتنعاً بأنهم أمريكيون قبل أن يكونوا يهود، وعلى العكس فقد زادت شعبية «أيزنهاور» لموقفه فى أزمة السويس وفاز على منافسه «أدلاى ستيفنس» بأغلبية كبيرة.

وعلى نقيض إذاعة أنباء الحرب دقيقة بدقيقة، أجل الروس إعلان نبأ قرار وقف إطلاق النار لمدة أكثر من أحد عشر ساعة عندما أدعى معلق أن روسيا قد فرضت وضع نهاية للقتال، وكانت دمشق هى العاصمة العربية الوحيدة التى أيدت هذا الأدعاء.

(د) كان وقف إطلاق النار غير مستقر، وكان القواد البريطانيون والفرنسيون يرغبون بشدة فى استئناف القتال، وكان المصريون يستفزونهم بالأعيرة النارية المتواصلة عبر بحيرة المنزلة بواسطة عمليات فدائية. وتبارى القواد البريطانيون والفرنسيون فى سرد إمكاناتهم لاحتلال أية مواقع سواء فى الكاب أو القنطرة وبورسعيد وغيرها لو كان لديهم الأذن بذلك.

وكان شاغل «إيدن» الأول بعد وقف إطلاق النار أن يستعيد موقعه وبريطانيا فى التحالف الغربى.

وقد اتصل تليفونيا بأيزنهاور» فى ٧ نوفمبر مقترحا أن يطير و«موليه» إلى واشنجتن فوراً ولمناقشات كاملة معه، ولم يرحب «أيزنهاور»، لكن كانت هناك اتصالات بين «أيزنهاور» و«إيدن» والأخير مع «موليه» لإحترام قرارات الأمم المتحدة والأنسحاب، وتأجل اجتماعهم حتى تمتثل بريطانيا وفرنسا لقرار الأم المتحدة.

وكان على عبد الناصر بعد الحرب أن تقوم سياسته على استعادة الأراضى المصرية التى احتلتها إسرائيل، وأن يوضح للأمريكيين أنه لم ولن يكون تابعا للروس، وقد أكد عبد الناصر للسفير الأمريكى أن مصر ناضلت لسنوات عديدة لطرد المحتلين منها ولا تعتزم إعادة

التجربة، وأنه لا يثق فى أى قوى كبرى، وكان «بولجانين» قد اقترح على «أيزنهاور» إرسال قوات ضد الغز البريطانى/ الفرنسى .

(هـ) وكان من نتائج العدوان الثلاثى أن قويت وحدة العرب ولم تكتسب بريطانيا وفرنسا إلا كراهية العرب لهما وضياع هيبتهما واحترامهما. وقد أذاع عبد الناصر عقب صلاة الجمعة من الجامع الأزهر أن كلا من الروس والأمريكيين قد عملا لوقف الحرب أى أن قوتين عظميين وقفتا إلى جانبنا، كما عبر عن إقراره بالفضل لقادة سوريا والأردن والسعودية الذين طالبوا بالسماح لهم بدخول الحرب، وإن تحبيذ مصر للسلام لا يعنى الاستسلام، لقد فرضت الحرب على مصر لأن الأمبريالية أرادت أن نكون توابع لها، موضحا أنه طالما يوجد جندى أجنبى واحد فى مصر فلن يبدأ تطهير وإصلاح القناة لأن ذلك سيؤثر على خطتنا للدفاع ضد العدوان.

كما أعلن عبد الناصر فى ٢١ نوفمبر عن سياسته الخارجية ردا على الإدانة المستمرة وبإصرار وخاصة من جانب بريطانيا وإسرائيل بأن مصر والأتحاد السوفيتى يتآمران ليصبح الشرق الأوسط مرتعاً للشيوعية، وأنه يقطع على نفسه عهدا ألا يصبح عميلا أو تابعا لأى جهة، فكما أن مصر مصممة على الاستقلال السياسى فإنها مصممة على استقلالها العقائدى (الأيديولوجى) عن كل العقائد الأجنبية مثل الماركسية والعنصرية والأمبريالية والاستعماروالإلحاد، وإن مصر بموقعها الجغرافى مقتنعة بالحاجة إلى التعاون الدولى، وقد عاهدت نفسى أن ألتزم بالقانون الدولى القائم حالياً، ونفى أن تكون هناك

أطماع بتأسيس إمبراطورية عربية، وكل تطلعاتنا للديمقراطية والتقدم الاقتصادى.

إن الوطنية والقومية والحياد لها جذورها فى التفكير السياسى المصرى منذ عهد بعيد قبل الثورة، بل أن عبد الناصر نفسه لم يتبنى الحياد إلا عام ١٩٥٥ أى بعد ثلاث سنوات من الثورة.

ولسوء حظ عبد الناصر أن «واشنجتن» كانت تحت ضغوط داخلية وخارجية لأتباع سياسة نحو العالم العربى بصفة عامة ومصر بصفة خاصة، ضغوط الصهاينة فى الداخل، والحرب الباردة من الخارج.

(و) وفى اليوم التالى لوقف إطلاق النار، وبينما «بن جوريون» يناور فى الأنسحاب، وإيدن يجتر خيبة أمله فى زيارة واشنجتن، وعبد الناصر يحلل مستقبل الشرق الأوسط مع السفير الأمريكى، أعلن «إيزنهاور» أفكاره بخصوص الشرق الأوسط والتى عرفت فيما بعد «بمبدأ أيزنهاور» لملء الفراغ الذى يقلص نفوذ كل من بريطانيا وفرنسا فى المنطقة نهائياً بعد حرب االسويس. وكان الهدف الباقى من مذكرة أيزنهاور هو «أبعاد النفوذ السوفيتى عن المنطقة». أما بالنسبة لمصر التى اشترت أسلحة روسية للحاجة الماسة وبعدما يئست من التسويف الأمريكى لعدة سنوات، فقد اقترح أيزنهاور أن يزود مصر بكمية متفق عليها من الأسلحة كافية للمحافظة على النظام الداخلى ومعقولة للدفاع عن حدودها فى مقابل التوقيع على اتفاقية تقضى بعدم تقبل أى عرض سوفيتى، وكانت الفكرة البناءة وطابعها الإنسانى التى وضعها «أيزنهاور» هى تزويد

المنطقة حيثما يكون ضروريا بمزيد من فائض الأغذية لمنع المعاناة، إلا أن الإدارة الأمريكية عملت العكس وبصفة خاصة تجاه مصر حيث جرحى الحرب والدمار فى المبانى والمواصلات ونقص الإمدادات. وعلى نقيض «أيزنهاور» و«دالاس» لم يخلط عبد الناصر بين القومية والشيوعية وكانت سياساته فى العراق وسوريا كما فى بلده أن عمل فى الواقع لأقصى مدى على كبح نفوذ الشيوعيين فى الشرق الأوسط بأكثر فاعلية من تحركات الأسطول السادس والمساعدات بملايين الدولارات لمناهضى الشيوعية.

ولقد كان «أيزنهاور» يؤمن أن تأييد الولايات المتحدة حيوى للأمم المتحدة والتى هى حيوية لسلام العالم فى عصر الذرة، كما كانت قوة الطوارئ الدولية والضغط الأمريكى هما نقطة الارتكاز والذراع التى أرغمت القوات البريطانية والفرنسية أولا ثم الإسرائيلية من الجلاء عن الأراضى المصرية، وكان الهدف من وضع قوات الأمم المتحدة بين القوات الإسرائيلية والمصرية لمنع حوادث قد تؤدى لتصاعد العمليات، وكانت إسرائيل ترفض السماح لأى قوات طوارئ فى الأراضى تحت سيطرتها وبخاصة فى العوجة، كما كانت مصر ترفض أيضاً أى تدخل لقوات أجنبية، وبهذا لم يكن هناك أمل فى التوصل إلى اتفاق بين القوى العظمى أعضاء مجلس الأمن على إجراءات تكفى للتغلب على مقاومة الإسرائيليين وشكوك المصريين.

(ز) عندما أخذت قوات الطوارئ مواقعها حول مرفأ بور سعيد استمرت محاولات «إيدن» اليائسة فى تحطيم عبد الناصر سياسيا. وكانت واشتجتن قد أوضحت أن لجنة الطوارئ لن تعمل

شيئا قبل جدول انسحاب سريع توافق عليه بريطانيا وفرنسا، وقد جمعت واشتجتن ثلاثة عشر شركة بترول تعمل فى الخارج لوضع خطة طوارئ لإمداد غرب أوروبا بالبترول إذا ما توقفت إمداداته من الشرق الأوسط.

وقبل حرب السويس كان ثلاثة أرباع بترول غرب أوروبا من الشرق الأوسط. وكان المستقبل قاتما أيضاً لحليف «إيدن» العربى الوحيد وهو العراق الذى انخفض أنتاجه من البترول خمسة وسبعين فى المائة كما خسر مائة وثمانية مليونا من الدولارات. أما السوريون فرغم خسارة رسوم المرور فقد أعلنوا أنهم لن يسمحوا بإصلاح أنابيب البترول حتى يتم انسحاب كل الغزاة بما فيهم إسرائيل من مصر.

وفى يناير سمح عبد الناصر لهيئة إنقاذ تابعة للأمم المتحدة ببدء تطهير القناة بعد رحيل البريطانيين والفرنسيين، لكنه لم يسمح بتحريك سفن الإغلاق حتى ينسحب الإسرائيليون كذلك.

وقد حاول «إيدن» ـ دون جدوى ـ الحصول على أذن الأمم المتحدة للسماح لأطقم ومعدات الأنقاذ الأنجلو / فرنسية التى كانت تصاحب أسطول الغزو لتطهير كل الممرات المائية. وقد تم تطهير ميناء بورسعيد والقناة جنوبا حتى الكاب، وقد كتب «إيدن» أن رفض الأمم المتحدة السماح بتطهير القناة ورفض الولايات المتحدة وضع طوارئ البترول فى أوروبا فى الاعتبار أعطى عبد الناصر وضعا قويا للمساومة.

لقد مارست الولايات المتحدة ضغوطا سواء مباشرة أو من خلال الأمم المتحدة لإرغام بريطانيا وفرنسا على ترك بور سعيد، وكانت واقعة مؤلمة أن تصوت أمريكا لصالح قرار تقدمت به المجموعة الأفرو أسيوية فى ٢٤ نوفمبر تطالب بأن يترك الغزاة مصر «فورا».

وكان «إيدن» يتحدث عن التغلغل السوفيتى فى الشرق الأوسط خاصة فى سوريا والعراق، وأن الترياق الأمثل هو التواجد البريطانى الفرنسى فى عنق الزجاجة على قمة الشاطئ، وقد اعتمدت السفارة الأمريكية فى سوريا على تقارير غير صحيحة صدرت فى واشنجتن ولندن من خلال القنوات الدبلوماسية والصحفية مفادها أن الأسلحة السوفيتية تتدفق على ميناء اللاذقية السورى، وأنه وصلت ١٥٠ طائرة «ميج»، وأن عبد الحميد السراج رئيس المخابرات السورية قد استولى على السلطة فى انقلاب بتأييد شيوعى، وفى العراق كان وضع «نورى السعيد» مظلما مع القوميين الغاضبين من موقفه السلبى فى تأييد عبد الناصر حتى ولو بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا. أما أدعاء أن عبد الناصر يميل أو يتعاطف مع الشيوعية فقد قال خروشوف: «إن القوى الغربية تحاول تصعيد التنديد بعبد الناصر ولو إنه ليس شيوعياً، لكنه سياسياً أقرب إلى الذين شنوا الحرب عليه، وحتى أنه وضع الشيوعيين فى المعتقلات، لكن عبد الناصر يحارب من أجل الاستقلال، وهو بطل أمته ونحن نتعاطف معه».

وفى ٣٠ نوفمبر قال «أيزنهاور» إنه استراح لأن بريطانيا وفرنسا ستسحبان قواتهما من مصر سريعا ودون شروط، وعلى هذا أمرت

ببدء شحنات بترول الطوارئ، وكان «إيدن» قد صرح بأنه على إسرائيل أن تنسحب كذلك من سيناء وغزة، والتزم «بن جوريون» الصمت لأنه على يقين أن واشنجتن وليست بريطانيا هى التى تقرر ما إذا كانت إسرائيل تنسحب.

وكان البترول قد بدأت شحناته من نوفمبر وبدأ فى ديسمبر التشغيل الكامل من السعودية والخليج الفارسى الذى ترسل شحناته حول رأس الرجاء الصالح وارتفع سعر البترول بشكل معقول.

وكانت مرارة القوات الفرنسية بسبب الانسحاب عاملا فى الإطاحة بالجمهورية الرابعة فى مايو ١٩٥٨، كما أثر الانسحاب فى نفوس الشعب إذ لم يجنوا من عدوانهم سوى العار والسخرية، واتخذت القوات المنسحبة طريق قبرص وتعرضت للاستهزاء والسخرية، ومن بعدهم البريطانيين.

وكان يوم ٢٢ ديسمبر هو اليوم الأخير لانسحاب القوات المتحالفة من بور سعيد، وفى ٢٣ ديسمبر سلم «بيرنز» إدارة المدينة للمحافظ محمد رياض. وكان «إيدن» أول من قدم استقالته على أثر حرب السويس - وخلفه «هارولد ماكميلان» - بعد أن أبلغه الأطباء بذلك فى ٩ يناير، وكان «ماكميلان» تربطه علاقة صداقة شخصية مع «أيزنهادر» منذ الخدمة فى زمن الحرب العالمية الثانية فى شمال أفريقيا مما كان فى صالحه وأعاد التحالف الأنجلو/ أمريكى فى مؤتمر «برمودا» الذى تعهدت فيه الولايات المتحدة بإقامة قاعدة للصواريخ فى بريطانيا رادعة لمواجهة أى تهديد سوفيتى بالصواريخ مستقبلا، وقال «أيزنهاور» إن هذا المؤتمر كان الأكثر نجاحا والذى

حضرته منذ الحرب العالمية الثانية، والسبب الرئيسى يرجع إلى صلة الرفاق القدامى التى تربطنى بهارولد. وكان المرارة المتسلطة لدى البريطانيين تجاه عبد الناصر، وكان رئيس الوزراء «هارولد ولسون» ووزير خارجيته «سلوين لويد» تتسلط عليهما فكرة إمكانية التخلص من عبد الناصر من أجل أسلوب عملى لإدارة القناة، وقد أبلغهم «أيزنهاور» أنه لا يمكنهم أن يبحثوا عن التعاون مع عبد الناصر ومحاربته فى وقت واحد.

(ح) وقد كشف مراسل «للمانشستر جارديان» بتاريخ ٢١،٢٠ نوفمبر أول اعتراف مباشر عن التآمر الحربى، وبمقابلات مع الطيارين الفرنسيين الذين أرسلوا للهجوم على المصريين فى سيناء والطيران لحماية الأراضى الإسرائيلية والقاء الإمدادات للفرق الإسرائيلية فى ممر متلا والهجوم بالنابالم على العربات الحربية المصرية والتى رأها تحترق فى الصحراء، وقال أن الدور الفرنسى كان حاسما فى نصر إسرائيل فى سيناء، وقد أورد إنكار ديان الرسمى - والغير صحيح - للمشاركة الفرنسية. وفى ١٥ نوفمبر أزاح «أبا ابيان» الستار أمام الأمم المتحدة عن الوثائق التى قال أنها ضبطت فى مراكز القيادة فى سيناء، والتى قال المصريون فى الأمم المتحدة أنها مليئة بالأخطاء اللغوية إذ أحتوت على سبعة عشر كلمة لا تستعمل فى اللغة العربية، وكما قال المراسل العسكرى «لجيروزاليم بوست» فى ٢١ نوفمبر أن أيا من الوثائق ورد بها خطة مصرية للهجوم على إسرائيل عاجلا أو آجلا، بل على العكس فإن تخفيض عدد القوات المصرية فى

سيناء قبل الحرب يؤكد أن مصر ليس فقط لم تخطط للهجوم بل ولم تتوقع أن إسرائيل تخطط للهجوم، بل وكما أكد ديان بأن القوات الإسرائيلية كانت تطور مواقعها الهجومية على الحدود لمدة عام بينما المصريون ظلوا فى المواقع الدفاعية.

وكانت بريطانيا وإسرائيل تروجان الأكاذيب عن إحتملات تدخل السوفييت فى سيناء، كما تروج الإشاعات عن إنقلاب وإسلحة ونفوذ سوفيتى فى سوريا، وكانت إسرائيل تهدف من وراء ذلك أن تجعل واشنجتن تحافظ على أن تبقى إسرائيل أقوى من العرب المعتمدين على الشيوعيين.

وكانت غزة والعقبة هما المنطقتان اللتان كان «بن جوريون» عنيدا جدا لضمهما، وفى ٣ديسمبر عندما أعلن الإنسحاب الأنجلوا فرنسى تراجعت إسرائيل ثلاثين ميلا من القناة، وفى ٧يناير إنسحبت من نصف سيناء، ورغم إحتجاجات همرشلد ـ لما وعدته به إسرائيل بأن تتعاون مع قوات الطوارىء لحفظ السلام ـ فقد دمرت خطوط التليفزيون والتلغرف والسكك الحديدية والطرق المعبدة والكثير من المنشأت العسكرية فى العريش وسوت المبانى بالأرض فى قرى «القسيمة» و«أبو عجيلة».

وفى ٢٢ يناير إنسحبت إسرائيل إلى الحدود قبل رفح وبطول ساحل العقبة، وبدأ «بن جوريون» يقاوم الإنسحاب واستهجانه للأمم المتحدة، بل وأكثر من ذلك أعلن فى الكنيست فى ٢٣ يناير أن إسرائيل يجب أن تبقى فى قطاع غزة وساحل العقبة حتى تتلقى ضمانات قاطعة بحرية الملاحة فى الخليج. وبالتوازى بعث بمذكرة

لهمرشلد يخطره بأن إسرائيل مستعدة للتفاوض على علاقة مقبولة مع الأمم المتحدة حول غزة، وأنها لا تريد قبول كل لاجئى غزة، ويجب أن تضع الأمم المتحدة خطة للاجئين تتضمن أولئك فى غزة، كما تضمنت الاحتفاظ بمضايق العقبة حتى تأمين الملاحة الحرة بضمانات حقيقية وتطالب بنزع سلاح سيناء واشترطت لأى حل لقناة السويس أن يضمن حرية العبور لإسرائيل.

وذكر «بن جوريون» أن غزة لم تكن أبداً ملكاً للمصريين، ولمدة ثمانى سنوات لم تعمل فيها شيئا لتطويرها، وأتهم الأمم المتحدة باللين تجاه العرب والجفاء تجاه إسرائيل بخصوص سيناء التى ليست إلا كاريكاتير» للعدالة. كما أثار «بن جوريون» فى مذكرته مسائل كثيرة من الجدل والمغالطة حول إتفاقية الهدنة وحرية المرور فى السويس منذ قرار الأمم المتحدة فى أول سبتمبر ١٩٥١، ورد همرشلد بتقرير إلى الجمعية العامة بنزع سلاح العوجة واقترح وضع قوات الطوارىء فى الجانب الإسرائيلى على الأقل كما فى جانب مصر.

وكتب «بن جوريون» أن الخلاف والجدل الذى شغلت به إسرائيل لم يكن فى ذلك الوقت مع الإتحاد السوفيتى بل جميع أعضاء الأمم المتحدة وفى المقام الأول مع الولايات المتحدة، وكان واضحاً للجميع أن إدارة إيزنهادر تحاول التشجيع لإستخدام العقوبات الإقتصادية والتهديد لإجبار إسرائيل على الرضوخ لقرارات الأمم المتحدة.

(ط) وفى ٢ فبراير أقرت الجمعية العامة قرارها السادس بمطالبة إسرائيل بالإنسحاب فى الحال، وقرار آخر يطالب بالحفاظ على الهدنة العسكرية ووضع قوات الطوارىء على خطوط الهدنة،

ورغم برقية أيزنهادر التى تحذر من أن إستمرار تحدى الأمم المتحدة يمكن أن يؤدى إلى تعكير جدى للعلاقات بين إسرائيل والأعضاء الآخرين فى الأمم المتحدة بما فيهم الولايات المتحدة، فإن «بن جوريون» وحكومته عارضوا طلبات الأمم المتحدة فى اليوم التالى، وقد أدى ذلك إلى إنقاص المعونة الأمريكية لإسرائيل وإنخفضت ميزانيتها، وصاحب ذلك تسريح ٢٥٠٠ عامل مدنى كما كان من المتوقع أن تخسر إسرائيل خمسة وعشرين مليون دولار من المساعدات وثلاثين مليون دولار من الفائضات الزراعية وقرض إستيراد بنكى قدره خمسة وسبعين مليون دولار. ولابد أن ينخفض مستوى المعيشة فى إسرائيل التى كان يبدو أنها مستعدة لذلك.

وفى ١١ فبراير سلم «دالاس» لـ «أبا إيبان» مذكرة قبلتها إسرائيل فيما بعد كوثيقة أساسية للإنسحاب الفورى غير المشروط، وفيما يختص بخليج العقبة تعتقد الولايات المتحدة أن الخليج مياه دولية وليس من حق أى دولة أن تمنع حرية المرور البرىء.

وقد قدمت كل من لبنان والأردن والسودان وباكستان وأفغانستان وأندونيسيا قرارا يطالب بوضع نهاية لكل مساعدة لإسرائيل إذا لم تمتثل لقرارات الإنسحاب، ومع تزايد الضغوط والتهديدات بفرض عقوبات دولية وضمان الأغلبية فى الأمم المتحدة للجانب المصرى (الدول العربية والأفريقية والكتلة الشرقية والدول الاسيوية واللاتينية) وتلويح الولايات المتحدة بالتخلى عنها يجعل التصويت فى غير صالح إسرائيل، كل ذلك جعل «بن جوريون» يأمر «جولدا امائير» أن تعلن فى الأمم المتحدة فى أول مارس خطط إسرائيل

للأنسحاب الكامل والعاجل من منطقة شرم الشيخ وقطاع غزة، وأضافت «مائير» بعض العبارات لحفظ ماء الوجه.

وقد انسحبت إسرائيل من قطاع غزة يوم ٧ مارس وحلت محلها قوات الطوارئ يوم ١٠ مارس، وقد أعلنت القاهرة أنها عينت حكومة إدارية لقطاع غزة وستمارس مهامها فورا، وكان هذا الأعلان صدمة لبعض الدول الأعضاء فى الأمم لمتحدة، فقد كان أهالى القطاع عندما دخلته قوات الطوارئ يخشون تدويله، ولكن «بيرنز» طمأنهم بأن ذلك لن يحدث، وكان عبد الناصر قد أبلغه أنه أضطر إلى إعادة السلطة المصرية فى القطاع من أجل تقليل تصريحات الإسرائيليين بأنه سيدول وأن مصر لن تعود، وأضاف عبد الناصر أنه لم يكن هناك اتفاق مع همرشلد على تأجيل عودة مصر، وبالتأكيد لم يكن هناك أى اتفاق بعدم العودة. وكان أيزنهاور وآخرين يعتبرون أن هذا خرق للتفاهم بين ناصر وهمرشلد.

وكان آخر الجنود الإسرائيليين المنسحبين من شرم الشيخ الذين عبروا الحدود عائدين إلى إسرائيل عند رأس النقب يوم ١٦ مارس، وقد وضعت قوات الطوارئ فى شرم الشيخ ورأس نصرانى وجزيرة تيران، وفى ١٨ مارس شوهدت سفينة نقل إسرائيلية «ملكة سبأ» وقد دخلت الخليج تحت الحماية الإسرائلية وعادت تبحر ثانية تحت نفس الحماية، ولم تعلن مصر استنكارها أو حقها فى المنع، وببساطة وافقت على أنها فى وضع لا يسمح لها فى الوقت الحالى بالإجبار.

وكان عبد الناصر وهمرشلد قد توصلا إلى اتفاق على المسائل الرئيسية فى وظائف قوات الطوارئ، لكن كانت المشكلة الرئيسية هى

إلى أى مدى سلطة وقوة هذه القوات مطلوبة لتكون فعالة، وقد عمدت إسرائيل إلى إقصاء المراقبين العسكريين للأمم المتحدة وكذلك قوات الطوارئ التى لا يمكنها استخدام أسلحتها وتحولت إلى ما يشبه المراقبين أيضا، وكانت إسرائيل تطلق النار على العرب من داخل القطاع وتنسحب عندما تطلب قوات الطوارئ منها ذلك، واستمر الحال حتى يونيه ١٩٥٧ وتتعلل بأن الفدائيين قد أعادوا تنظيمهم كبوليس خاص ومخابرات.

وعندما انسحب آخر إسرائيلى عبر الحدود، بدأت البحرية المصرية فى إزالة المتفجرات من أبو قير التى على بعد ميلين شمال السويس، والتى كانت سببا فى منع طاقم الأمم المتحدة للأنقاذ من تحريك السفينة خارج المجرى حتى يرحل الإسرائيليون.

(ى) وقد أعيدت الملاحة فى القناة لكامل طاقتها، وتكلفت ٨ر٤ مليون دولار تم تمويلها من الأمم المتحدة، وقد أعلنت مصر مرارا التزامها باتفاقية ١٨٨٨، ولم تشير إلى المبادئ الستة التى قبلتها قبل الحرب فى أكتوبر أو إلى علاقة رسمية مع مستخدمى القناة، وأنها تقبل حكم محكمة العدل الدولية، وفى ١٨ يولية كانت قد استكملت مستنداتها القانونية وأودعتها فى سكرتارية الأمم المتحدة، وأوضحت مصر اعتراضها على الملاحة الإسرائيلية فى القناة وسيظل ساريا، ولاسرائيل حرية عرض القضية على المحكمة الدولية، وكانت إسرائيل ترفض أى اقتراح بعرض مطالبها فى السويس أو خليج العقبة إلى محكمة دولية، فهى تعلم بأن مطالبها فى هذين المجريين

المائيين - مثل حق الملكية فى فلسطين - مضمونا بالسياسة وليس بالقانون، فالسياسة قوة ونفوذ، والقانون يعتمد على السوابق والتشابه. وكانت مصر تؤكد حقها فى منع الملاحة الإسرائيلية فى القناة استنادا إلى المادة العاشرة من اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ والتى تنص على أن حرية الملاحة لا تتدخل فى الإجراءات التى يرى السلطان والخديوى أنها ضرورية لتأمين قواتهما للدفاع عن مصر وحفظ النظام العام.

وبعد إعادة فتح القناة تمت أول تسوية بين مصر وشركة قناة السويس فى ٣١ يوليو ١٩٥٨ وافقت مصر على دفع ١٨٫٣ مليون جنيه مصرى (٨١ مليون دولار) عن ممتلكاتها وأموالها فى مصر، وتترك كل أموالها وممتلكاتها فى الخارج لحاملى الأسهم، أما تسوية المطالبات مع إنجلترا وفرنسا فقد طالت، إذ طالبت مصر بتعويضات عن خسائر الحرب بينما مطالبات انجلترا وفرنسا نيابة عن رعاياهم عن تمصير ممتلكاتهم التجارية ومعاشات الذين تقاعدوا من الخدمة المصرية والممتلكات الخاصة المستولى عليها. وتم التوصل إلى اتفاق مع فرنسا فى ٢٢ أغسطس ١٩٥٨ لتسوية كل مطلب على حِدة.

أما التسوية مع بريطانيا فقد تمت فى ٢٨ فبراير ١٩٥٩، وبموجبها تدفع مصر مبلغ إجمالى قدره ٢٧٫٥ مليون جنيه استرلينى (٧٧مليون دولار) خلال عام واحد للحكومة البريطانية التى تتولى السداد للأفراد، وقد اختلفت التقديرات بعد خروج بريطانيا عن مصر ووضع ممتلكاتها تحت الحراسة وانخفاض قيمة العملة وغير ذلك من العوامل، وكان على بريطانيا أن تبتلع خسارتها فى قاعدة قناة

السويس وتقبل معاهدة الجلاء التى منحت بريطانيا حقوقا فى القاعدة لمدة سبع سنوات إضافية، وسقطت التسويات بعد فترة قصيرة لتمحو الصعوبات القاسية التى سببتها الحرب للأفراد البريطانيين والفرنسيين الذين أمضوا مدة وظائفهم فى مصر وفقدوا كل شئ، وبالنسبة لمئات اليهود ويحملون جوازات أجنبية والذين أبعدوا عن مصر فلم يكن لهم تعويضات على الاطلاق، وقد عاشت بعض العائلات اليهودية التى تحمل جوازات أجنبية فى مصر عدة أجيال ولا يعرفون لهم وطن آخر، وقد أحس آلاف عديدة من اليهود المصريين أنه قد حان الوقت لمغادرة البلاد، وكان ذلك قد حدث من قبل بالنسبة للجاليات اليهودية فى دول عربية أخرى.

(ك) وفى الحقيقة فإن حرب السويس كانت نهاية للامبراطورية البريطانية فقد خسرت بعض أصدقائها العرب. فتخلى عنها الملك حسين فى الأردن، وقضى على نورى السعيد وملك العراق، ولم يخسر حلف بغداد العراق فقط بل فاعليته وحيوتيه كذلك، وغربت شمس الامبراطورية نهائيا فى السويس وبالغبار الذى أثاره آخر طيش إمبريالى «لإيدن» مع «بن جوريون» و «موليه» جعل ذلك جريمة بشعة أكثر مما كان ينبغى، أما بالنسبة لخسائر بريطانيا النقدية، فقد قدر «إيدن» تكاليف الاستعدادات العسكرية والعمليات بمائة وخمسة عشر مليونا جنيه استرلينى (٣٢٠ مليون دولار).

الفصل الثانى

مكاسب مصر وإسرائيل

مكاسب مصر وإسرائيل

عندما انتهت الارغامات فى عام ١٩٥٧، فإن كلا من عبد الناصر وبن جوريون قد فاز بمكسب واضح، فقد كسب عبد الناصر مهلة لتأجيل التزاماته العربية الخطيرة تجاه إسرائيل، فكان قبوله لدرع قوات الطوارئ الدولية على أراضيه، بينما رفض بن جوريون، إذن من البديهى أن مصر هى الدولة المهددة أكثر، وإذا كان دليل كهذا محتاجا بعد حرب ١٩٤٨، ١٩٥٦ - وسنوات غارات الحدود بينهما - فإن وجود قوات الطوارئ أعفت عبد الناصر من التزامات الجامعة العربية بإغلاق خليج العقبة. وقد استخدم عبد الناصر عقده بالتهدئة مع إسرائيل على الحدود لينفذ البرنامج الطموح للتنمية القائم على السد العالى فى أسوان. فقد كانت حرب السويس وإفرازاتها السياسية الجديدة قد تطلبت من عبد الناصر تأجيل تنفيذ المشروع. وبعد عامين بعث باللواء عامر إلى موسكو لقبول عرض الأتحاد السوفيتى بالمساهمة بالمعدات الأجنبية والخبراء الفنيين الذين يحتاجهم المشروع، وأعلن خروشوف فى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٨ أن الأتحاد السوفيتى سيقرض مصر أربعمائة مليون روبل (حوالى ١١٠

مليون دولار) للمرحلة الأولى للسد، يتم سدادها بالجنيه المصرى بفائدة ٢,٥ ٪ لمدة اثنى عشر عاما تبدأ بعد سنة من الانتهاء من المرحلة الأولى، ووقعت الأتفاقية رسمياً فى ٢٧ ديسمبر من نفس العام، بشرط أن تتوصل مصر إلى إتفاق جديد مع السودان على توزيع مياه النيل، وقد سوى الموضوع بين مصر والسودان فى ٨ نوفمبر ١٩٥٩ ، وفى ٩ يناير ١٩٦٠ فجر عبد الناصر شحنة ديناميت نسفت عشرين ألف طن من الصخور التى أصبحت المجرى الجديد للنهر القديم لتؤدى به تحت جائط جبلى عبر ستة انفاق عملاقة حيث التوربينات تحول طاقة النهر إلى كهرباء، وحضر خروشوف إلى مصر لافتتاح التحويل الهائل للنيل إلى مجراه الجديد فى ١٤ مايو ١٩٦٤ ، وكان أول تشغيل للأثنى عشر توربينا، وتغيرت أسوان نفسها من مدينة تقليدية قديمة تعدادها خمسة عشر ألف نسمة إلى مدينة لها مستقبل صناعى تعدادها مائة وعشرين ألف نسمة.

واعترف «بن جوريون» أن إسرائيل لم تحقق كل ما كانت تريده من حرب السويس، وكانت حرية الملاحة فى خليج العقبة هى المكسب الواقعى، أما الغير واقعى تشبيه عبد الناصر بهتلر وفرعون، ويخشى أن تظهر شخصية بين الحكام العرب تشبه «كمال أتاتورك» الذى ظهر فى تركيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى، ومازال هذا الخطر أن يكون عبد الناصر هذا الرجل.

ورغم تأثر هزيمة عبد الناصر فى سيناء والسويس على قامته، إلا أنه ثبت على المدى الطويل أنه عمّر عن كل الشخصيات العامة المؤثرة فى حرب السويس، ومنهم «إيدن» الذى سقط فى ٩ يناير

١٩٥٧ وكان الثانى «موليبيه» فى يونيو من نفس العام وخرج «بينوه» فى أبريل ١٩٥٨ ومات «دالاس» فى مايو ١٩٥٩، ووصل «ايزنهاور» إلى نهاية فترة حكمه فى يناير ١٩٦١، واعتزل «بن جوريون» العمل عام ١٩٦٣ - وليس لأسباب سياسة، وفى العام التالى لحق بهم «سلوين لويد» و «خروشوف» فى السقوط.

وفى عام ١٩٥٨ وافق عبد الناصر على الوحدة مع سوريا فى الجمهوريةالعربية المتحدة والتى انتهت فى عام ١٩٦١، وكان عبد الناصر يضع العراقيل بذكاء ضد مبدأ «ايزنهاور» وذلك ربما لانزال البحرية الأمريكية فى لبنان عام ١٩٥٨، وقد جابه خروشوف بوضوح عام ١٩٥٩ ضد العناصر الشيوعية فى العالم العربى دون أن يفقد العون السوفيتى الذى يعتمد عليه السد العالى، وقد انزلق إلى حرب مريرة فى اليمن التى يعتبرها المصريون أنها كفيتنام بالنسبة لأمريكا. فكان هناك أنتصار كما كانت هناك هزائم. ويعتبر نسف حلف بغداد الذى ترتب على ثورة العراق فى ١٤ يوليه ١٩٥٨ نصرا، لكن علاقات عبد الناصر مع خلفاء نورى السعيد لم تكن طيبة.

الفصل الثالث

الأوضاع فى إسرائيل بعد حرب السويس ١٩٥٦

الأوضاع في إسرائيل بعد حرب السويس ١٩٥٦

أولا: السياسة الخارجية:

(أ) اتفاق إسرائيل وتركيا وإيران والحبشة:

فى عام ١٩٥٨ اتحدت مصر وسوريا ثم اتحد العراق والأردن، واتجه «بن جوريون» إلى تركيا التى انزعجت من قيام الجمهورية العربية المتحدة على حدودها، وإلى ايران التى كانت تخشى العراق، ثم إلى الحبشة، واستطاع أن يقيم اتفاقا مع هذه الدول الثلاث بعد موافقة أمريكا وفرنسا، وهكذا نشأ حلف وإن لم يكن رسميا لعدم توقيعه.

(ب) النشاط الإسرائيلى فى السياسة الخارجية:

بعد ثورة العراق ١٩٥٨ ضد النظام الملكى الهاشمى عرض «بن جوريون» على بريطانيا أن يتعاونا معا فى سياستهما فى الشرق الأوسط، وشكل بن جوريون الوزارة الجديدة ونجح فى سياسته الخارجية التى تستهدف الولاء للغرب والاتفاق مع دول الشرق الأوسط غير العربية، وظهرت إسرائيل دولة قوية دون ثورات أو

إنقلابات، وتوطيداً لسياسته قام بزيارات للولايات المتحدة الأمريكية وأخذ وعودا من «ايزنهاور»، والتقى بكونراد اديناور، واتفق معه على قرض ألمانى، ولم يعتبر أن ألمانيا «هتلر» هى ألمانيا «اديناور» فهو يرى كسياسى أن الغاية تبرر الوسيلة، وكان يركز على الدفاع والعلاقات الخارجية، أما خلاف ذلك فهو شيء ثانوى، ولم يعد يهتم لسياسة الحياد بل اتجه نحو الغرب أكثر من أى وقت سابق وكان اتجاهه نحو فرنسا بصفة خاصة.

ثانيا: السياسة الداخلية: المشاكل:

فى عام ١٩٥٤ كانت مشكلة «لافون» السبب فى رجوع «بن جوريون» حيث كانت بداية مرحلتها الأولى، وتتلخص فيما يلى: بأن أرسلت وزارة الدفاع الإسرائيلية التى كان يتولاها «لافون» جاسوسا مدربا لتنظيم الشبكة اليهودية التى كانت تعمل فى مصر منذ عام ١٩٥١، ومهمتها تفجير المنشآت الأمريكية والبريطانية فى القاهرة والأسكندرية للاساءة للعلاقات بين مصر والدولتين والحيلولة دون نجاح المفاوضات الخاصة بجلاء القوات البريطانيةعن مصر.

ولقد ألقت السلطات المصرية القبض على أفراد الشبكة وانتحر الضابط الإسرائيلى المسئول عن العملية، وصدرت أحكام بالإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة على بقية أفرادها.

وطلب رئيس الوزراء «شاريت» من «لافون» وزير الدفاع تفسيرا لهذه الحوادث ومن القادة المسئولين فى الجيش، فاتضح أن أحد كبار ضباط الجيش كان قد أخذ توقيع «لافون» لتغطية العملية بعد فشلها.

كما اتضح أن «لافون» كان ضحية خدعة، وطالب الضابط الكبير أن يقدم استقالته ولكنه رفض، ولم تثبت إدانته، مما أجبر «موسى شاريت» على أن يطلب من «لافون» الاستقالة، وطلب من «بن جوريون» حيث كان يقيم فى مستعمرة «سدى بوكر» العودة لمنصب وزير الدفاع، وكان أول قرار له نقل الضابط الكبير الذى خدع «لافون» من مركزه، كما وافق على تعيين «لافون» سكرتيرا عاما «للهستدروت»، وذكر فى مؤلف «النبى المسلح» أن «بن جوريون» اعتقد أنه بهذا التصرف قد اسدل الستار على هذه الفضيحة، ولم يتخيل أنها ستنفرج بعد سنوات معدودات عن فصول تكون نهايتها نهاية قوة «بن جوريون» ومطعنا فى نزاهته وزعامته.

أما المرحلة الثانية فقد بدأت فى ١٢ سبتمبر عام ١٩٦٠، عندما نظرت المحاكم الإسرائيلية فى عملية تزوير السفير الإسرائيلى السابق فى النمسا وثائق ضد «عاموس بن جوريون» حيث قرر أحد الشهود أنه رأى العميل الذى قام بالعملية فى مصر سجينا فى إسرائيل، وقد اعترف بأنه قام بالعملية فى مصر استجابة لأوامر الضابط الكبير «حاييم لاسكوف» واستطرد أنهم حاولوا وضع المشكلة على أكتاب «لافون» وزير الدفاع آنذاك، ولذلك فإنه أدلى بأقوال كاذبة أمام لجنة التحقيق عام ١٩٥٥ ، فالتوقيع طلب من «لافون» بعد أن فشلت العملية فى مصر. أما «لافون» فقد أراد إعادة التحقيق فى هذه القضية، إلا أن «بن جوريون» قد حاول منعه بحجة أنه لا يجوز فتح القضية لأنها تتعلق بالأمن ولم يمض عليها المدة القانونية اللازمة، وأخذ «لافون» المشكلة إلى لجنة الشئون الخارجية والدفاع فى الكنيست، وسمح «لافون» أن تتسرب القضية للصحافة ، ونشرت

صحف المعارضة أسرار القضية بالعناوين الرئيسية مشبهة «لافون» بأنه «دريفوس آخر» وبدأ الهجوم على قادة الجيش وعلى ديان «وبيريز» لأنهما لم يعاقبا الضابط الكبير.

وكان «بن جوريون» فى عام ١٩٥٩ قد وضع أسماء القادة الصغار «ديان» و«بيريز» و«الموجى» على رأس القائمة، الأمر الذى لم يغفره ا القادة الكبار، و«حده» أن الفرصة مناسبة للأنتقام منه فى هذه المشكلة ، وكان «بن جوريون» [illegible] لقادة الصغار ضد أصدقائه الكبار لأنهم فى رأيه يقدمون مصلحة الأمة على مصلحة الحزب بعكس الكبار.

وبدأت الصحف فى الداخل تغذى الشعب بالأخبار، كما أخذ الدبلوماسيون فى الخارج يعززون أن سبب سقوط «لافون» كان لمعارضته للعدوان، وأن العسكريين عملوا على إسقاطه، وأن الهجوم على غزة عام ١٩٥٥ وضح هدفه الآن، بعد الذى ظهر فى عام ١٩٦٠، وكانت نتيجته أن سارع المصريون بالتفاوض مع الكتلة الشرقية حول صفقة السلاح حيث أن هذا التفاوض بدأ فى أبريل عام ١٩٥٥ وانتهى فى سبتمبر من نفس العام بعد الاعتداء على غزة وقتل المصريين.

وأعلن المعلقون السياسيون المهتمون بشئون الشرق الأوسط أن «بن جوريون» وزملاءه الصغار هم العناصر التى خططت الهجوم على مصر عام ١٩٥٦ .

وإلى جانب كل هذا أخذ «لافون» يهدد بأن لديه وثائق سرية عن زعماء «الماباى» سيسلمها للصحافة إذا لم تعلن براءته، فقررت

الحكومة تشكيل لجنة وزارية لتقرير الخطوات الواجب اتباعها وإنهاء هذه المشكلة، على أن تكون مكونة من سبعة وزراء، وامتنع «بن جوريون» عن التصويت إلا أنه لم يتخذ إجراءات منع تشكيل اللجنة، ورأى المعلقون فى هذا التصرف أنه أول مرة يظهر فيها بن جوريون مترددا وغير حاسم فى تصرفاته.

واستمرت الصحافة فى حملاتها حتى أنه قيل أن العملية لم تصدر أوامرها من الضابط الكبير أو «لافون» وإنما أصدرها «بن جوريون» نفسه ليتخلص من «لافون» ويعود إلى الحكم. ولم يتصرف «بن جوريون» بحزم ليحمى نفسه، كما أنه لم يستقيل كعادته عندما كان يجابه المشاكل.

الفصل الرابع

الموقف الأمريكى بعد حرب السويس

الموقف الأمريكى

مشروع أيزنهاور

(أ) عقب العدوان الثلاثى، لم تخف حدة التوتر فى الشرق الأوسط، لابسبب عدم استقرار الهدنة على الحدود الإسرائيلية العربية فحسب، ولكن بسبب فوران المنطقة بموجة من الحماس الوطنى جعل الولايات المتحدة تخاف أن يفلت الزمام من يدها. ففكرت فى خطة جديدة تهدف من ورائها حماية مصالحها ومصالح الغرب. وكانت الخطوة الأولى فى ذلك أن اجتمع الرئيس أيزنهاور ودالاس فى أول يناير ١٩٥٧ بزعماء الحزبين فى الكونجرس لطلب تأييدهم للسياسة الأمريكية الجديدة فى الشرق الأوسط. وكان مما قاله الرئيس «ايزنهاور»: «أن الفراغ الراهن فى الشرق الأوسط، يجب ان تملأه الولايات المتحدة قبل ان تملأه روسيا». وكان من رأيه أن أحسن وسيلة تصل بها أمريكا إلى تنفيذ خطتها هو التفاوض لعقد اتفاقيات تقضى بمساعدةبلدان الشرق الأوسط اقتصاديا وعسكريا. وبعد مناقشات واعتراضات من بعض الشيوخ والنواب، وافق الكونجرس على

الاقتراحات المتقدمة التى سميت «بمشروع أيزنهاور» والتى تؤكد عزم الجمهوريين والديمقراطيين على الوقوف ضد المطامع الروسية بالنسبة للبحر المتوسط وقناة السويس وآبار البترول.

غير ان تطور الحوادث فى المنطقة لم يساعد على أن يجد «مشروع ايزنهاور» النجاح الذى كانت تنتظره الولايات المتحدة. فمن جهة بدأت البلاد العربية المتحررة - وخاصة مصر - تنظر اليه نفس النظرة التى كانت تنظرها إلى «حلف بغداد» وعلى هذا الأساس قابلته بالرفض. ومن جهة أخرى زاد التوتر فى البلاد التى شعرت شعوبها أن أمريكا تريد فرض المشروع بأى ثمن كما حدث فى الاردن حينما أعفى الملك حسين رئيس وزرائه «سليمان النابلسى» وسارعت الولايات المتحدة بارسال تأييدها السياسى إلى الملك، علاوة على مساعدة تبلغ قيمتها عشرة ملايين دولار أرسلتها إلى الأردن فى ١٩٥٧/٤/٢٩.

(ب) ولما رأت أمريكا أن محاولاتها لم تأت بالنتائج المرجوة لجأت إلى أسلوب الدس والمؤامرات وقد بدأت مؤامراتها بأن دعا الرئيس «ايزنهاور» فى يوم ١٩٥٧/١/٣٠ الملك سعود لزيارته. وكان الغرض من هذه الزيارة أن تجعل الولايات المتحدة من الملك سعود خصما للرئيس عبد الناصر فى الزعامة بعد أن أدركت أمريكا أن الرئيس عبد الناصر - بعد حوادث السويس - أصبح الزعيم الاوحد للعالم العربى. ويبدو ان الملك انخدع بمحاولة امريكا، إذ أنه بعد عودته بدأ يدبر المؤامرات ضد مصر ورئيسها. ولكن نشاطه سرعان ما انكشف بواسطة غبد الحميد

السراج وكانت النتيجة أن أعلن عبد الناصر معركة دعائية ضد الملك، وسحب بعثته العسكرية، وأخذت علاقة البلدين تهدد بالانقطاع. وعلى اثر ذلك تزعزع مركز الملك بعد أن فقد كثيرا من ولاء أخوته وأسرته. واضطر إلى التنازل عن معظم سلطاته لولى العهد «فيصل».

(جـ) كذلك كانت أمريكا وراء المؤامرات التى دبرت ضد سوريا، إذ أن الولايات المتحدة كانت تعتقد أن الشيوعيين قد سيطروا على الحكومة السورية خاصة بعد تعيين «عفيف البزرى» قائدا عاما. ومما أكد هذا الاعتقاد أن المسئولين فى تركيا والعراق والأردن عقدوا عدة إجتماعات بهذا الخصوص واقترحوا ضرورة القيام بعمل عسكرى مباشر، إذ ان التراخى فى العمل سيكون كارثة لهم ولكل دول الغرب. فوجود سوريا فى أيدى الشيوعيين سيجعل دولا أخرى فى المنطقة تلاقى نفس المصير، وإذا تم هذا فإن أوربا الغربية ستواجه صعوبات تؤدى إلى نكبة وبالتالى إلى اخطار جسيمة للولايات المتحدة، وعلى ضوء هذا كله أرسلت أمريكا إلى إسرائيل تطلب منها ضمانات بتجنب استغلال الفرصة للاستيلاء على أراض جديدة، وأرسلت طائرات إلى أوربا الغربية فى القاعدة الامريكية بتركيا ووجهت الأسطول السادس إلى الطرف الشرقى من المتوسط.

وبينما أمريكا تتخذ هذه الاجراءات أعلنت الحكومة السورية أن ثلاثة من الدبلوماسيين بالسفارة الأمريكية سيطردون لمشاركتهم فى مؤامرة لقلب نظام حكم الرئيس «شكرى القوتلى». ثم نشرت وكالات

الأنباء العالمية تصريحات «خروشوف» بالنسبة للسياسة العدوانية الأمريكية ضد سوريا والتحركات الامريكية العسكرية فى المنطقة.

(د) ولا يفوتنا فى هذا الصدد أن نذكر المغامرة الخطيرة التى قامت بها الولايات المتحدة فى ١٩٥٨/٧/١٥ يوم ان أنزلت قواتها فى لبنان، على أثر قيام الثورة العراقية فى ١٩٥٨/٧/١٤ تلك الثورة التى قضت على الأسرة المالكة وعلى «نورى السعيد». وعندما نزلت القوات الأمريكية إلى لبنان اذاع البيت الأبيض بيانا جاء فيه:

«استجابة لمناشدة الحكومة اللبنانية، أرسلت الولايات المتحدة قوات أمريكية إلى لبنان لحماية أرواح الأمريكيين، ولتشجيع الحكومة اللبنانية - بوجودها هناك - على الدفاع عن سيادة لبنان واستقلاله، ولم ترسل هذه القوات لاى عمل حربى... إنها ستعبر عن اهتمام الولايات المتحدة باستقلال لبنان وكرامته الذى نعتبره حيويا للمصلحة القومية والسلام العالمى، وسنظهر اهتمامنا بوساطة المساعدة الاقتصادية، وسوف نعمل وفقا لهذا الاهتمام المشروع».

وكان انزال القوات الأمريكية فى لبنان من الأسباب التى زادت السخط على أمريكا فى الشرق الأوسط، واظهرتها بمظهر الدولة المستعمرة التى لاتقيم وزنا لإرادة الشعوب الحرة فى سبيل حماية مصالحها الخاصة.

(هـ) وهكذا كانت السياسة الامريكية فى الشرق الأوسط تتعثر يوما بعد يوم، وكان هذا التعثر من أهم الأسباب التى فتحت الباب على مصراعيه أمام الروس الذين ظهروا بمظهر الدولة الصديقة

التى تريد المعاونة دون فرض أية شروط. ثم كانت غلطة أمريكا الكبرى إنها إنحازت بشكل سافر إلى جانب اسرائيل فى نزاعها مع العرب، وتحدت إرادة الشعوب العربية فامدت الصهيونيين بالمال والسلاح حتى وقعت حرب يونيه سنة ١٩٦٧ فازداد انحيازها وتحديها إلى الوقت الحاضر.

القسم الثامن

التحرك السياسى والإعلامى الإسرائيلى فى المجال الدولى بعد حرب ١٩٥٦

تمهيد :

الفصل الأول:

السياسة الخارجية الإسرائيلية بعد حرب ١٩٥٦

الفصل الثاني:

المنظمات الصهيونية ودور يهود العالم بعد حرب ١٩٥٦

الفصل الثالث :

الإعلام الإسرائيلى الموجه للولايات المتحدة الأمريكية

الفصل الرابع :

الإعلام الإسرائيلى الموجه للدول الأخرى

الفصل الخامس:

النشاط السياسى الإسرائيلى الإعلامى

فى القارة الأفريقية

١ ـ تعقيب

٢ ـ تعليق عام عن الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦

تمهيد

السياسة تعنى فى أبسط وأدق معانيها حسن إدارة شئون الحكم والدولة، وأبرز أدوات السياسة الإعلام، واستخدام القوة العسكرية أو الاقتصادية، والحرب النفسية والعلاقات الثقافية، ومنها الفن والرياضة والأدب.

ووفقا للتصور السابق لا يمكن تصور السياسة دون إبراز أدواتها، وكما قلنا إن أبرز أدوات السياسة، الإعلام. وفى هذا الصدد إذا تحدثنا عن السياسة الخارجية الإسرائيلية فإن هذا يتضمن - بين عوامل أخرى - التركيب المؤسس للأجهزة السياسية والإعلامية، وإذا تعرضنا للإعلام الإسرائيلى لابد أن نتعرض أيضاً للتركيب المؤسس للأجهزة السياسة والإعلامية، لأن الإعلام فى المحصلة النهائية هو آليات وبشر ومواد إعلامية.

ومن خلال هذه النظرة التداخلية بين الإعلام والسياسة سنلقى نظرة على مجال الحركة الإعلامية الإسرائيلية فى مختلف أجزاء العالم وأبرزها بطبيعة الحال الحركة الإعلامية الإسرائيلية فى

الولايات المتحدة الأمريكية، على أساس أن أمريكا هى الحليف المؤكد لإسرائيل الذى يدعم من قدراتها العسكرية والاقتصادية والسياسية، ويقف مساندا لها من أجل تحقيق تسوية سياسية لمشكلة الشرق الأوسط، تراعى أول كل شىء المصالح الأمريكية والإسرائيلية.

الفصل الأول

السياسة الخارجية الإسرائيلية بعد حرب ١٩٥٦

١ـ التخطيط القومى الإسرائيلى

(أ) التخطيط القومى الإسرائيلى، يعد عنصرا هاما من عناصر أو أدوات رسم ومتابعة وتعديل السياسة الخارجية. ونظرا للتحرك الإسرائيلى السريع يتصور البعض أن إسرائيل قد وصلت إلى درجة عالية من التخطيط، وقد يرجع هذا التصور أيضاً إلى الضّعف والتخلف الواضحين على الجانب العربى، والنجاح الذى أحرزه قادة إسرائيل فى مختلف مراحل التطور الاستيطانى التوسعى.

ومع ذلك فإن حقائق الأمور تدل على ضعف إسرائيل فى مجال التخطيط بسبب عدة عوامل أبرزها:

- المفاجآت التى تتعرض لها الدولة فى إسرائيل من جراء المتغيرات العربية والدولية.
- وافتقاد إسرائيل السيطرة على كل الخيوط بسبب اعتماد التسليح والمعونات الاقتصادية على دولة أخرى وعلى الجاليات اليهودية.

* ولأن إسرائيل تعمل «أداة» بيد الغير رغم أن لها مصالحها الخاصة.

* اعتماد إسرائيل على رد الفعل أكثر من الفعل نفسه.

(ب) ولكل الأسباب المتقدمة يقوم التخطيط الإسرائيلى على الأرتجال ورد الفعل ولا يستطيع تلبية مطالب إسرائيل الحيوية فى المستقبل.

ومثال على ذلك تقوم إسرائيل بدراسة إمكانية إنشاء مفاعلات نووية لإنتاج الطاقة الكهربائية، لافتقادها إلى الفحم والبترول. ولكن هذا القرار ينطوى على مجازفة لأن التكلفة فى السوق الضيقة لا يمكن التنبؤ بها بالإضافة إلى مخاطر البيئة التى تضر المجتمع الإسرائيلى المحصور فى المقام لأول، وقد تصبح عاملا لتدميره نظرا لضيق رقعة الدولة اليهودية.

هذا ويعتبر التردد فى اتخاذ القرار بمثابة مجازفة فى نفس الوقت وهكذا يظل المشروع معلقاً.

ومثال آخر: وهو اتخاذ القرار بشأن الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وقيام حكم ذاتى فلسطينى وهو أمر يعتبره اليمين الإسرائيلى كارثة تعادل تدمير الدولة اليهودية. وفى نفس الوقت فإن عدم اتخاذ قرار فى هذا الصدد فى وقت أخذت فيه الأمم المتحدة على عاتقها التدخل بفاعلية لحل مشكلات الأمن والتوتر فى عالم هو أمر يؤدى إلى مواجهة مع المنظمة الدولية، وخاصة لوجود مأزق يتمثل فى حيوية القرار بين ٢٤٢ ـ ٣٣٨ .

وقد اضطرت حكومة «شامير» إلى الدخول فى صيغة مدريد ١٩٦١ فى ظل حكم الرئيس الأمريكى «بوش»، بيد أن هددت أمريكا بفرض عقوبات اقتصادية عليها. واضطر حزب العمل - بعد سقوط تحالف اليمين - إلى قبول مشروع «غزة - أريحا» أولا كبداية لحل المشكلة بشكل يؤدى إلى تغطية كل الأراضى المحتلة وفقا لأتفاق المبادئ الذى باركته بل وضعته واشنطن . واضطرت كل من مصر وإسرائيل بقبوله بالرغم من أن الصيغة التى اتفق عليها يبتعد كثيرا عن الثوابت الإسرائيلية والثوابت الفلسطينية. وكان اتخاذ القرار هنا نتيجة ضغط وليس نتيجة تخطيط.

٢ - جوهر وأهداف السياسة الخارجية وطبيعة آلياتها:

(أ) يقوم جوهر السياسة الخارجية الإسرائيلية على عدة محاور هى:

- الأيديولوجية الصهيونية.
- تحالف إسرائيل مع القوة الدولية الفاعلة.
- مصالح إسرائيل الخاصة.

ويمكن رصد المصالح الخاصة لإسرائيل وأبرزها ما يلى:

- التخلص من العزلة، ومن المقاطعة العربية.
- دعم الهجرة اليهودية إلى إسرائيل.
- الاتصال النشط مع يهود العالم.
- مصلحة «الأمن» بكل مظاهره.

(ب) سلطة السياسة الخارجية:

مسئولية إدارة ومتابعة السياسة الخارجية تتوزع بين عدة أجهزة:

رئيس الوزراء:

يكون مسئولاً عن السياسة الخارجية بحكم أنه المسئول الحكومى الأول فى النظام البرلمانى وغالباً ما يسيطر رئيس الوزراء على وزارتى الدفاع والخارجية لأهميتها لأمن إسرائيل.

لجنة الشئون الخارجية والأمن بالكنيست:

وتتمتع بمكانة لا تقل عن مكانة وزير الخارجية إن لم تفوقه ولها صلاحيات الإشراف والمراقبة ووضع الملاحظات والتوجيه، وهى لجنة لا يسمح لأى عربى أو شيوعى بالتواجد فيها.

وزارة الخارجية:

وتتولى المهام القيادية لمثل هذه الوزارة إلى جانب مهام ذات طابع استخبارى ودعائى.

وزارة الدفاع:

التى يتفوق دورها فى كثير من الأحيان - عن وزارة الخارجية - فى مجال رسم السياسة الخارجية، وتكتسب أهميتها من الفلسفة السائدة التى تبلورت فى إسرائيل ومؤداها:

- القوة لها الأسبقية على الإقناع.
- الردع يتفوق على الحوار.

- الموقف الصارم تجاه الدول العربية أكثر جدوى من كل الاتفاقيات والتنازلات.

- الأعمال أكثر أهمية من الأقوال فى السياسة الخارجية، ولو أدى ذلك إلى استفزاز دول آخرى.

- الضمانات الدولية لا يمكن أن تكون بديلا عن القوة المادية المستندة إلى حق الدفاع عن النفس. (مبادئ وضعها «بن جوريون» عند قيام دولة «إسرائيل»)

ويمكن تفسير سيطرة وزارة الدفاع الإسرائيلية على السياسة الخارجية وضغوطها على مختلف أجهزة الدولة ودورها الواضح فى المفاوضات مع العرب وآخرها (كامب دافيد) و(غزة - أريحا) يفسر ذلك بأن جهازها البيروقراطى ضخم وميزانيتها تصل إلى ثلثى الميزانية العامة، إضافة إلى الدعم الذى تحظى به فى الشارع الإسرائيلى، ودورها الواضحّ فى المجال الاقتصادى بما فى ذلك الصناعات العسكرية وإدارة تجارة السلاح فى العالم بالأشتراك مع الولايات المتحدة.

الهستدروت:

الذى يسهل التسلل إلى الدول الأفريقية والآسيوية من خلال شركاته ودورات التثقيف العمالى وعلاقاته بالأتحادات العمالية من خلال المؤتمرات التى يرتادها والنشرات التى يصدرها.

(جـ) أهداف السياسة الخارجية:

باستقراء تاريخ إسرائيل، وتاريخ العلاقات الدولية يمكن رصد أبرز هذه الأهداف بما يلى:

- الحصول على الشرعية ودعمها:

وقد بدأت الحركة الصهيونية ذلك منذ مؤتمر (بازل) ومحاولة «تيودور هرتزل» الحصول على دعم السلطان عبدالحميد الثانى للمشروع الصهيونى الاستيطانى فى فلسطين، ثم نجاح الحركة الصهيونية فى الحصول على وعد بلفور، عام ١٩١٧ . ثم تحركها الدولى واستفادتها من نتائج الحرب العالمية الثانية بإعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، وتوالت تحالفاتها بعد ذلك مع بريطانيا وفرنسا، ثم مع الولايات المتحدة الأمريكية للدفاع عن الشرعية ودعمها.

- تبرير الأعمال العدوانية والتوسعية تحت ستار ضمان أمن إسرائيل:

إن تاريخ علاقات إسرائيل ملئ بهذه الأعمال ، وآخرها ضرب المفاعل العراقى (١٩٨١) ، واجتياح لبنان (١٩٨٢) وأعمال القمع المستمرة منذ ذلك التاريخ بما فى ذلك ضرب مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس (١٩٨٥).

- خرق وتحييد الحصار الاقتصادى الناتج عن المقاطعة العربية وضمان الحصول على المساعدات الأقتصادية من دول أوروبا وأمريكا.

- الأتصال بيهود العالم وتوظيفهم لخدمة أهداف إسرائيل والصهيونية.

- دعم تجارة السلاح التى تلعب دوراً هاماً فى توجيه السياسة الخارجية الإسرائيلية وفى تنمية اقتصادياتها وتعديل الميزان التجارى الإسرائيلى.

- ضرب الأهداف الفلسطينية الخاصة بالحقوق وأبرزها حق الشعب فى تقرير مصيره وإقامة دولته، وتوجيه الدعاية الإسرائيلية لوصف المقاومة بالإرهاب، والمجتمع الفلسطينى بالتخلف.

(د) دور الجهاز الدبلوماسى:

قامت الدبلوماسية الإسرائيلية بدور كبير لدعم مشروع الدولة الإستيطانية، ولايزال هذا الدور يحظى بأهمية خاصة، يضاف إليها قيام الدبلوماسية بدور هام فى مجال الدعاية، ومن مهامها القيام بحرب نفسية لتجنيد الأصدقاء، وإضعاف العدو ودعم قوة ضغط فاعلية ومؤثرة.

وقد سعت إسرائيل منذ نشأتها لكى يعترف بها أكبر عدد من الدول، إلى تبادل التمثيل السياسى، وقد نجحت نجاحا كبيرا فى تحقيق هذا الهدف، فهى تتبادل التمثيل السياسى الآن مع أغلب الدول، وقد اعترفت بوجودها جميع الدول ما عدا الدول العربية التى بذلت ماتستطيعه من جهد لإحباط نشاط إسرائيل فى هذه الناحية. ومن أوجه النشاط الإسرائيلى.

النشاط الاقتصادى،

دأبت إسرائيل على تعزيز نجاحها الدبلوماسى بتنفيذ سياسة اقتصادية مرسومة تقوم على أسس علمية سليمة لا ترهق مواردها.

والأوساط التى تعتمد عليها إسرئيل فى تحبيذ سياستها إما أن تكون طبقية مثل نقابات العمال، أو مهنية مثل جمعيات الأطباء والمحامين، أو دينية مثل الهيئات البروتستانتينية والكاثوليكية الكبيرة، أو عنصرية كالمنظمات الصهيونية، أو جنسية مثل الجمعيات النسائية، أو فئة القائمين على وسائل الأتصال العامة كالزعماء السياسيين وكبار موظفى الدولة.

٣ ـ خيارات السياسة الإسرائيلية:

فى معرض سياستها الخارجية تواجه إسرائيل مآزق أو خيارات يصعب انتقاء إحداها بسبب التنازع بين الأطماع من ناحية، والقدرات الإسرائيلية من ناحية أخرى.

ويمكن إجمال هذه الخيارات أو المآزق فيما يلى:

- **محدودية القوة الإسرائيلية.**

بمعنى عدم قدرة إسرائيل على ترجمة الانجازات العسكرية التى حققتها إلى تحولات سياسية لمصلحتها، ونجد هذا واضحا فى حالة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، وحتى فى حالة عدوان عام ١٩٦٧ بقيت إسرائيل عاجزة عن ابتلاع الأرض بسبب قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ـ ٣٣٨، والمبدأ القائم فى ميثاق الأمم المتحدة بعدم جواز اكتساب الأراضى بالقوة، كما نلمح ذلك أيضا فى حالة غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ حيث تمكنت من احتلال أكثر من ثلثى الأراضى اللبنانية ولم تتمكن مع هذا من إحراز نصر سياسى، بل أدى الغزو إلى تزايد عزلة إسرائيل الدولية داخل الرأى العام العالمى، وسقطت

مع الغزو دعاوى السلام التى رفعتها من قبل، وأتضحت للكافة نواياها العدوانية التوسعية وأعمالها اللاإنسانية.

- **محدودية الخيارات العسكرية**

ومايرافقها من تآكل قدرة الردع الإسرائيلى.

- **محدودية الخيارات السياسية الإسرائيلية.**

بسبب تشبث إسرائيل بثوابت يصعب الدفاع عنها فمثلا، عدم القدرة على القرار بالنسبة لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، فأمام إسرائيل عدد من الخيارات لايمكن الحكم على إمكانية تنفيذها وتسويقها عربيا ودوليا ومنها:-

- الابقاء على الوضع الراهن وهو خيار نسفته مفاجأة الانتفاضة فى ديسمبر ١٩٨٧.

- الحكم الذاتى وهناك أكثر من مفهوم للحكم الذاتى وفق التصور الإسرائيلى، ولكن هناك أيضا المفهوم الفلسطينى للحكم الذاتى.

- الضم وهو أمر محفوف بالخطر لمعارضة الدول لهذه الخطوة ومجافاتها لميثاق الأمم المتحدة، وخاصة أن هناك قرارات سارية أهمها، ٢٤٢ ـ ٣٣٨، بالإضافة إلى أن الضم يعنى أيضا السكان إلى جانب الأرض وهم يمثلون بتكاثرهم وعدائهم وانتفاضتهم قنبلة زمنية موقوته.

- الانسحاب من قطاع غزة، وهو امر سيرفضه الجانب الفلسطينى لأنه ضد القرارات الدولية وضد اتفاقية كامب دافيد نفسها.

- فدرالية فلسطينية - أردنية وهو ما يعده الإسرائيليون بديلا عن الدولة الفلسطينية، ولكن من يضمن فى المستقبل عدم قيام الدولة الفلسطينية من رحم الكنفدرالية أو الفدرالية لأن هناك دائما إقرار بحق الشعوب فى تقرير مصيرها.

- الدولة الفلسطينية وهو أمر ترفضه كل الاتجاهات الإسرائيلية، ولكنه يمثل قدر الشعب الفلسطينى، وهو آت لا ريب فيه.

- كونفدرالية إسرائيلية - أردنية - فلسطينية.

وهو أمر يؤدى إلى ذوبان الكيان الصهيونى مع مرور الوقت.

وأخيرا يمكن القول أن الإنتفاضة الفلسطينية قد أحدثت تغييرا شاملا فى خريطة الكفاح الفلسطينى، وأضافت إلى دور منظمة التحرير الفلسطينية، وقضت فكرة الخيار الأردنى وأكدت إمكانية تحقيق الحلم الفلسطينى فى إقامة الدولة الفلسطينية.

٤ - أهمية إسرائيل فى السياسة الكونية الأمريكية:

(أ) - يخطئ من يظن أن إسرائيل تدير شئون الولايات المتحدة أو تؤثر فى استراتيجيتها الكونية، أو أن لها دور هام فى اختيار الرئيس الأمريكى، لأن الحقيقة أن إسرائيل أصبحت أداة بيد السياسة الأمريكية لتنفيذ الأعمال (القذرة) بأقل التكاليف المادية والبشرية ودون إحراج بسبب التدخل المباشر، وهى الذراع الطويلة للولايات المتحدة، وحاملة الطائرات الراسخة فى الشرق الأوسط، وهذا الدور لم يفرض على إسرائيل بل هى أرتضته لنفسها لأنه يتفق مع مصالحها وأمنها وآمالها التوسعية.

(ب) ـ حظيت إسرائيل ـ نظرا لأهميتها داخل الاستراتيجية الكونية الأمريكية بعدد من الاتفاقيات مع الولايات المتحدة أهمها:ـ

ـ التصريح الثلاثى الذى وقعته كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتعهدت بموجبه بحماية إسرائيل وضمان أمنها وحدودها.

ـ التزام عام ١٩٥٦، أثر العدوان الثلاثى على مصر، وهو التزام أعلنه وزير خارجية الولايات المتحدة بضمان حرية الملاحة لإسرائيل فى مضايق تيران.

ـ اتفاقية تبادل المعلومات العسكرية (١٩٧٠).

ـ الاتفاقية الاقتصادية (١٩٧٥) تتيح تقديم خدمات إسرائيلية للجيش الأمريكى فى الخارج.

ـ اتفاقية التفاهم الأمريكية ـ الإسرائيلية الملحقة باتفاقية سيناء الثانية (١٩٧٥) وهى توفر لإسرائيل إمكانيات التسلح والدعم الاقتصادى والأمداد بالنفط والوقوف ضد أى مساع سياسية فى غير صالح إسرائيل.

ـ اتفاقية تصدير منتجات الصناعات العسكرية الإسرائيلية إلى الولايات المتحدة (١٩٧٩) مع توقيع اتفاقية كامب دافيد.

ـ اتفاقية التفاهم الاستراتيجى الأولى (١٩٨١).

ـ اتفاقية عام ١٩٨٣ تقضى بتشكيل لجنة عسكرية ـ سياسية مشتركة لتنسيق المناورات المشتركة وتبادل المعلومات الخاصة بالمخابرات.

- اتفاقية التجارة الحرة (١٩٨٥).

- اتفاقية مشاركة إسرائيل فى مشروع حرب النجوم (١٩٨٦).

- اتفاقية التفاهم المشترك (١٩٨٧)، وبموجبها أصبحت إسرائيل تتمتع بمرتبة الدولة الحليفة للولايات المتحدة.

(جـ) وهناك مجال آخر فى علاقات البلدين اسئ فهمه بشكل واضح، وهو اصطلاح اللوبى الصهيونى داخل الولايات المتحدة وداخل الجهاز التشريعى بشكل خاص، ويمكن توضيح هذا اللبس بما يلى:

- إن اللوبى المؤيد لإسرائيل هو جزء لايتجزأ من الإدارة الأمريكية ومن المصالح الأمريكية، وقد تزامنت قوته مع بدء احتلال الولايات المتحدة لمكانة الاستعمارين الفرنسى والبريطانى فى الشرق الأوسط.

- إن تواجد اللوبى واستمراره مرهون بمدى ارتباط إسرائيل بالولايات المتحدة وتماثل مصالح البلدين، وفى حالة حدوث خلافات جوهرية فى المصالح يقف اللوبى المؤيد لإسرائيل إلى جانب الولايات المتحدة، ولايمكن إغفال تأثيره المادى فى الإنفاق على حملات الانتخابات الرئاسية.

(د) وهناك أمر حيوى آخر لابد من توضيحه وهو عدم وجود اختلاف فى مواقف الحزبين الكبيرين: الديمقراطى والجمهورى، حول الموقف من إسرائيل لأن كل حزب يقف مع مصلحة الولايات المتحدة أولا.

(هـ) وأخيرا كل ما سبق يفسر مواقف الرئيس «كارتر» التى وقفت أمام الرعونة الإسرائيلية، ومواقف الرئيس «بوش» الذى أرغم إسرائيل على التوجه إلى قاعة المفاوضات فى «مدريد» وهدد بايقاف المعونات الأمريكية لها، وأخيرا استمرار الرئيس «كلينتون» فى نفس الاتجاه، وفى عهده تنازلت إسرائيل عن كثير من نواياها وقامت مع منظمة التحرير الفلسطينية بالتوقيع على اتفاق إعلان المبادئ فى البيت الأبيض بواشنطن فى ١٩٩٣/٩/١٣ فى وجود كل من «اسحق رابين» و «ياسر عرفات».

(و)ويعود هذا التحول الكبير فى المواقف الأمريكية إلى مجموعة من المتغيرات الدولية:

(أ) أبرزها وأولها وأخطرها السقوط السوفييتى.

(ب) الأزمة الأقتصادية الدولية.

(جـ) تضاؤل دور إسرائيل داخل الاستيراتيجية الكونية الأمريكية، مع تزايد أهمية العالم العربى، بتروله وثرواته.

الفصل الثانى

المنظمات الصهيونية ودور يهود العالم بعد حرب ١٩٥٦

١- دور يهود العالم:

تلعب الجاليات اليهودية دورا كبيرا فى تنفيذ الأعمال الدعائية لإسرائيل ودعم مشروعاتها الاستيطانية والاقتصادية. وتقوم إسرائيل بتصنيف الجاليات اليهودية إلى سبعة مستويات:-

المستوى الأول:

يضم يهود إسرائيل والولايات المتحدة، وهو مستوى رغم تناقض بعض أجزائه إلا أنه يحظى بدور قيادى فى توجيه الجاليات اليهودية الأخرى والإشراف عليها وتقديم المساعدات إليها.

المستوى الثانى:

يضم الجاليات اليهودية التى لا تحتاج إلى دعم أو مساعدات من الخارج، وتشمل يهود بريطانيا وفرنسا وكندا وجنوب أفريقيا وأستراليا. ولهذه الجاليات هيئاتها القيادية الخاصة ولها علاقات وثيقة مع حكومات البلدان المضيفة.

المستوى الثالث:

يضم جاليات تحتاج إلى مساعدات بسيطة فى مجال تعليم اللغة العبرية، وإعداد رجال الدين، وهو ما ينطبق على يهود سويسرا والبرازيل والأرجنتين، ويعتبر يهود الأرجنتين الأكثر عددا والأقدر على المساهمة فى الهجرة إلى إسرائيل.

المستوى الرابع:

يضم تجمعات يهودية تزيد فيها حركة الأندماج بسبب انفتاح تلك التجمعات على الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية فى بلدانها، ولذلك تعتبرها الحركة الصهيونية مهددة بالأنقراض. وهذا ينطبق على يهود الدول الإسكندنافية.

المستوى الخامس

يضم طوائف تعيش تحت الوصاية الإسرائيلية ووصاية يهود الولايات المتحدة وتدار مؤسساتها من الخارج وهذا ينطبق على يهود الأتحاد السوفيتى.

المستوى السادس:

يضم طوائف يهودية تعتبرها الحركة الصهيونية تمر بمرحلة تفكك وتشمل يهود الدول العربية.

المستوى السابع:

يضم مجموعات يهودية تستغلها الصهيونية مجرد أرقام عند التعداد العام وتمارس ضدها كل أشكال التمييز ولا يعترف أحيانا

بيهوديتها وتشمل الزنوج العبريين وهم من الولايات المتحدة وقد هاجروا إلى إسرائيل عام ١٩٦٩ وتهدد السلطات الإسرائيلية هذه المجموعات بالطرد من إسرائيل. كما تشمل هذه المجموعات أيضا يهود الفلاشا (الأحباش).

وأبرز مواطن الخلاف بين إسرائيل ويهود العالم هى مسألة الأعتراف بمركزية إسرائيل فى حياة اليهود أينما وجدوا، ولعل يهود الولايات المتحدة أكثر الجاليات معارضة فى ذلك، وكذلك رفض الهجرة إلى إسرائيل على أساس أن وجودهم يعد من الأهمية بمكان لمساندة إسرائيل.

ومع بدء سريان السلام الذى بدأت ملامحه من خلال كامب دافيد واتفاق (غزة - أريحا) فإن الهجرة إلى إسرائيل ينتظر أن تتضاءل لزوال التهديد الموجه للدولة اليهودية.

هذا بالإضافة إلى أن اليهود يميلون إلى الاستقرار فى الدول المتقدمة ذات مستوى المعيشة المرتفع، بل أن اليهود السوفيت قد يفضلون البقاء بعد السقوط السوفيتى ويتجه عددا منهم إلى الولايات المتحدة وأوروبا بدلا من إسرائيل.

٢ - أهمية خاصة للمنظمة الصهيونية الأمريكية:

إن كل منظمة أو هيئة صهيونية فى الولايات المتحدة إما تعتبر جزءاً تابعا لكل من المنظمة الصهيونية العالمية، والوكالة اليهودية بإسرائيل، والحكومة الاسرائيلية، أو تابعة لأى منهم.

ومن المعروف أن المنظمةالصهيونية الإمريكية تعتبر فرعا للمنظمة الصهيونيةالعالمية، وتقع تحت سيطرتها وتلتزم بتطبيق

قرارات المنظمة العالمية، وكذلك ماتشير به من مبادئ وآراء تتعلق بالواجبات التى يجب على الصهانية الأمريكيين - أعضاء المنظمة الصهيونية الامريكية - القيام بها، وكل عضو بالمنظمة الأمريكية يعتبر تلقائيا، عضوا بالمنظمة الصهيونية العالمية، وبالتالى خاضعا لسيطرتها.

وقد تكوّن بعد حرب ١٩٦٧ جهاز صهيونى عالمى يعرف بالكورد تنيتنج بورد "COORDINATING BOARD" (مجلس التنسيق) جاء نتيجة ائتلاف بين الحكومة الإسرائيلية والمنظمة الصهيونية العالمية، ووظيفة هذا الجهاز هى ايجاد ترابط بين الجماعات اليهودية بعضها البعض خارج إسرائيل، وايجاد الترابط بين تلك الجماعات ككل ودولة إسرائيل من ناحية أخرى، ويقوم هذا المجلس التنسيقى بمباشرة نشاط المنظمات والهيئات والجمعيات الصهيونية الموجودة خارج اسرائيل بما فى ذلك الموجود منها بالولايات المتحدة.

- والمنظمة الصهيونية العالمية عن طريق أئتلافها مع الحكومة الاسرائيلية ونتيجة تبعية الهيئات والمنظمات الصهيونية الموجودة بالولايات المتحدة والدول الأخرى لها، تمكنت إلى حد ملحوظ من غزو المجتمعات اليهودية الأمريكية بهدف ضم تلك المجتمعات بناء على توجيهات «هرتزل» ومن بعده «بن جوريون وأشكول» وقد تركز نشاط المنظمة الصهيونية فى هذا الصدد، على كل من المجالين الإجتماعى والثقافى ليهود الولايات المتحدة.

- كما تبين أيضا أن هنالك مجلس للنشاط الثقافى خارج إسرائيل منذ عام ١٩٦٤ وهذا المجلس تخصص له ميزانية تقدر بملايين

عديدة من الدولارات، ووظيفته هى أن يقوم بواسطة الوسائل الثقافية التعليمية بضمان استمرار واضطراد التأييد السياسى لإسرائيل، وقد أدى انشأ هذا الجهاز إلى خلق وظيفة «وزير لشئون اليهود خارج إسرائيل» بالحكومة الاسرائيلية. وكانت إحدى النتائج المباشرة لخلق تلك الوظيفة، هى إنشاء ٢٤ منظمة وجمعية صهيونية متفرعة عن مجلس الشباب اليهودى لامريكا الشمالية، لتقوية الثقافة والتقاليد اليهودية بالولايات المتحدة، وكذلك الروابط مع إسرائيل. وكان من أولى برامج نشاط تلك الهيئات، مقاومة الدعاية العربية ضد الصهيونية بالجامعات الأمريكية.

الفصل الثالث

الإعلام الإسرائيلى الموجه للولايات المتحدة الأمريكية

الإعلام الاسرائيلي الموجه للولايات المتحدة الامريكية

١- أبرز أهداف الإعلام الإسرائيلى

لاشك ان إسرائيل تحرص فى دعايتها على تحقيق أهداف عدة، بعضها لتحقيق مصالح عاجلة والبعض الآخر لتحقيق مصالح لاتحقق ثمرة إلا على المدى الطويل.

وهذه الأهداف يتداخل بعضها فى البعض، وإن أمكن إيضاح أهمها على الوجه التالى:

- الكشف عن العناصر المعادية للعرب وبالذات للجمهورية العربية المتحدة فى أمريكا - سواء فى الولايات المتحدة أو فى غالبية دول امريكا اللاتينية - واستغلالها بعد تنمية ما لديها من أحقاد واستمالة هذه العناصر لتكون فى خدمة إسرائيل.
- الحصول - أو الاستمرار فى حصول - إسرائيل على القروض والاعانات والمساعدات الاقتصادية.
- ضمان حماية الولايات المتحدة لكيان إسرائيل، وزيادة شقة الخلاف بينها وبين الدول التى تهتم بالصداقة والمساعدة للعرب،

- تنظيم صفوف الجاليات اليهودية وتلقينها مبادئ الصهيونية جيلا بعد جيل حتى تبعدها عن أى حركة تناهض الصهيونية العالمية.

- تحويل أكبر قدر ممكن من الدولارات إلى إسرائيل.

- تنشيط تهجير اليهود من الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية إلى أسرائيل.

- عزل كل نشاط عربى وإحباطه.

- فإذا ما انتلقنا إلى غرض الدعاية الصهيونية فى شأن النزاع العربى الإسرائيلى نجد أنها تصف هذا النزاع بعدم القابلية للحل، لتعنت العرب، وتستغل الصهيونية فى هذا المجال، عنصرا سيكولوجيا يجد صدى لدى المجتمع الأمريكى، ومؤداه نسيان الماضى، والتفاوض على أساس الأمر الواقع، لنظرة هذا المجتمع العملية البحتة للأشياء، وبالتالى تجرده إلى حد كبير من الذكريات، والعوامل والوقائع التاريخية التى تستند إليها باقى المجتمعات فى حكمها وتقديرها للأدوار السياسية.

- تتضمن أيضا الحملة الدعائية الصهيونية ضد العرب، إيهام الآخرين بأن العرب يكنون عداءاً وتعصبا ضد نفس العقيدة اليهودية.

- وبوجه عام كان هدف الصهيونية الأساسى خلق صورة مشوهة للعرب أمام العالم بصفة عامة، والمجتمع الأمريكى بصفة خاصة، تتفق وأهداف إسرائيل السياسية فى منطقة الشرق

الأوسط. وكانت النتيجة هى أن أصبح العرب ضحايا أنجح حملة دعائية وسياسية عرفها التاريخ الحديث، لخلق صوره بغيضة لقوم ما، وليس هذا بغريب إذا ما وضعنا فى الحسبان تعدد الأدوات والأجهزة الدعائية التى تمكنت الصهيونية فى أمريكا على مر الزمن من السيطرةعليها، من ناحية وتخلف العرب عن الصهانية فى فن الدعاية وإتصاف الوجود العربى فى الولايات المتحدة بالضآلة والتشتت.

- ويمكن القول فى هذا الصدد ان الدعاية الصهيونية قد تمكنت من تحقيق هدفين رئيسيين فى الولايات المتحدة هما:

- كسب عطف الشخصيات السياسية الرئيسية، عن طريق استغلال جماعات الضغط اليهودية، لتحقيق المصالح أو الأغراض السياسية أو غيرها، لهؤلاء السياسة.

- كما تمكنت من إضفاء صفة التبعية والولاء لإسرائيل، بالنسبة لعدد كبير من يهود الولايات المتحدة، وبالذات الأغنياء وذوى النفوذ منهم.

- وأهم من ذلك هو نجاح الصهيونية، فى ربط العالم السياسى الأمريكى /الإسرائيلى فى إطار واحد متماثل بالنسبة للشرق الأوسط، كما أنها - بطريق غير مباشر، استغلت الأوضاع العربية العرقية سياسيا، فى ايجاد الفرقة والتباعد بين الولايات المتحدة والعالم العربى.

٢ ـ أهم أساليب الدعاية الإسرائيلية:

قامت الدعاية الإسرائيلية فى الولايات المتحدة على أسس عدة من أهمها:

ـ مخاطبة مراكز القوة فى المجتمع الأمريكى، وبذل الجهد المتواصل للتأثير عليه وكسبه فى صفها، وسبيل ذلك التعمق فى دراسة المجتمع الأمريكى وفهم الأوساط التى تفيدهم لدى توجيه دعايتهم وتستجيب إليهم وتتقبل وجهة نظرهم.وهذه الأوساط تكون فيما بينهما جماعات مؤثرة تستطيع التوجيه والضغط السياسى، وهذه الأوسط إما أن تكون:

(أ) طبقية مثل نقابات العمال.

(ب) مهنية مثل جمعيات الأطباء والمحامين.

(جـ) دينية مثل الهيئات البروتستانتينية والكاثوليكية الكبيرة.

(د) عنصرية كالمنظمات الصهيونية.

(هـ) جنسية مثل الجمعيات النسائية.

(و) فئة القائمين على وسائل الاتصال العامة كالزعماء السياسيين وكبار موظفى الدولة.

ولم تغفل إسرائيل قطاعا من القطاعات تستطيع التسلل إليه لتكوين (الجماعات المؤثرة) وأن تسكت كل صوت من خلال هذه الجماعات يخشى منه وعزلهم، كما حدث مع بعض الصحفيين المعتدلين والمثقفين المنصفين.

ـ أجهزة الإعلام:

واستعانت إسرائيل من أجل كسب الجماعات المؤثرة ومن أجل دعم مكانتها لدى الرأى العام الأمريكى بأجهزة الإعلام فسعت، ونجحت إلى حد كبير فى مسعاها ـ فى السيطرة على الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما واستطاعت اخضاعها لنفوذها.

ـ الأوساط العلمية:

ـ وبالنسبة للأوساط العلمية قامت إسرائيل بمعاونة الجمعية الأمريكية لدراسات الشرق الأوسط، وهى الجمعية التى ترشد الجامعات بالنسبة للتعيين والإنتداب وعقد المؤتمرات الدراسية عن الشرق الأوسط، وإيفاد الأساتذة إلى الجامعات الأمريكية.

ـ وقامت بمعاونة اللجنة الجامعية لشئون إسرائيل وتوزيع الموجهين فى الأوساط العلمية وإنشاء صلات مع قادة الدوائر العلمية.

ـ وشجعت إسرائيل على التعاون مع الكليات والجامعات من أجل إقامة ندوات عن الشرق الأوسط وتسهم فى ذلك (المؤسسة الثقافية العبرية التى تعرض على الجامعات الأمريكية أموالا من أجل استخدام الأساتذة الممتازين فى شئون الشرق الأوسط).

ـ وشجعت على الأحتفال بأعياد إسرائيل فى المحيط الجامعى.

ـ واستفادت من الطلبة اليهود فى الجامعات فوجهتهم ولقنتهم.

ـ وأعدت ـ تحت الطلب ـ المواد والكتب التى يحتاجها أساتذة العلوم الإجتماعية فى المدارس الثانوية حول موضوع إسرائيل.

- بين الطوائف المسيحية:

وفى وسط هذه الطوائف عملت إسرائيل على تنمية الصلات مع بعض قادة دينيين فى مراكز حساسة، وشجعت على عقد ندوات وحلقات دراسية عن إسرائيل لرجال الدين المسيحى، ونشرت مقالات فى صحافة البروتستانت والكاثوليك على السواء، وتصدت لكل فكرة مسيحية تعادى الفكرة الإسرائيلية ومن أمثلة ذلك نشاط إسرائيل من خلال (الرابطة الأمريكية المسيحية لإسرائيل) التى لا يكتفى الصهيونيون بتوجيهها بل أن مكاتبها تابعة للمجلس الصهيونى الأمريكى، هذا المجلس الذى يمول (مجلس شئون الشرق الأوسط) و (المنظمة الأمريكية لدراسة الشرق الأوسط).

وتقوم (الرابطة الأمريكية المسيحية لإسرائيل) بتنظيم رحلات إلى إسرائيل مقابل مبالغ رمزية.

- وسائل الاتصال:

يقوم المجلس الصهيونى الأمريكى بتمويل وكالة البرق اليهودية التى تتعامل مع الصحف اليهودية.

وتعمد إسرائيل لمخاطبة الرأى العام من خلال مداخل معينة ونقاط حساسة تسهل لها الاستجابة لدعايتها، فهى تحاول الظهور بمظهر الضعيف المعتدى عليه، وتركز على صغر رقعة إسرائيل ومع (الخصم القوى الكبير). ثم تتسلل إلى الزنوج الأمريكيين - وغالبيتهم تؤيد إسرائيل - تحت ستار أن اليهود أقلية مضطهدة مكروهة ينبغى للزنوج أن يقفوا معها دفاعا عن حقوق الأقليات.

هذا بينما يتسللون إلى أبناء الولايات الجنوبية التى تكره الزنوج تحت ستار أن إسرائيل تمثل الجنس الأبيض فى منطقة الشرق الأوسط وأنها رمز على تفوق البيض وامتيازهم.

وفى ولايات الشمال تزعم أنها قلعة الحرية والديمقراطية فى الشرق الأوسط وممثلة للحضارة الأمريكية به.

وفى أوساط الكاثوليك وهم أقلية دينية فى أمريكا تنبههم إسرائيل إلى أن اليهود أقلية مثلهم وتطلب منهم حث يهود أمريكا على رعاية مصالح إسرائيل وذلك كمظهر من مظاهرات تساند الأقليات.

وفى أوساط البروتستانت تلجأ إلى الكتب الدينية القديمة لهذه الفئة وتزعم أن هذه الكتب تنبأت بقيام دولة إسرائيل.

- ادخال إسرائيل لعناصر لا علاقة بها بالقضية الفلسطينية ولكنها ترمى إلى جعل الشعوب نفسها طرفا فى النزاع العربى الإسرائيلى متحيزا لإسرائيل، ومظهر ذلك أن إسرائيل تخاطب الأمريكى من خلال نغمة (العربى صديق عدوك الروسى، وعدو لحلفائك الغربيين، بينما إسرائيل امتداد لحضارة الغرب إلى أرض فشل الغرب فى الوصول إليها عن طريق الصليبيين وعن طريق الاستعمار).

- تكرار الحملات الدعائية، وتحويل الأذهان عن أى مسلك يدين إسرائيل، وعلى ذلك فإن إسرائيل تعمد من حين لآخر لاثارة وأفتعال وتجديد حملات دعائية مرسومة كلما كاد الرأى العام ينسى حملاتها السابقة نتيجة مرور وقت طويل عليها، وعلى

ذلك تدأب إسرائيل على تذكير العالم بما تعرض له اليهود من اضطهاد، وهى تهدف من ذلك إلى ألا يؤدى خمود الحملات إلى شعور بالاطمئنان لدى اليهود خارج إسرائيل، وإسرائيل تلجأ من أجل ذلك حتى إلى افتعال أعمال معادية لليهود ثم القيام بحملات مضادة، ومثال ذلك قيام اليهود أنفسهم برسم شارة الصليب المعقوف (علامة النازى) لإثارة نزعة اضطهاد اليهود فى كل مكان تخبو فيه حماسة اليهود.

- ولا شك أن السفارة الإسرائيلية فى واشنطن علي رأس الأجهزة التى تمارس ألوان النشاط الدعائى لإسرائيل، وهى التى تقوم بمهمة التوجيه والاشراف والتنسيق.

- معاهدة الصداقة المعقودة بين إسرائيل والولايات المتحدة فى سنة ١٩٥٢، ومن خلال هذه المعاهدة، بالاضافة إلى ما يتم من نشاط من خلال ثغرات أخرى، تجرى الزيارات المتبادلة أو بمعنى أصح الدعوات المجانية لمختلف الأوساط الأمريكية لزيارة إسرائيل، ويتم إصدار النشرات الصحفية والدعائية وتوزيعها فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة.

- استغلال إسرائيل للوزن السياسى لليهود فى أمريكا، رغم قلة عددهم نسبيا (حوالى ٩ مليون) داخل الولايات المتحدة، مع استغلالها لظاهرة تركز اليهود فى الولايات الهامة انتخابيا مثل نيويورك وكليفورنيا وبنسلفانيا والنيوى.

- استفادة اسرائيل من تحكم اليهود فى دوائر المال والأعمال، وإسهام اليهود بصورة فعالة فى تمويل وتوجيه الحملات

الانتخابية الرئاسية وانتخابت الكونجرس ، ولعل هذا من العوامل التى دعت الرؤساء الأمريكيين ، لتعيين أحد مساعديهم الخاصين ليتولى شئون الاتصال بالجماعات اليهودية الأمريكية ومحاولة كسب ودها.

- تشويه صورة العرب ، لدى الرأى العام العالمى بوجه عام والمجتمع الأمريكى بوجه خاص ، واستغلال التناقضات والانقسامات وبعض مظاهر التخلف فى بعض المجتمعات العربية ، مستهدفة بذلك عرض صورة بغيضة لشعوب (غير جديرة) بمكانة دولية.

- التسلل إلى أجهزة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ، بالاستعانة ببعض الدول الغربية لابعاد أى عربى والحيلولة دون توليه أى منصب ذى وزن سياسى أو أقتصادى أو ثقافى باذلة فى ذلك أقصى الجهد ، حتى ولو لم يعين اسرائيلى فى هذا المنصب . ولم يكن تعيين أو أنتخاب د. بطرس غالى ليتم لولا صلح مصر مع اسرائيل ومفاوضات السلام وغيرها من أسباب

٣- تغلغل النفوذ الصهيونى فى أجهزة الإعلام :

(أ) تزايد النشاط الصهيونى سياسياً ودعائياً فى الفترة الأخيرة ، وضاعفت الهيئات الصهيونية الأمريكية ، والجماعات المتعاطفة معها، جهودها لمواجهة ما تكشفت عنه التطورات فى أزمة الشرق الأوسط ، عن تعنت واضح لإسرائيل ، ووحشية تجلت فى غاراتها على المدنيين ، واستهدف النشاط الصهيونى ،

تحييد الاثار السلبية التى أحدثتها تصرفات إسرائيل لدى الرأى العام العالمى ، ومحاولة امتصاص السخط المتزايد ضدها . وبالاضافة إلى ذلك ، شنت إسرائيل حملة دعائية ضخمة ، بثتها على أن الطيارين السوفيت ، يعملون فى الأجواء العربية وهو ما يثير مخاوف الولايات المتحدة .

(ب) وفى المجال الصحفى والإعلامى : تغلغل النفوذ اليهودى والصهيونى على مر السنين ، فى شتى المجالات الإعلامية الأمريكية ، من صحافة إلى تليفزيون إلى سينما ، فسهل ذلك للدعاية الصهيونية تحقيق أهدافها فى تلك المجالات الإعلامية . فبالنسبة للصحافة ، امتدت الدعاية الصهيونية إلى الصحف الرئيسية الواسعة الانتشار بالولايات المتحدة ، النيويورك تايمز ، والهرالدتريبيون ، والواشنجتون بوست ، ولوس انجلوس تايمز ، والشيكاغو تربيون ، وكذلك المجلات الكبرى وأهمها ، التايم ، والنيوزويك ، واللايف .

ـ وبالنسبة لمحطات الإذاعة والتليفزيون ، استطاعت الأجهزة الصهيونية السيطرة على أهمها ، إما عن طريق التسرب إلى أجهزة هذه الشركات الإدارية ، حيث يعمل فنيون كثيرون من اليهود فيها ، أو عن طريق المساهمة المالية فى رؤوس أموالها ، والمعروف أن أكبر ثلاثة شبكات تليفزيون بالولايات المتحدة ، ويسطر عليها اليهود والدعاية الصهيونية هى [ABC-NBC-CBS] . وكذلك الحال بالنسبة لكبرى شركات السينما ، التى تساهم العناصر اليهودية فى رؤوس أموالها وإداراتها .

وبالإضافة إلى ماسبق ، يخضع الكثير من دور النشر والمطابع الرئيسية للتأثير والنفوذ اليهودى ، وبالتالى قلما ينجح شخص فى نشر كتاب مناهض للصهوينية فى أمريكا .

(جـ) وإذا كنا لا نجد جديدا فى ترابط التنظيمات الصهيونية الأمريكية ، بصفة خاصة ، والسياسية الإسرائيلية ، ثم فى قوة وفعالية وتأثير هذه التنظيمات على الحكومة الأمريكية ، فإن التطورات كشفت من الحقائق ما يعطى لهذا التأثير ، وذلك الترابط ، بعد أعمق بكثير مما كان يصوره بعض المعلقين والمراقبين . وذلك أن الهيئات الصهيونية أصبح لها مطلق الحرية فى العمل فى الولايات المتحدة ، ولم تعد الحكومة الأمريكية تعمل على تطبيق القوانين الخاصة بتسجيل هذه الهيئات ، كعملاء أجانب ، وهو الأمر الذى تحقق من ورائه هذه الهيئات ، مكاسب كبيرة ، وتسهيلات ضخمة فيما تجمعة من ورائه هذه الهيئات ، مكاسب كبيرة ، وتسهيلات ضخمة ، فيما تجمعه من أموال ، وما تقدم به من دعاية .

ولكى تكون الصورة واضحة، فإننا نذكر أن الأمر وصل إلى حد أن الحكومة الأمريكية ، قد لجأت قبل زيارة «بومبيدو» لواشنطن ، إلى طلب مساعدة السفارة الإسرائيلية لتهدئة الجماعات الصهيونية واقناعها بالعدول عما كانت بصدده من مظاهرات ضد الزيارة ، وهى المظاهرات التى ذكرت الأنباء أنها كانت بوحى من حكومة اسرائيل . كذلك فقد وصل الأمر بأحد نواب مدينة نيويورك فى الكونجرس «بيتر ترام بودل» إلى حد أنه اتصل بالسفارة الإسرائيلية

لمساعدته فى مباشرة نفوذها للضغط على أعضاء الكونجرس لمقاطعة الخطاب الذى ألقاه الرئيس الفرنسى «بومبيد» فى اجتماع الكونجرس خلال الزيارة.

والواقع أن السفارة الإسرائيلية فى واشنطن ، تقع على رأس الجهاز المنظم لمختلف الوان النشاط ، وهى إلى جانب ذلك تباشر نشاطها الرئيسى من خلال لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية ، كما تؤديه بصورة مباشرة عبر طريق الاتصالات الشخصية ، والاجتماعات مع المسئولين فى الحكومة والكونجرس بالإضافة إلى ما توجهه من دعوات مجانية لزيارة إسرائيل ، وما توزعه من نشرات صحفية ودعائية ، ترسلها إلى ما يزيد على مائه ألف من الشخصيات البارزة وتضمنها دائما ، وبصورة متجددة ، التطورات السياسية المتعلقة بالمنطقة واسرائيل ، من وجهة النظر الإسائيلية ، بطبيعة الحال . وكذلك تنظم السفارة الإسرائيلية ،محاضرات عديدة فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وتنسق نشاطها فى هذا الصدد مع الجماعات والهيئات الصهيونية الأمريكية، وعلى الرغم من اتساع نشاط السفارة الإسرائيلية فإن الحكومة الأمريكية تتغاضى عنه مع أنه يخالف صراحة ما تنص عليه اتفاقية الصداقة ، المعقودة بين إسرائيل والولايات والمتحدة عام ١٩٥٢ من تحريم أى نشاط سياسى من قبل الحكومة الإسرائيلية فى الولايات المتحدة.

(د) وثمة عنصر هام ينبغى التنبيه إليه ، هو أن الوزن السياسى لليهود ، يفوق فى واقع الأمر قوتهم العددية المحدودة – ٩ مليون نسمة – داخل الولايات المتحدة . ذلك أن تركيزهم يأتى

فى الولايات الأربع الهامة انتخابيا ، وهى «نيويورك» و«كاليفورنيا» و«بنسلفانيا» ، واليتوى هذا علاوة على أن تحكمهم فى المراكز الحساسة فى دوائر المال والأعمال والصحافة ، وإسهامهم بصورة فعالة ، فى تمويل ورسم وتوجيه الحملات الانتخابية الرئاسية ولأعضاء الكونجرس يزيد من ثقلهم السياسى لدى عدد كبير من السياسيين والمسئولين الأمريكيين وخاصة رؤساء الجمهورية وأعضاء الكونجرس ومن المناسب فى هذا الصدد أن نشير إلى ما نشرته الصحف وجاء فيه «أنهُ رغم ان الحزب الديمقراطى يضم حوالى ٧٠٪ منهم ، ورغم أن غالبيتهم صوتت فى صالح مرشح هذا الحزب فى انتخابات الرئاسة ، فإن أي رئيس أمريكي ، يعول كثيرا على كسب أصوات اليهود وتأييدهم ، ولهذا الغرض فإن الرؤساء الأمريكيين يعينون مساعدين خاصين لهم ، لتولى شئون الأتصال بالجماعات اليهودية الأمريكية ، ومحاولة كسب ودها.

ولما كان الكيان اليهودى فى الولايات المتحدة ، عاملا هاما ما بذاته، وأداة طبيعية فى أيدى إسرائيل ، تتعاون معه فى تحقيق ما تستهدفه فى الشرق الأوسط ، بالضغط على مراكز القوى فى الحكومة الأمريكية ، فقد صارت المحافظة على هذا الكيان ، بين الأهداف القومية والاستراتيجية الاسرائيلية أمراً حيوياً ، ويتحتم أن تكون الخيوط المحركة له فى «تل أبيب» والقدس ، من خلال التنظيمات الصهيونية فى الولايات المتحدة ، التى تستغل ما حققته إسرائيل من مكانة إثر انتصارها فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وما توفر لها من عناصر القوةوالتأييد من اليهود والأمريكيين على السواء.

الفصل الرابع

الإعلام الإسرائيلى الموجه
إلى الدول الأخرى

الإعلام الاسرائيلي الموجه إلي الدول الاخرى

١- التوجه إلى أوروبا الغربية:

(أ) الأهداف:

من أهم أهداف دعاية إسرائيل فى أوروبا الغربية:

- إظهار العرب بمظهر التخلف والتعصب ضدالحضارة الغربية والتركيز على خطورة وجود الأماكن المقدسة فى أيدى العرب والتظاهر بأن إسرائيل دولة متسامحة لا تعادى المسيحية.
- الحصول على ما يمكن من مساعدات بشتى أنواعها.
- ممارسة الضغط من أجل ضمان وقوف دول غرب أوروبا فى صف إسرائيل أو على الأقل عدم الوقوف ضدها وبذل الجهد المتواصل والمتكرر مع الإلحاح وعدم اليأس من طرق الباب الواحد أكثر من مرة.
- إن إسرائيل هى جزء حضارى من الغرب بنظامها القائم على الديمقراطية وحرية السوق.

- أنها محاطة بنظم دكتاتورية ومتخلفة.

- وإن العرب الذين يتفوقون عددا يريدون القاء إسرائيل فى البحر.

- إن إسرائيل مجتمع مسالم ولا يريد الاستمرار فى حرب.

(ب) الأساليب:

بالإضافة إلى ما سبق إيضاحه (أساليب الدعاية الإسرائيلية فى الولايات المتحدة) يمكن القول بأن إسرائيل تركز فى دعايتها فى أوروبا الغربية على الأساليب التالية:

- استغلال المركز السياسى الذى يحتله اليهود ، والاستفادة من سيطرة اليهود المالية وتحكمهم فى وسائل الدعاية والنشر.

- انتهاز الفرص المتاحة فى دول أوروبا الغربية نتيجة تسامح مبادئ ودين هذه الدول بالنسبة لليهود والصهيونية.

- ميل اليهود فى دول أوروبا الغربية، بريطانيا مثلا للتظاهر بأنهم بريطانيون، وقيامهم بتأييد إسرائيل بوصفهم بريطانيين، وهذا يحدث فى سائر دول أوروبا الغربية.

- تركيز إسرائيل على ما تصوره لدول أوربا الغربية من مصالح مشتركة (مثال ذلك خطاب ألقاه مناحم بيجن أثناء أزمة الجزائر يصور فيه المصالح المشتركة بين إسرائيل وفرنسا ويعلن وجوب بقاء فرنسا فى الجزائر والإسرائيليين فى إسرائيل)

إبراز الرواية اليهودية للتاريخ القديم وصلة اليهود بالأرض الفلسطينية.

٢- التوجه إلى أمريكا اللاتينيه:

١- الأهداف:

أدركت إسرائيل أن شعوب أمريكا اللاتينية شعوب عاطفية، وأدركت أن لدول أمريكا اللاتينية أكثر من خمسة وعشرين صوتا فى الأمم المتحدة مما جعل لهذه الدول وزنا خاصا فى المحافل الدولية.

لذلك سعت إسرائيل جاهدة لاستمالة هذه الدول. وهكذا فإن هدف إسرائيل فى دعايتها فى أمريكا اللاتينية يتمثل - مع بعض التحريف - فيما سبق أن شرحه هرتزل فى المؤتمر الصهيونى الأول سنة ١٨٩٧:

- القيام بالسعى لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية.

- تنظيم العناصر اليهودية وتوثيق الروابط بينها بإنشاء المؤسسات المحلية والدولية وفقا للقوانين المرعية فى الدول المختلفة.

٢- الأساليب:

تسلك إسرائيل في دعايتها لوجهة نظرها فى أمريكا اللاتينية نفس الأساليب السابق تقديمها فى باب (أساليب الدعاية الإسرائيلية فى الولايات المتحدة الأمريكية) إلا أن ثمة ظروفا متميزة فى أمريكا اللاتينية تعطى إسرائيل فرصا أكثر تتيح لها مزيدا من النشاط الإسرائيلى وذلك على الوجه التالى:

- شراء رجال السياسة فى بعض دول أمريكا اللاتينية فإن بعض رجال السياسة فى أمريكا اللاتينية تغلب عليهم - بوجه عام -

الميوعة، بل يمكن القول الانحلال الخلقى ، مما هيأ للدعاية الأمريكية وبالمثل للدعاية الإسرائيلية التسلل - والعمل على تفكيك أوضاع الجمهوريات، فانسابت الدعاية الإسرائيلية وراء النفوذ الأمريكى إلى صميم المجتمع والإدارات الحكومية والقوات المسلحة والصحافة فسيطرت على مقدراتها مستعينة بالمال والإغراء والإقناع للوصول إلى تحقيق أهداف الصهيونية التى تتخذ من الولايات المتحدة مركزها الرئيسى.

- إخفاء بعض اليهود العاملين فى حقل الدعاية فى أمريكا اللاتينيةلعقيدتهم الدينية ليتمكنوا من التغلغل فى كافة الأوساط.

- الدراسة السيكولوجية اليهودية ومن مظاهر ذلك أن إسرائيل لما أدركت تشبع عقلية شعوب أمريكا اللاتينية بالعقيدة المسيحية ابتكرت وساما أطلقت عليه (وسام فرسان القديس بولس) ومنحته لعدة شخصيات فى جمهوريات أمريكا اللاتينية.

الفصل الخامس

النشاط السياسى والإعلامى الإسرائيلى فى القارة الأفريقية

النشاط الإسرائيلى فى افريقيا

مقدمة

إن إتجاه الكيان الصهيونى إلى القارة الأفريقية جاء ضمن إطار العمل على كسر الحصار العربى، وتحقيق مطامع الصهيونية العالمية فى السيطرة على أسواق واستغلال ثروات تلك القارة، وبالتالى محاصرة وضرب المصالح العربية. ومن ناحية أخرى، الحصول على الشرعية الدولية، ورعاية مصالح ومواقع الغرب فى تلك القارة. وتبعا لطبيعة العلاقات والاتصالات والنشاطات الإسرائيلية فى أفريقيا يمكن تقسيم أهداف الكيان الصهيونى تجاه تلك القارة إلى ما يأتى:-

١- الأهداف:

(أ) أهداف سياسية:

وتشمل مجموعة الأهداف الرامية إلى الخروج من العزلة السياسية، والحصول على المزيد من الشرعيةالدولية، وإفشال الجهود العربية التى تحاول إحكام الحصار حول الكيان الصهيونى وخلق ظروف دولية أكثر ملاءمة لتحقيق الأهداف الصهيونية، السياسية وغير السياسية.

(ب) أهداف اقتصادية:

وتشمل مجموعة القضايا المتعلقة بفتح الأسواق الأفريقية أمام المنتجات الإسرائيلية، والاستثمارات اليهودية من ناحية، والحصول على المواد الأولية، وعناصر الطاقة من تلك القارة، من ناحية ثانية، وبالتالى تحقيق ربط اقتصاديات بعض الدول الأفريقية، برباط من التبعية للاقتصاد الصهيونى.

(جـ) أهداف أمنية:

وتشمل مجموعة الأهداف المتعلقة بمجال الاستخبارات، وصناعة الأسلحة، والدفاع عن المصالح والمواقع الغربية، خاصة الأمريكية، وبالتالى ضرب المصالح العربية، وأضعاف نفوذ العرب فى تلك القارة.

٢ـ أساليب التغلغل الإسرائيلى:

من أجل تحقيق الأهداف سالفة الذكر، قامت إسرائيل والمنظمات الصهيونية التابعة لها، بتبنى برامج متعددة، للعمل على الساحات الأفريقية والأمريكية والأوروبية مع ضمان قدر من التنسيق والتكامل بين تلك البرامج، إلا أن تعدد النشاطات السياسية والاقتصادية والأمنية، واختلاف أولويات العمل الإسرائيلية عن الأمريكية فى بعض الأحيان، وعن أولويات العمل الأفريقية فى أغلب الأحيان، أدى إلى تعثر خطة العمل الإسرائيلية فى العديد من الحالات، وبالتالى عجزها عن تحقيق الكثير من أهدافها، وعلى العموم فإن إسرائيل تحاول تركيز عملها على الساحة الأفريقية حول أربعة محاور رئيسية هى زائير وليبريا ونيجريا، وجنوب أفريقيا.

فبينما تحاول استخدام الأولى لترسيخ الشرعية السياسية، وشق منظمة الوحدة الأفريقية، وقيام جناح سياسى أفريقى، يتبنى وجهة النظر الإسرائيلية فى المحافل الإفريقية، تحاول استخدام الثانية كنموذج للتعاون، ومثال لما تستطيع إسرائيل تقديمه من خدمات ومعونات للدول الإفريقية، أما الثالثة فتحاول استخدامها لإيضاح إمكانية فصل العلاقات السياسية عن العلاقات الإقتصادية والعسكرية، وإثبات أنه بالإمكان إقامة علاقات التعاون فى مجالات شتى فى غياب التمثيل البلوماسى. أما فى جنوب أفريقيا فإن التعاون يهدف أساسا إلى ضمان بقاء واستمرار وحيوية نظام التفرقة العنصرية، وبالتالى آخر مراكز الدفاع عن الكيان الصهيونى فى فلسطين، هذا وقد بدأت الخارجية الأمريكية سلسلة من الاجتماعات مع المسئولين فى وزراة الخارجية الإسرائيلية نتج عنها:

(أ) إقامة لجنة أمريكية إسرائيلية مشتركة لتنسيق العمل فى العالم الثالث.

(ب) قيام جورج شولتز بإصدار قرار يقضى بوضع السفارات الأمريكية فى أفريقيا ا تحت تصرف الممثلين الإسرائيليين الرسميين وغير الرسميين.

(جـ) تبنى أمريكا لسياسة تقوم على التساهل فى تقديم المعونات الاقتصادية للدول الأفريقية المتعاونة مع إسرائيل واستخدام تلك المعونات كوسيلة لإغراء عدد كبير من دول أفريقيا على الاعتراف بالكيان الصهيونى.

وكان وزير المستعمرات البريطاني «تشمبرلن» قد بحث مع هرتزل منح اليهود مستعمرة «أوغندة» في أفريقية لتكون لهم وطنا قوميا، إلا أن القادة الصهيونيين المتطرفين رأوا رأى الدول الاستعمارية الغربية، إقامة حاجز بشرى غريب عن منطقة الجسر البرى الذى يربط أسيا وأفريقيا، ويربطهما معا بالبحر المتوسط، بحيث يشكل فى هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة ، وما إسرائيل اليوم إلا ذلك الحاجز البشرى.

- تأكدت أهمية القارة الأفريقية بالنسبة لإسائيل فيما جاء بكتاب الكاتب الصهيونى «مردفاى كريتين» «إسرائيل وأفريقيا» إن ثمة مميزات واضحة لسعى إسرائيل «من أجل كسب أصدقاء لها فى الكتلة الأفرو آسيوية المتزايدة الأهمية، فبسعيها ذلك تكسر طوق العزلة الاقتصادية، والسياسية التى تعانى منها فى الشرق الأوسط . لذلك فالتغلغل الإسرائيلى فى أفريقيا يجب أن ينظر إليه قبل كل شىء:

- كعمل مكمل للنشاط الاستعمارى فى القارة الأفريقية، وكحلقة اتصال بين البلاد الصناعية - الاستعمارية سابقا - والدول النامية فى أفريقيا وآسيا.

- كمجال للجهد الإسرائيلى الهادف إلى كسب أكبر عدد من الأصدقاء ، وتأمين التأييد السياسى لإسرائيل فى المحافل الدولية.

- كميدان عمل وتمرس للاقتصاد الإسرائيلى، وتأمين الأسواق التجارية.

- كمنطلق جبهة للوثوب على البلاد العربية من الخلف، بقصد تحطيم الحصار المفروض عليها فى شمال أفريقيا.

- بلغ عدد الدول الأفريقية المستقلة حتى عام ١٩٦٨ ، ٣٨ دولة ، تقوم بين معظمها (٣١ دولة) وبين إسرائيل علاقات ، تتراوح أهميتها بين دولة أخرى، فمنها من وثق علاقاتها بها كساحل العاج والسنغال والحبشة ونيجريا، ومنها ما حدد هذه العلاقات مراعاة للبلدان العربية الأفريقية كغينيا، ومنها من رفض حتى الاعتراف بإسرائيل كدولة مثل الصومال وموريتانيا.

- يتعذر تحديد منطلق زمنى للنشاط الإسرائيلى فى أفريقيا، بالنظر لتشابك المصالح الصهيونية ومصالح الدول المستعمرة آنذاك، حتى قبل قيام إسرائيل، وذلك أن الجاليات اليهودية المنتشرة فى أوروبا، والمتجنسة بجنسيات دولها، انتقلت مع الغزو الاستعمارى الأوروبى إلى تلك البلاد، وتركزت فيها، وأحياناً كانت تشغل المناصب الرسمية.

وضعية إسرائيل بالنسبة للمعسكر الغربى جديرة بالدراسة، إذ أن الدول التى استعمرت أفريقيا، هى دول غرب أوروبا، وهذه الدول نشرت ثقافتها ولغاتها، وخلقت بطول المدة، وبحكم الأمر الواقع فئات وطبقات جديدة من القيادات والخبراء والفنيين والمهنيين، يرون أن نماذج غرب أوروبا الحضارية والتكنولوجية والفنية والاجتماعية، هى النماذج التى تتطور إليها بلادهم، أو يرغبون فى تطوير بلادهم إلى مستواها.

وهنا تستطيع إسرائيل أن تستفيد من مثل هذا المناخ الثقافى الحضارى المصطنع فى الدول الأفريقية غير العربية، إذا المهاجرين الأوروبيين والأمريكيين إلى إسرائيل إنما يتكلمون اللغتين الأنجليزية والفرنسية كلغات أصلية، وهذا يسهل عليهم الاتصال، ويسهل أمامها فرص الدعاية التوجيه بواسطة الصحف والمطبوعات المنشورة فى أوروبا وأمريكا والتى تحمل وجهات النظر الإسرائيلية، ووجهات نظر الدول الأوروبية والأمريكية المساندة لإسرائيل.

وهكذا عملت الدول المستعمرة على تسهيل ومساندة الاندفاع الإسرائيلى نحو أفريقية فأفسحت المجال واسعا أمام ممثلى حكومة إسرائيل والهستدروت والوكالة اليهودية على أراضى المستعمرات

الأفريقية، الواقعة تحت سيطرتها، قبل استقلال هذه الأخيرة، ومنعت فى الوقت ذاته قيام أى تمثيل بين هذه المستعمرات وبين الدول العربية التى لم تتمكن من إقامة علاقات لها مع أفريقيا إلا بعد نيل مستعمراتها الاستقلال.

- ولم يقتصر الدعم الغربى لإسرائيل على استقبال بعثاتها الدبلوماسية والتمثيلية فى أفريقيا، وإنما تعداه إلى تمكين المنظمات الإسرائيلية وهيئاتها النقابية والاجتماعية والمهنية والطلابية، من إقامة إتصال مستمر مع مثيلاتها فى أفريقيا فى نطاق المعسكر الغربى ولأن البلدان الأفريقية فقيرة فى مجموعها، وحديثة العهد بالاستقلال، فهى تحتاج إلى المساعدات، والأطر الفنية والإدارية والعلمية والاقتصادية، مما أتاح الفرصة لإسرائيل أن تتقدم عارضة مساعداتها وخبرائها

ورؤوس أموالها، مما جعل الحكومات الإفريقية تسارع إلى عقد الإتفاقات معها، خاصة أنها بلا شروط ولا قيود ولا التزامات سياسية فى الظاهر، وهنا يثور التساؤل عن سبب قيام إسرائيل بمثل هذه الصفقات، أما كان الأجدر بها أن تعقد صفقات رابحة أو أكثر ربحا؟

- الجواب يكمن فى المقاطعة العربية، التى عزلت إسرائيل عن العالم، ونكتفى بذكر ما ورد فى مجلة الايكونومى «L,Eonomie» تحت عنوان المساعدة الإسرائيلية للبلاد النامية قول الكاتب: «من المحقق أن المساعدة الفنية الإسرائيلية للبلاد النامية، مرتبطة بتصاعد النفوذ السياسى والدبلوماسى الإسرائيلى وفى هذا المعنى، يمثل توسع برنامج المساعدات نجاحا ساعد إسرائيل للتغلب على العزلة الدبلوماسية التى أرادها لها جيرانها العرب»وأوضح الصهيونى آ موسى بن فريد فى معرض حديثه عن «برنامج المعونة الفنية لإفريقيا» بأن هذه الروابط، أى روابط التعاون مع أفريقيا، إنما هى المرتكز الرئيسى لإسرائيل مع العالم الخارجى، ما وراء وفوق السور العدائى الذى أقامه العرب حولها، هذه الروابط هى الطريق غير المباشر إلى السلام بالنسبة لإسرائيل.

٣- العوامل التى مهدت للتغلغل الإسرائيلى فى أفريقيا:

بحث الاستعمار عن بديل أو رديف له فى أفريقيا. يمكنها من المحافظة على ما يمكن المحافظة عليه من مصالحها، وتقضى هذه

السياسة الجديدة، بالانسحاب ماديا من المستعمرات وتركها تتخبط في خضم المشاكل التى خلفها الاستعمار على الصعيدين الداخلى والخارجى، من نزاعات الحدود، إلى المطالبة بضم الأراضى فيما بين المستعمرات السابقة، إلى مشاكل التنمية الداخلية، ومعضلات الحكم الفنى.وكان من المفروض أن يقوم هذا النوع من التعاون، ضمن نطاق الأمم المتحدة.

- الكسب السياسى الاقتصادى لإسرائيل بتمثيل الدور الاستعمارى التجارى االقديم، ولكن فى صيغة جديدة. المتمثل بتيارين، أحدهما باتجاه البلاد النامية المستعمرة سابقا، ويتضمن المنتجات المصنوعة والسلع، والآخر باتجاه إسرائيل، أو الدول المستعمرة سابقا، ويتضمن المواد الأولية والخامات. وهذا من شأنه أن يقوى جانب إسرائيلى على صعيد السياسة الدولية ويدعم كيانها ضد حق الشعب الفلسطينى فى وطنه.
- كسر الطوق العربى والوثوب عليه من الخلف، نتيجة أحساسها بوطأة الحصار العربى الشديد، ومن هنا جاء تمسكها بالنقب، ولم تكتف إسرائيل بهذا الهدف، بل كانت تبغى من خلال قفزتها الجبارة فوق الحاجز العربى إلى بلاد أفريقا وآسيا، الوثوب عليه من الخلف، بقصد تهديده وإضعافه، وبالتالى إرغامه على الإنصياع للصلح والتعامل معها.
- غياب المنافسة العربية، فغياب الوجود العربى على الأرض الإفريقية، كان من أهم العوامل السلبية التى أفادت منها إسرائيل، لتحقيق وجود راسخ فى أفريقيا، وأصبح التساؤل، كيف للوجود العربى أن يتمركز فى أفريقيا، بعد أن سبقه إليها الإعلام

الغربى المنحاز للصهيونية، مشوها المدنية العربية، وملبسها الأقنعة البشعة المرعبة، وأصبح الأفريقى معها لا يرى فى العربى إلا تلك الصورة البشعة، فأشاح بوجهة عن كل ما يمت بصلة إلى البلاد العربية ، فاتحا فى الوقت نفسه، ذراعيه وقلبه وعقله، لكل ما هو إسرائيلى، وهذا ما سنرد عليه فيما يأتى.

٤- أوجه هذا النشاط (الوسائل)

١ - ميدان المال والاقتصاد:

سعت إسرائيل إلى تمويل المشروعات الجديدة، تحت ستار الشركات المختلفة أو القروض، ففى:

(أ) **غانا**: وقبل أن يعلن استقلالها، تم إنشاء شركة النجمة السوداء للنقل البحرى برأسمال قدره ١٥٠ ألف جنيه استرلينى، اشتركت إسرائيل بنسبة ٤٠٪ وغانا ٦٠٪.

(ب) **اريتريا**: تقوم شركة انكورة الإسرائيلية، باستغلال الثروة الحيوانية لهذا البلد.

(ج) **نيجريا**: أنشأت شركة «سوليل بونيه» التابعة للهستدروت وشركة نيجرسول كونستر أكشن كومبانى التى استخدمت نحو أربعة آلاف عامل ومستخدم بنيجريا، ونحو ستون موظفا إسرائيليا برأسمال مشترك مع حكومة لاجوس.

(د) عقد اتفاقات التجارة والدفع، التى وقعتها إسرائيل مع غانا حتى أصبح فى أفريقيا فى منتصف عام ١٩٦٣، ٤٨ شركة إسرائيلية

أفريقية مشتركة، ويتبع الإسرائيليون فى أعمالهم مبدأ المشاركة، على أن يكون رأسمالهم أقل من النصف وتكون أكثر الأسهم ملكا للإفريقيين، والعقود محدودة لمدة خمس سنوات، يصبح بانقضائها، للأغلبية الأفريقية الحق بمشترى حصة الإسرائيليين.

٢ ـ المساعدة الثقافية والفنية:

وهنا تقوم إسرائيل بنشاط كبير، عن طريق ماتقدمه من المنح الدراسية لطلاب أفريقيين، يأتون إلى معاهدها لدراسة الطب والعلوم، وبصورة خاصة للتدريب على الحرف والصناعات الصغيرة، وعلى فنون الزراعة المتبعة فى الكيبوتز، والموشاف الإسرائيلية، وتقوم «الناحال» فى نطاق الجيش النظامى، على تدريب المزارعين الوافدين، ليصبحوا جنودا فى الوقت نفسه، قادرين على حراثة الأرض والدفاع عنها بقوة السلاح، إذا اقتضى الأمر ويقابل هذا السيل من الإفريقيين القادمين إلى إسرائيل لمتابعة حلقات التدريب أو لتلقى العلم، سيل آخر من الخبراء والفنيين الإسرائيليين باتجاه الدول الأفريقية، هذا فضلا عن الجاليات اليهودية المنتشرة فى أفريقيا والتى تبلغ عددها أكثر من نصف مليون نسمة، تسيطر على مرافق الاقتصاد الحيوية، وتستنزف مواردها لتغذى صناديق الوكالة اليهودية «الهستدروت» والخزينة الإسرائيلية.

٣ ـ الميدان الاجتماعى:

وجهت الحكومة الإسرائيلية كل اهتمامها إلى الشباب الأفريقى للتدريب فى معاهدها على الأعمال المهنية والزراعية والإدارية، ولتلقى الدروس فى التعليم العام، وتقدم لهؤلاء الطلاب والمتدربين

جرعات «كافية من الدعاية الإسرائيلية، لضمان مناصرتهم قضايا إسرائيل الدولية، وخاصة ماتعلق منها بقضية اغتصاب فلسطين، وتهتم إسرائيل كذلك، بالقطاع النقابى بصورة خاصة، فتولى شئون العمال ومشاكلهم عناية فائقة.

الوسائل والطرق المستخدمة للتغلغل الإسرائيلى فى أفريقيا:

الاعتراف الفورى بالدول المستقلة:

دأبت إسرائيل على ترقب نيل الدول الإفريقية الاستقلال، لتسارع إلى الاعتراف بها على الفوز، وإجراء المحادثات لإقامة علاقات دبلوماسية أو قنصلية على الأقل، كخطوة أولى فى معاملاتها مع تلك الدول، وكثيرا ما كانت تعانى من احتقار الأفريقيين لها، وسوء معاملتهم لبعثاتها لديهم، وتستمر فى غض النظر عن الإهانات التى توجه إليها.

- **المعونات الفنية والاقتصادية.**
- **الاستخدام الإعلامى الأمثل.**

تعقيب

على النشاط السياسى

والإعلامى الإسرائيلى

بعد حرب ١٩٥٦

(أ) تركز الدعاية الإسرائيلية، على إبراز عيوب العرب وأخطائهم، والمبالغة فيها، مع طمس الحقائق عنهم، والسكوت عن محاسنهم، وقد تمكنت الصهيونية من خلق صورة بغيضة للعرب في أعين الرأى العام الأمريكي، عن طريق ما يقع تحت يدها من أجهزة إعلامية ودعائية ضخمة بالولايات المتحدة، ومؤداها أن العرب يتصفون بالهمجية والتعصب، وأنهم يمثلون شراذم من البشر المتأخر، تنتشر في المنطقة المطلة على الشاطئ الجنوبي، للبحر الأبيض ولا هم لهم سوى جمع الأموال، وانفاقها على الملذات، وتكتمل الصورة البغيضة لهؤلاء العرب باتهامهم بتهديد إسرائيل، والتربص للفتك بها، بما يحصلون عليه من أسلحة من الخارج. ولقد كانت هذه الصورة البغيضة، هي الخلفية اللازمة والضرورية التي مهددت لقبول الفكرة الإسرائيلية، في ضمير الرأى العام الأمريكي والاوروبي، وفي أن تقبل هذه الصورة البغيضة، في غياب ما يدحضها، على ما أسلفنا، فإنه من السهل والميسور قبول ما تدعيه إسرائيل. من إنشاء وطن قومي لليهود. ويهمنا في هذا المقام، أن ننوه بقصور

العـرب فى دحض ذلك الفريـة، وليس أدل علـى ذلك، من أن حـتـى اليـهـود الأمـريكان الذين زاروا بعض الدول العـربيـة، أعـربـوا عن دهشتهم بما رأوه وهو يناقض ما كان يقال لهم عن العرب.

(ب) كذلك تستغل الحملة الصهيونيـة فى مقـاومتـهـا لمناهضيـهـا بالولايات المتحدة لفظى PROARBA, ANTISEMITIC لتـدفـع بهما مناهضيها ، وفعاليـة استغلال الصهيونية لهذين اللفظين، نتـجت عن نجـاحـهـا فـى نشـر صـورة سيئـة عن العـرب فى الولايات المتحدة. والتاريخ ملئ بالأمثلة فيما يتعلق بما درجت على القيام به معظم الحركات القومية، من خلق عدو وهمى لها يساعدها على جمع أتباعها وتوحيد صفوفها، ولو أن الظروف والتاريخ قد جعلا من العرب عدوا حقيقيا وليس وهميا للحركة الصهيونية إلا أنها ـ أى الصهيونية ـ قد نجحت فى أن تخلق من العرب عدوا وهميا لدى غير الصهاينة من اليهود الأمريكيين، وهذا بفـضل الأبواق الصـهـيـونيـة فى أمـريكا، بما تشمله من زعماء وكتاب وسياسيين، والذين جعلوا من لفظ «عربى» لفظا مكروها ومحتقرا لدى عدد كبير من اليهود الأمريكيين .

(جـ) وفى المقابل لا يوجدإعلام عربى، أو سياسة أعلامية عربية، بالمعنى المفهوم فى الولايات المتحدة، فيما عدا جهود فردية تقوم بها بعض الشخصيات العربية، سواء أكانت من المهاجرين العرب بالولايات المتحدة، أو تابعة لإحدى البعثات أو الهيئات العربية الموجودة بالولايات المتحدة. وهذا التقصير للإعلام العربى فى الولايات المتحـدة ، يرجع أسـاسـا إلـى قلة العـرب الموجودين بالقياس إلى اليهود، وانخفاض مستوياتهم الثقافية

والاقتصادية ككل، إذا ما قيست بمستويات اليهود، وكذلك ضعف اندماجهم وتفاعلهم مع المجتمع الأمريكى، بالإضافة إلى ضعف الإمكانيات.

وقد ساعدت حالة العرب هذه، وعدم تماسكهم ، ليس فقط لمجموعات صغيرة بالولايات المتحدة، بل أيضاً على صعيدهم الإقليمى كمجتمعات دولية بمنطقة الشرق الأوسط، فى استغلال جهاز المخابرات الإسرائيلى لحملات الدعاية المناهضة لإسرائيل والصهيونية، التى تقوم بها نفس الحكومات العربية، إذ أن تشتت وعدم تماسك النشاط الدعائى العربى الموجه ضد إسرائيل، أدى لظهور - بطبيعة الحال - متناقضات بين الأنشطة والمجهودات الدعائية المختلفة للدول العربية، مما ساعد المخابرات الإسرائيلية على دحضه وبالتالى إضعافه.

(د) ورغم العقبات غير الهينة، التى تعترض طريق أية محاولة تهدف لمقاومة النشاط الصهيونى فى الولايات المتحدة إلا أن القيام بشئ فى هذا المجال أحسن من عدمه، وهناك عدد من المجالات الهامة فى الولايات المتحدة، يمكن القيام فيها بمثل هذه الحملة دون أن يرهق هذا مواردنا وإمكانياتنا المالية وغيرها.

وأولى تلك المجالات تتمثل فى المجال الجامعى بالولايات المتحدة، نظرا للاتجاه الجديد للمصالح الحكومية وغير الحكومية، فى إعطاء الأولوية للتوظف لخريجى الجامعات.

- إن السياحة ، تعد عاملا هاما من حيث التأثير على تفكير ووجهات نظر الأمريكى العادى، وتركيزنا على السياحة بشكل إيجابى، من حيث التنظيم الفنى والمالى والإدارى يعتبر مجهودا مستمرا من النواحى الاقتصادية أو السياسية.

- إن البعثات التمثيلية والمكاتب الفنية العربية فى الولايات المتحدة ، بقدراتها المالية المحدودة، يمكنها المساهمة بشكل أكثر تركيزا وفعالية فى مقاومة الدعاية الصهيونية، ولو بإلقاء محاضرات شهرية بشكل منتظم فى أنحاء متفرقة من الولايات المتحدة.

- ضرورة قيام البعثات التمثيلية العربية، بتوطيد علاقاتها بجبهات الكونجرس الأمريكى - الذى دأبت الصهيونية على استخدامه كمحام لمصالحها وبوق دعاية لها - فضلا عن علاقاتها بالخارجية لأمريكية، وأيضاً توطيد العلاقات مع كبار المعلقين الصحفيين.

- العمل على أن يجرى تنسيق وتمويل وتوجيه النشاط الإعلامى العربى من خلال أجهزة الجامعة العربية، وذلك بتكوين ما يشبه اللجنة المشتركة، تضم ممثلين عن البعثات العربية فى واشنطن ونيويورك وشيكاغو وسان فرانسسكو، وتنظيم الصلات بالصحفيين ورجال الإذاعةوالتليفزيون، وتمويل وإعداد البرامج التسجيلية عن العالم العربى، ونواحى التقدم فيه، واهدائها لشركات التليفزيون المحلية، وهذا بالطبع فيه تركيز للجهود المتناثرة الحالية، وتوسيع لمجالها، ويمكن أن يبحث هذا

الموضوع كبند فى اجتماعات الجامعة العربية لرصد التمويل اللازم له، ووضع برنامج تنفيذى، وبرنامج متابعة لما يحققه من نتائج.

- كذلك فإن على المهاجرين المصريين، وغيرهم من العرب الذين استقروا فى الولايات المتحدة، أن يستغلوا اتصالاتهم الشخصية لتوضيح وجهة النظر العربية. وهذا يستلزم تنشيط الاتصال بهذه الفئات من المهاجرين، وتنمية علاقات طيبة معهم، ولذا فقد يكون من المفيد محاولة تشجيع تكوين روابط واتحادات، تجمع المصريين المقيمين فى كل ولاية أو منطقة، وتنظم نشاطهم الإعلامى، وتقدم لهم التسهيلات والمساعدات فيما قد يواجهونه من ضغط أو اضطهاد من قبل العناصر الصهيونية، ومن الأفضل ألا تشترك السفارة مباشرة فى مثل هذه التجمعات، وأن يكون تأثيرها غير مباشر، والهدف هو استمرار الرابطة بين المهاجر، أو حتى الموجود فى أمريكا لغرض العمل المؤقت أو الدراسة ووطنه الأصلى، بحيث يستمر التزامه بقضاياه.

تعليق عام

عن الفترة من ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦



الرئيس دوايت ايزنهاور اسقط ايدن وجى موليه وأجبر بن جوريون على الإنسحاب من سيناء بعد الاعتداء الثلاثى لتواطئهم من خلف ظهر الولايات المتحدة للسيطرة على الشرق الأوسط.

تعليق عام

لقد كانت حرب فلسطين أول مسمار فى نعش النظام الملكى فى مصر،بل وتعدته إلى دول عربية أخرى فيما بعد. فقد أطاحت ببعض حكومات واغتيل رؤساء وزراء كالنقراشى وأحمد ماهر، وكانت الشرارة الأولى لأحداث تاريخية، مثل قيام الثورة فى مصر فى ٢٣ يوليه عام ١٩٥٢ والإطاحة بالملك فاروق. نعم كانت هناك أسباب عديدة طافية على السطح ساعدت على ذلك فى ذاك الوقت مثل انتخابات نادى الضباط وحريق القاهرة والإقطاع وفساد القصر والأحزاب والقواعد البريطانية فى مصر، ثم كانت الأسلحة الفاسدة وحصار قوات الجيش المصرى فى الفالوجا وغيرها مما بعث على التذمر فى القوات المسلحة، وساعد على نجاح الثورة استغلالها لكراهية الشعب للإنجليز.

وقد أخطأت الإدارة الأمريكية خطأين أساسيين، أولهما: التسويف فى إمداد مصر بما تحتاجه من الأسلحة، وثانيهما: إعلان «جون فوستردالاس» وزير الخارجية الأمريكى آنذاك عدم تمويل مشروع السد العالى وبأسلوب جارح مهين، مما ألجأ عبد الناصر إلى التوجه

للاتحاد السوفيتى، فكانت أول صفقة سلاح لمصر من خلال تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٥٥ .

ثم وقعت الكارثة بعدما أعلن عبدالناصر تأميم قناة السويس لأسباب عديدة أهمها النواحى السياسية والاقتصادية ، مما أعطى ذريعة للعدوان الثلاثى على مصر، فلكل من المعتدين هدفه الذاتى، فبريطانيا كان لها قاعدة عسكرية رئيسية فى القناة ومرور تجارتها إلى الهند وجنوب شرق آسيا وهى أمور حيوية. هذا إلى جانب المساهمين من رعاياها فى الشركة. أما فرنسا فإلى جانب العامل والدافع البريطانى الأخير، كانت تود أن تحارب مصر على دعمها للجزائر من أجل الاستقلال ، أما إسرائيل فإنها تستميت من أجل مرور سفنها من وإلى إيلات وذلك حيوى بالنسبةلها، هذا إلى أن لعابها يسيل من أجل طموحاتها فى التوسع مستفيدة من وجود قوات وأسلحة متقدمة لدولتين كبيرتين ـ انجلترا وفرنسا ـ يمهدون لها للهجوم . وبعد وقوع العدوان، رأى «أيزنهاور» أن فرنسا وانجلترا تتمردان على زعامة الولايات المتحدة للغرب إذ لم «يتشاورا معها»، كما اعتبر الأتحاد السوفيتى فى ذلك تهديداً لتغلغله للشرق الأوسط، مما دفعه إلى توجيه إنذار «بولجانين» بضرب العاصمة البريطانية لندن بالصواريخ، أى أن القوتين العظميين جمعهما الهدف فى دحر العدوان، ولكل أسبابه.

وبعد تسلل الاتحاد السوفيتى إلى منطقة الشرق الأوسط بفضل موقفه المؤيد لعبد الناصر، بدأت الولايات المتحدة فى التصدى له، وقامت سياستها على أساس جديد، وهو تقليم أظافر كل من تسول له

نفسه من قادة وزعماء المنطقة أن يستعرض عضلاته ويهدد حلفاءها أو مصالحها فى المنطقة، وتستدرجه إلى فخ لضربة بقسوة كما حدث فى إيران ومصر والعراق.

وكان الإعلام المصرى قد بالغ فى قدرة الجيش على تحقيق الانتصار على قوى العدوان، وحول النصر السياسى إلى نصر عسكرى، بل وأخفى عن الشعب السماح للسفن الإسرائيلية بالمرور البرئ عبر مضايق «تيران» و «خليج العقبة»، ولم يعلم بها إلا عام ١٩٦٧ عندما أعلن عبد الناصر - ضمن مجموعة قرارات - أغلاقها فى وجه الملاحة الإسرائيلية، وهذه كانت من أكبر أسباب هجوم إسرائيل على مصر فى عام ١٩٦٧ .

وكما ورد سابقا فإن أطماع الملك عبدالله ملك الأردن الشخصية في ضم الجزء العربى من فلسطين إلى مملكته - وكان هذا مرحليا - لأن طموحاته كانت حلم «الهلال الخصيب»، قادت - مع عوامل أخرى - إلى حرب فلسطين الأولى.

ولقد كان سوء تقدير العرب لمواقفهم ، وأسلوب العنترية الجوفاء والتى كانت غالبًا للاستهلاك المحلى «غير المسئول» سببا فى المزيد من الخسائر فى الأراضى والأرواح والثروات بل وفى استعداء الرأى العام العالمى بصفة عامة والغربى بصفة خاصة للعرب، لأن إسرائيل على النقيض كانت تظهر نفسها كالحمل الوديع بين جيرانها العرب الوحوش، وساعد على ذلك تصريحات القادة العرب أنفسهم بأنهم سيلقون بها فى البحر وإزالتها من خريطة العالم.. إلخ . مع فشل الإعلام العربى فى الخارج بالمقارنة للإعلام الإسرائيلى وأبواقه المتعددة فى كل مجال.

القسم التاسع

الصعود والسقوط فى حياة «بن جوريون» السياسية

الفترة من ١٩٦٠ـ١٩٦٦

تمهيد :

الفصل الأول:

المفاعل الذرى

الفصل الثاني:

الإيحاء بالرغبة فى السلام

الفصل الثالث :

نهاية «بن جوريون» السياسية

الفصل الرابع :

الصابرا

تمهيد

كانت قمة الصعود التى وصل إليها «بن جوريون» خلال حياته السياسية، تحقيقه الحلم الذى راود اليهود منذ بدء «السبى» و «الشتات» منذ ثمانية عشر قرنا، وهو إقامة دولة إسرائيل «فيما سموه بأرض الميعاد» فى فلسطين.

ثم عزز هذا الإنجاز الكبير بآخر له أهمية كبرى لتحصين الدولة الوليدة حينما أقنع الرئيس «كيندى» بالسماح لإسرائيل بمواصلة تجاربها النووية فى «مفاعلها الذرى» الذى يوجد بصحراء النقب والذى كان يعترض عليه الرئيس «أيزنهاور».

أما بوادر السقوط فقد لاحت فى الأفق عندما فشل فى إقناع الرئيس عبد الناصر بمبادرته للسلام مع مصر، ثم توالت بعد ذلك الصعاب والمشاكل التى واجهت «بن جوريون» . المتمثلة فى إحياء «قضية لافون» ومعارضة زملائه من الحرس القديم لبعض تصرفاته الغير ديمقراطية، وكانت القشة التى قسمت ظهره ـ الولايات المتحدة التى رأت فى تقاربه من محور باريس ـ بون تحديا لمصالحها الحيوية

ـ فى أوربا والشرق الأوسط ـ فجندت الصهيونية الأمريكية ضده وأطاحت به بقيادة «جولدا مائير».

الفصل الأول

المفاعل الذرى الإسرائيلى



بن جوريون يشكر الرئيس كيندى لموافقاته بالسماح باستمرار النشاط الذرى فى مفاعل «ديمونة» بصحراء النقب.

المفاعل الذرى الإسرائيلى «ديمونة» وموافقة الولايات المتحدة على قيامه فى عهد الرئيس «كيندى»

المفاعل الذرى فى النقب:

وقعت فرنسامع إسرائيل عام ١٩٥٧ اتفاقية سرية لتشييد مفاعل ذرى كبير فى النقب بزعم أنها محطة أبحاث للأغراض السلمية وكان ذلك بمبادأة من «شيمون بيريز» وتأييد كامل من «بن جوريون» واحتفظ بالسر سنوات إلى أن وضعت طائرة التجسس الأمريكى «U2» نهاية له، باكتشافها له فى طيرانها فوق النقب وسربت بعض المعلومات التى أوضحتها الصور الجوية إلى المخابرات المركزية الأمريكية وبأن المبانى الممتدة فى الصحراء ليست مصنع نسيج.

وفى ٩ ديسمبر عام ١٩٦٠ استدعى وزير الخارجية الأمريكية «هيرتر» السفير الإسرائيلى فى واشنطن فى اليوم الذى عقدت فيه لجنة الطاقة الذرية بالكونجرس اجتماعا عاجلا، نشرت بعده «التايم» خبرا مقتضبا عن بناء مفاعل ذرى سرا فى دولة معينة لم تحددها، وكان مؤكدا أنها لا تنتمى إلى الكتلة الشيوعية ولا هى عضو فى حلف الأطلنطى، ثم نشرت صحيفة فى لندن فى ١٦ ديسمبر أن

إسرائيل تصنع قنبلة ذرية. وطلبت واشنطن ايضاحا لمعرفة ما إذا كان المفاعل فى النقب لأهداف عسكرية، وصدر بيان مشترك من الخارجية الفرنسية ووكالة الطاقة الذرية يعترف بأن فرنسا كانت تساعد إسرائيل فى أبحاثها النووية وأنه من أجل الأغراض السلمية، كما أصدر «بن جوريون» بيانا اعترف فيه بأن إسرائيل قد أقامت فى «ديمونة» بالنقب مفاعلا بقوة ٢٤ «ميجاوات» للأبحاث العلمية وتطوير البلاد، غير أن أمريكا لم تقتنع ومارست ضغطا كبيرا على إسرائيل إما أن تقبل اشرافا دوليا أو توافق على تفتيش مباشر من العلماء الأمريكيين. ورفض «بن جوريون» رغم الضغط والتهديدات المستترة والمذكرات الحادة والتلميح إلى الإجراءات التى قد تتخذها الولايات المتحدة، (كان هذا الضغط الأمريكى فى عهد رئاسة «ايزنهاور».

بدء التواطؤ الأمريكى:

وفى عهد الرئيس «كيندى» سمحت اسرائيل لعالم أمريكى بزيارة المفاعل، وأبلغ الرئيس «كيندى» «بن جوريون» أن المعلومات التى أعطاها بن جوريون صحيحة، ويمكن لاسرائيل أن تستمر فى برنامجها للأبحاث الذرية ولهذا السبب لم يستقل «بن جوريون» كعادته حين كانت «لجنة السبعة» تحقق فى فضيحة «لافون» حتى لا يوحى فى الخارج أن استقالته بسبب أزمة المفاعل الذرى، وظل فى الحكم حتى سويت ثم استقال فى يناير ١٩٦١.

وكان الرئيس «كيندى» قد ناقش مع «بن جوريون» أثنا زيارته «لواشنجتون» فى مايو عام ١٩٦١، مشاكل الشرق الأوسط، ووعد الرئيس كيندى «بن جوريون» بتقديم العون العكسرى لاسرائيل. إذا ما

نشبت الحرب مع العرب، كما منح تأييده الكامل لخطة اسرائيل فى تحويل مجرى نهر الأردن من أجل رى النقب. وكان «كيندى» يرى أن السلام فى الشرق الأوسط يمكن أن يأتى على مراحل، واقترح على اسرائيل الموافقة على فصل مشكلة اللاجئين العرب عن المشاكل العامة فى الشرق الأوسط، كما كان يرى أنه متى سويت مشكلة اللاجئين العرب تسوية شاملة، اتضح الطريق إلى السلام. ولم يعترض «بن جوريون» على ذلك.

وبينما كانت هذه المفاوضات تجرى مع مبعوثى «جونسون» و«كيندى» كان بن جوريون بناء على توجيه امريكى يعمل على التقارب مع العالم العربى، وكانت محاولته الأولى فى ديسمبر ١٩٦٢ بعد تفكك الجمهورية العربية المتحدة بانفصال سوريا عن مصر، وثورة اليمن على النفوذ المصرى. وكان نفوذ عبد الناصر آخذ فى الهبوط.

الفصل الثانى

الإيحاء بالرغبة فى السلام

الإيحاء بالرغبة في السلام

يلاحظ أن الحركة الصهيونية كانت ترفع فى العلن غصن الزيتون وتحضر فى السر المذابح والطرد والأرهاب.

وبعد حرب ١٩٤٨ وقيام دولة إسرائيل استمر نفس الأسلوب لمخاطبة الرأى العام العالمى والإيحاء بأن إسرائيل ضعيفة ومحاطة بعدد كبير وقوى من الأعداء وهى لا تريد إلا السلام، وفى هذا الصدد يمكن فهم حقيقة الحركات السلمية الإسرائيلية وخاصة من قبل «بن جوريون».

كان «بن جوريون» فى شهوره الأخيرة فى السلطة يوصى بالعمل لاحلال السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط.

وقد سافر فى زيارة رسمية لبورما فى ديسمبر ١٩٦١ حيث عرض عليه «أونو» رئيس وزرائها التوسط فى الصراع العربى الإسرائيلى، فى زيارته المرتقبة للقاهرة، ظنا أنه يستطيع شيئا، فلم تحقق شيئا وذلك لأن عبد الناصر قد أعلنها صريحة أنه لا مكان لتسوية سلمية مع إسرائيل، ومع ذلك فينبغى القول - إنصافا - إن هذه

التحركات فى زيارته الأخيرة للولايات المتحدة فى مايو فى سبيل السلام إنما كانت من اقتراح الرئيس «كيندى» وقد ناقش «بن جوريون» مشاكل الشرق الأوسط، ووعده بتقديم العون العسكرى لإسرائيل إذا ما نشبت الحرب، كما منح تأييده الكامل لخطة إسرائيل فى تحويل مجرى نهر الأردن من أجل رى النقب.

وكان «كيندى» يرى أن السلام فى الشرق الأوسط يمكن أن يأتى على مراحل، وأقترح موافقة إسرائيل على فصل مشكلة اللاجئين العرب عن المشاكل العامة فى الشرق الأوسط، وأن مشكلة اللاجئين العرب متى سويت إنفتح الطريق إلى السلام. ولم يعترض «بن جوريون» على ذلك، وكان من بعد تشكيل حكومته الجديدة، أن جاء د. جوزيف جونسون أحد كبار الرسميين من الأمم المتحدة، وإن كان فى واقع الأمر قد جاء نيابة عن الحكومة الأمريكية ليستأنف مع إسرائيل والدول العربية المحادثات فى مشكلة اللاجئين، محادثات استمرت عاما وعديد من الجولات بين القدس وواشنجتن ونيويورك والعواصم العربية وأنتهت بمعارضة كل من العرب واليهود ما طرح من توطين قلة من اللاجئين العرب فى الدول العربية، وقلة منهم فى اسرائيل وذلك على اساس من قرار الأمم المتحدة بمنحهم «حرية الاختيار» فى العودة إلى إسرائيل كان ذلك هو الشق الأول من القرار أما الشق الثانى الذى يقضى بأن يعيش العرب فى سلام مع جيرانهم الاسرائيليين فقد أغفل فى خطة جونسون، أي أن يطلب من إسرائيل دمج بعض اللاجئين دون ضمانات فى المقابل. ولما عارض العرب الخطة، عرض كيندى شيئا يغرى بن جوريون إذ قررت الولايات

المتحدة امدادهم بصواريخ «هوك» مقابل موافقة الدولة اليهودية على خطة جونسون، وكان رد بن جوريون أنه لا يريد صواريخ «هوك» إذا كان الثمن خطة جونسون أو خطة أخرى مشابهة، وصاح لأحد زملائه غاضبا «مادام العرب لا يوقفون إعلان هدفهم بتدمير اسرائيل فلن نأخذ لاجئا واحدا، وهكذا حفظ ملف خطة جونسون وحصلت إسرائيل على الـ«هوك».

ولم تكن هذه الأولى من نوعها التى تلقى فى سلة المهملات، فقد حاول الرؤساء الأمريكيون تحقيق السلام فى الشرق الأوسط، وأولهم ترومان عام ١٩٥١ ثم ايزنهاور عام ١٩٥٥، ثم كيندى عام١٩٦١، وقد فشلوا جميعا، وإن لم تكن الأخيرة.

كما جرت بين تل أبيب وواشنجتن والقاهرة مفاوضات سرية، انتهت بعد ستة اشهر إلى الفشل، لما كان بين اليهود والعرب من شكوك ولابد لنجاح الخطة من الثقة المتبادلة.

وبينما كانت هذه المفاوضات تجرى مع مبعوثى جونسون أو كيندى كان بن جوريون يعمل على التقارب مع العالم العربى. كانت محاولته الأولى فى ديسمبر ١٩٦٢، بعد أحداث وتغيرات كبيرة فى الشرق الأوسط، فقد تفككت الجمهورية العربية المتحدة بانفصال سوريا عن مصر مع مقاومةفى الأردن، وصعوبات فى اليمن فى ظل الوجود المصرى، ووجود موقف متحفظ فى العراق. كان نفوذ عبد الناصر على الجملة فى هبوط، فكان أن أرسل أحد أصدقائه فى مهمة سرية إلى بلجراد ظنا أن للماريشال تيتو، أحد أصدقاء عبد الناصر المخلصين بعض التأثيرعليه، وأبدى تيتو أهتماما وطلب

المزيد من التفاصيل، وكتب «بن جوريون» رسالة مطولة يشرح الصراع بين إسرائيل والعرب معربا عن اقتناعه بأنه لا أمل فى السلام فى الشرق الأوسط إلا إذا أتخذت مصر ـ أقوى الدول العربية وأكثرها نفوذا ـ الخطوة الأولى، وأوضح أن فى طوع اسرائيل العون على التطور السلمى للدول العربية حين لا تكون مضطرة إلى تخصيص معظم ميزانيتها للأغراض العسكرية، وجاء رد تيتو سلبيا.
ثم وجد بن جوريون وسيطا آخر فى رئيس تحرير صحيفة أوروبية كبيرة كان فى القاهرة فى يناير ١٩٦٣ وقابل محمد حسنين هيكل الصحفى المعروف ـ المقرب إلى عبد الناصر وأكد أن مصر لا تفكر فى حرب ضد إسرائيل، ثم التقى الصحفى الأوروبى مع عبدالناصر الذى ألقى بكلمات ذات مغزى قال: «أعتقد أنه إذا ما تم أجتماع مغلق بينى وبين بن جوريون لمدة ثلاث ساعات فسنصل إلى حل سلمى للصراع العربى ـ اليهودى». وعند عودة الصحفى إلى لندن قابل «بارون ادموند دى روتشيلد» وأبلغه بحديثه مع عبد الناصر، وأبلغ «روتشيلد» ذلك لسفير إسرائيل فى لندن فبعث به إلى بن جوريون، الذى كتب إلى روتشيلد فى باريس بأنه يشك فى أن عبد الناصر يفكر حقا فى الاجتماع به للوصول إلى حل سلمى للصراع العربى ـ الإسرائيلى، وقال وقد قابلت عديدا ممن تحدثوا مع عبد الناصر، فأكتشف أنه يقول ما يحب الناس أن يسمعوه، ومع هذا فمن واجبى أن أفترض أخلاصة فيما قال ، وأعرف أنه القائد العربى الوحيد الذى يمكنه التوصل إلى اتفاق مع إسرائيل، وليس هناك قائد عربى غيره يجرؤ (أو حتى يتمكن فى الحالة الراهنة للعالم العربى) أن يبرم تسوية مع إسرائيل فإذا كان يريد ويفكر فى السلام فسيكون ذلك من المفيد لمصر والعالم العربى.

وأقترح إيفاد الصحفى للقدس حيث حمَّله رسالة شخصية لعبد الناصر باستعداده لمقابلته وفى غاية السرية حيثما يختار (سويسرا - اليونان - إيطاليا - حتى فى القاهرة لو ضمن عبد الناصر سلامته) وأتفاوض معه الساعات اللازمة لإقامة السلام، فضلا عن اتفاقيات تعاون ثقافى وأقتصادى وسياسى. ووصل الصحفى فعلا إلى القدس بعد أسابيع قليلة من رسالة بن جوريون إلى روتشيلد، وقابل بن جوريون الذى قرر رغبته فى السلام ومقابلة عبد الناصر، ولم يشر إلى الحل المقترح لمشكلة اللاجئين العرب، وعاد الوسيط من القدس إلى أوروبا ومنها إلى القاهرة حيث قابل عبد الناصر وأبلغه بمهمته، وأنه رأى بن جوريون وأبلغه أنك الوحيد القادر من القادة العرب على حل المشكلة الصعبة فى العلاقات بين اسرائيل والعرب، وأن بن جوريون على استعداد لمقابلتك فى أى مكان، حتى فى القاهرة. وابتسم عبد الناصر وشكر الصحفى على المجاملة، ثم أوضح أنه لا يثق فى بن جوريون بعد أستعراض أعمال اسرائيل العدوانية منذ حرب الاستقلال أيام كان ضابطا فى الخط الأمامى واغتيال برنادوت وغاراتها على قطاع غزة وحرب سيناء. ووجه الصحفى سؤالا مباشرا لعبد الناصر: هل تظن أنه من المستحيل الوصول إلى تسوية سلمية مع إسرائيل؟

وأجاب عبد الناصر: لا، شارحا أنه تعلم منذ ١٩٥٦ ومازال من درس كوبا ١٩٦٢، وقد تجنب أى لقاء مع بن جوريون لمشاغله الكثيرة حتى سبتمبر، وسقوط قاسم فى العراق ومراقبة الوضع الأردن فلو سقط حسين فالاحتمالات أن تحتل اسرائيل القدس ونقطا

استراتيجية وسيكون عندئذ فى موقف صعب، لكنه لن يذهب للحرب.

وكان واضحا عدم إمكانية الاجتماع بين عبد الناصر وبن جوريون، وبدا أن عبد الناصر قد أصبح قائدا لاتحاد مصر وسوريا والعراق ولا يميل إلى الأنشغال فى محادثات سلام.

الفصل الثالث

نهاية «بن جوريون» السياسية

نهاية بن جوريون السياسية

(أ) جاءت نهاية بن جوريون بسبب عدم مرونته داخليا ومحاولته ارساء دكتاتورية عسكرية، إلا أن مدرسة بن جوريون العسكر- سياسية لم تنته إلا بحرب ١٩٧٣ .

(ب) ادت قضية «لافون» فى عام ١٩٥٤ والتى عرفت باسم فضيحة التجسس على القاهرة إثارة المتعاب فى عهد بن جوريون الثانى من القضية عام ١٩٦٠ مقدمة لسقوطه نهائيا.

وكان لفصل «لافون» نتيجة أخرى، إذ رفضت الأحزاب السياسية الاشتراك فى حكومة «بن جوريون».حيث لأول مرة فى تاريخ البلاد ثورة علنية ضده، وقد أراد بعض أعضاء الماباى الاستقالة ورأى اخرون أن يكون وزيرا للدفاع فى حكومة يرأسها أشكول. أما «بن جوريون» نفسه فكان مستعدا للاعتزال.

ولم يكن الحزب رغم تنكره أثناء عملية لافون يريد أن يفقد زعيمه وأن ظل قائدا للحزب، وفضل زعماء الماباى إجراء انتخاب عام على أن يروا بن جوريون يذهب. وقدم حكومته الجديدة -

والأخيرة - إلى الكنيست فى ٢ نوفمبر ١٩٦١ وفاز بالثقة، ولكن كان عليه بعد ثمانية عشر شهرا أن يستقيل ويتقاعد فى سدى بوكر.

وربما كان فى طوعه منع كل الفضائح، لولا تردده الطويل فوقع فى أخطاء عديدة ولم يكن كذلك من قبل على مدى عمله السياسى الطويل أبدا، وذلك فضلا عما ألم به من ضرر عظيم من مهاجمة لافون للجيش ومؤسسات الدفاع حتى فقد حصافته كلها.

وأخذ قادة المعارضة ينقبون عن أسباب مشكلة «لافون» وخفاياها، وعزوها إلى أن القادة العسكريين المؤيدين «لبن جوريون» ساعدوا على إسقاط «لافون» لمعارضة فكرة الاعتداء على مصر عام ١٩٥٦، وكذلك الهجوم على غزة ١٩٥٥، وادى إلى إسراع المصريين بالالتجاء إلى الكتلة الشرقية للحصول على السلاح.

وقرر «الكنيست» تشكيل لجنة وزارية من سبعة وزراء للتحقيق فى مشكلة «لافون» انتهت بإعلان براءته، وأصبح «لافون» فى نظر الكنيست بريئا، وفى رأى الشعب أنه إنما طرد من الحزب لتجرئه على تحدى «بن جوريون» ومهاجمة أنصاره فى الجيش واعتبره قسم كبير من يهود فلسطين شهيد مؤامرة الجيش وضحية بن جوريون. وقد هزت قضية «لافون» الرأى العام الإسرائيلى، وأثرت على نتائج الانتخابات التى طالب «بن جوريون» باجرائها إذ فقد حزب «الماباى» خمسة مقاعد من ٤٧ مقعدا.

وكان إحياء قضية لافون مأساة إذ وقع فى توقيت كانت فيه البلاد هادئة، والوضع العسكرى والدبلوماسى حسنا. ولو كان بن

جوريون يركز على بعض الأزمات لتجاهل مسألة لافون كلها، إذ لو كانت تأخرت ثلاث أشهر - أى إلى ديسمبر - لما تنبه لها أحد، إذ تكون إسرائيل وسط واحدة من أكثر أزماتها خطورة فى علاقاتها الخارجية، وقد ضخمها بن جوريون.

(جـ) كما لم تلق معالجة بن جوريون لمشكلة العلماء الألمان فى مصر رضاء عاما.

فقد اكتشفت المخابرات الإسرائيلية «الموساد» - خبراء عسكريين ألمان فى مصر، يعملون فى الصناعات العسكرية وتدريب القوات المسلحة. وألقت السلطات الألمانية القبض على عميلين من المخابرات الإسرائيلية فى «زيورخ» فى مارس ١٩٦٣ بتهمة تهديد ابنة أحد هؤلاء الخبراء لاجبار أبيها على مغادرة مصر وعدم التعاون معها. وقامت الصحافة الإسرائيلية والمعارضة وبعض زعماء حزب «الماباى» بشن حملة على ألمانيا، إلا أن «بن جوريون» خشية إيقاظ روح العداء ضد اليهود، وما يترتب على ذلك من توقف المانيا عن مد إسرائيل بالسلاح بالمجان وإقصاء الضباط الإسرائيليين الذين يتدربون على هذا السلاح، رفض طلب كل من «جولدا مائير» وزيرة الخارجية ورئيس «الموساد» بقطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا بما أدى إلى استقالة رئيس «الموساد» وبدء توتر العلاقات بين «بن جوريون» ووزيرة خارجيته، وبهذا التصرف زاد شعور التمرد والكراهية لـ «بن جوريون» من قبل شرائح كبيرة من يهود العالم، وفقد الكثير من شعبيته.

(د) **ويذكر معلقون كثيرون** أن من الأسباب التى زادت من ضعف شعبية «بن جوريون» وكانت بمنزلة القشة التى قسمت ظهر البعير «التزامه - بعد استحواذه على جميع مقاليد الحكم - باتخاذ مسلك سياسى تحدى به المصالح الصهيونية فى الولايات المتحدة، بتقربه ومحاولة تعاونه مع محور «باريس/ بون» االذى كان يعملَ لانتزاع الزعامة من الولايات المتحدة على أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وكان هدف «بن جوريون» الحصول على مساعدات فرنسا فى بناء مفاعل ذرى فى «ديمونة» وقد أثار هذا التصرف غضب الحكومة الأمريكية، وكذلك فريقا كبيرا من اقطاب حزب «الماباى» من ذوى الميول الأمريكية. ونتيجة لتصرفات «بن جوريون» رأت الصهيونية العالمية أنه من الصالح العام لأهدافها تأييد المعارضة ضد «بن جوريون» وتحريض أعضاء حزب الماباى.

(هـ) **وتوالت الأزمات المختلفة على «بن جورين»** ومنها صنع العلماء الألمان الغربيين فى مصر صواريخ يصل مداها ثلاثمائة وخمسين ميلا والأسلحة الذرية، والتأزم والخلاف بين القيادات الإسرائيلية وخاصة بين بن «جوريون» و«هالبرين» المؤيد من جولدا مائير، وأستقالة رئيس الخدمة السرية «هالبرين» ذى كان يتزعم الخلاف حول الحملة ضد المانيا الغربية بل ومسألة العلاقات الدبلوماسية معها.. ووجد «بن جوريون »سلطته تهتز بصورة سيئة، وعدم شعبيته تزداد. وبدأ يفكر فى الاستقالة بعد اللطمات التى تلقاها نتيجة لموضوع العلماء الألمان فى مصر، أو فقدان أقرب أصدقائه الثلاثة بالوفاة، أو فضيحة لافون

وانصراف زملائه عنه بل مناصبته العداء صراحة وقد عجل بقراره أزمة أخرى معاصرة، أعتقد - خطأ - أنها من أعظم الأخطار على كيان اسرائيل ونشأت عن توقيع معاهدة الأتحاد الفيدرالى العربى بين مصر وسوريا والعراق، وإعلان وثيقة عربية لأول مرة أن تحرير فلسطين هو الهدف الرئيسى، وقد أنزعج «بن جوريون» كثيرا كما كان يفزع دائما منذ إقامة الدولة هذا الأتحاد الفيدرالى العربى، فقرر أن الهجوم أحسن خط للدفاع، فشن هجوما دبلوماسيا موجها رسائل لرؤساء الدول التى تقتنع باخطار هذا الأتحاد الفيدرالى العربى مكررا حرص إسرائيل على السلام، وطلب مناشدة الدول العربية فى الدورة القادمة للأمم المتحدة أن توقع مع إسرائيل معاهدة سلام. كما طلب من روسيا والولايات المتحدة أن تصدر إعلانا مشتركا يضمن حدود كل الدول فى الشرق الأوسط وأمنها. وفى رسالته للرئيس كيندى أبدى استعداده لزيارة سرية إلى واشنجتن لشرح خطورة الموقف، وعارض كيندى اقتراح بن جوريون باصدار اعلان مشترك وزيارته لواشنجتن، ولم يسلم بن جوريون بالهزيمة فكتب إلى كنيدى ثانية يوجز خطة أخرى يقترحها، أولها معاهدة دفاع بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وثانيها كميات ضخمة من الأسلحة الأمريكية ترسل إليها لتحفظ التوازن مع الامدادات الروسية لمصر، وثالثها خطة لنزع سلاح جميع دول الشرق الأوسط.

وفى رسالة له إلى «ديجول» قال أنه يتلهف أساسا على تجنب الحرب مع العرب، ولا يمنع الحرب سوى تحالف عسكرى بين فرنسا وإسرائيل، وذلك ما اتبعه «بن جوريون» ومعارضوه السياسيون بعد سنوات.

وبدأت الردود على رسائله تصل، وكلها تخذل «بن جوريون»، فلم ير أحد فى الاتحاد الفيدرالى العربى تهديدا جديا لاسرائيل، ولم تعلق بريطانيا أهمية لتهديدات العرب معتبرة اياها مجرد كلام. وأومأت الولايات المتحدة إلى أن مثل هذه التهديدات قد وقعت كثيرا من قبل، وأنها لن تسمح بأى انتهاك لسيادة اسرائيل أو حقوقها الاقليمية.

ولم ير ديجول ضرورة لتحالف عسكرى بين البلدين، فليس هناك خطر كبير بين العرب واسرائيل ويجب ألا تؤخذ تهديداتهم بجد.

كانت الردود على حق، اذ كان عمر التحالف الفيدرالى العربى قصيرا. وكان بن جوريون قد اتخذ قراره النهائى، حتى قبل وصول كل الردود على رسائله بالاستقالة فى ١٦ يونيه ١٩٦٣ . وكان قراره هذا بعد تفكير وتقدير. ولكن ابتهج المعارضون ورفعوا رؤوسهم ثانية، وأحس الجميع أن هذا القرار الذى لم يكشف أسبابه هذه المرة نهائى، وأن هذا الرجل الحديدى قد قصمته قضية لافون، زاهدا فى حكم البلاد. كان الاعتزال تعبيرا عن جرح كبير، وإن احتفظ بالأسباب الحقيقية لنفسه، وكل ما قاله: «لقد استقلت لأسباب شخصية».

وقد خسر المعركة قبل أن تبدأ، فكانت استقالته المفاجئة بمثابة الضربة التى قضت على السياسة والمبادئ التى وضعها هو بنفسه.

وكان المستفيدون الوحيدون من رحيله هؤلاء الذين تمردوا عليه من قادة الحرس القديم وخصومه فى الأحزاب الأخرى، وعلى رأسهم «جولدا مائير».

وقامت «معركة الأجيال» فى إطار حرب «بن جوريون» الخاصة على الظلم المفضوح للجنة السبعة، واستدارت الصحافة والرأى العام

و «الماباى» فحاصروه وأطلقوا عليه «الهرم» و «المجنون» وثبت تصلبه لكنه كان عاجزا عن اقناع الجماهير.

وفى أواخر عام ١٩٦٤ وضع «بن جوريون» أمام الحكومة نتائج تحرياته الشخصية فى «ظلم لجنة السبعة»، وكانت الحقائق الجديدة التى توصل إليها تضئ وتجسم تقنينا رسميا للتحريات، وكان وزير العدل من هذا الرأى، لكن «أشكول» رفض، لأن إعادة فتح القضية خليق أن يحرج لجنة السبعة التى كان يترأسها هو نفسه عندما تسترت على عيوب لافون عام ١٩٦٠ وأخطائه.

وارتكب «بن جوريون» غلطة أخرى فى مؤتمر «الماباى» عام ١٩٦٥ إذ رجاه العديد من مؤيديه أن يعلن عن استعداده لتقلد المنصب ثانية، وكانوا موقنين بقدرتهم على الحصول سويا على أغلبية لصالحه، فإذا عمل ذلك استطاع انجاز هدفه بتكوين لجنة تحريات ومنع العودة إلى الأساليب الحكومية القديمة، ولكن «بن جوريون» بعناده رفض الإصغاء اليهم.

ثم أعقب ذلك المسلك الأليم من زملائه ورفاقه السابقين أن يتكاتفوا لتحطيمه واهانته والقضاء على أسطورته، حتى «شاريت» الذى كان يحتضر جاءوا به من المستشفى لاتهام الرجل الذى أخرجه من السلطة، وفى اليوم نفسه ارتدت «جولدا مائير» ثياب الحداد من الرأس حتى القدمين، وشنت هجوما لاذعا على «بن جوريون» واتهمته فى عبارات جارحة لم يسمع مثلها من قبل فى مؤتمر «الماباى» فما كان من بن جوريون الا أن غادر القاعة، وفى اليوم التالى تخلى «الماباى» عن قائده الاسطورى.

ثم شكل «ليفى أشكول» حكومته الجديدة وكانت نهاية حقبة أوعهد.

وهكذا انتهت أسطورة «بن جوريون» وحياته السياسية الرجل الذى أقام دولة اسرائيل بالسيف والدم والنار والذى اعتبره ابناء «الصابرا»(١) نبيا مسلحاً.

(١) أبناء المهاجرين المولودين فى فلسطين.

الفصل الرابع

"الصابرا"

ملحق:

الصابرا "SABRA"

كلمة «صابرا» تطلق على الجيل الجديد الذى ظهر فى «اليوشيف» أى بين يهود فلسطين قبل ١٩٤٨ فهى تطلق على كل يهودى ولد فى فلسطين. وقد دعوا بالصابرا تشبيها بثمرة الصبر.

ومعظم الجيل الجديد ـ الصابرا ـ لايهتم كثيرا بالصهيونية، ويرى أنها نتاج عقلية «الجيتو»، أو الأقلية الدينية المضطهدة فى «الشتات». ويصف «يورى أفنيرى» وهو مفكر اسرائيلى معتدل يدعو إلى توحيد المنطقة المحتلة من فلسطين فى ١٩٤٨ مع قطاع غزة ومع ضفتى الأردن الغربية والشرقية فى دولة واحدة تدعى «اتحاد الأردن» وتكون الدولة اتحادية علمانية تعطى الحرية الدينية لجميع الأديان ـ يصف «يورى» الصابرا بقوله ، إن الاختلاف بين الأب الصهيونى والابن الصهيونى أكثر من مجرد اختلاف بين جيلين، إنه طفرة، وإن الاختلاف فى الحياة والطعام والطقس والتقاليد السياسية والبيئة الاجتماعية تجعل الابن المولود فى «إسرائيل» يختلف عن أبيه الذى

ولد فى «الجيتو» لقد أصبح الشاب الإسرائيلى فى أوروبا أو أمريكا يتعود على أن يسمع هذه العبارة : «ولكنك لا تبدو كيهودى!» وهذه العبارة فيها نوع من الحقيقة. إن الصابرا اليهودى يختلف عن أجداده مثلما يختلف الاسترالى أو الأمريكى عن أجداده الأنجليز . إن الثقافة اليهودية التى خلقت فى «الشتات» بواسطة أقلية دينية مضطهدة لا تجد صدى فى نفوس الجيل الجديد الذى يبالغ فى اظهار حريته. والدين اليهودى الذى يعتمد أساسا على التلمود «والهاسكالا» . وهما «نتاج الشتات» تحول إلى شعارات حزبية فقط. أما التوراة. أقوى كتاب فى الأدب العبرى فقد ارتفعت مكانته وشعبيته فى إسرائيل.

والمهم الآن أن الصابرا فى لغتهم العبرية العامية أصبحوا يستعملون لفظة يهودى (Jewish) عندما يعنون اليهود خارج إسرائيل. أو عندما يقصدون المهاجرين الجدد. أما عندما يتكلمون عن أنفسهم فإنهم يصفون أنفسهم بالعبريين (Hebrews) . وهكذا أصبحت الوطنية العبرية حقيقة فى نظرهم قبل أن يبدأ أحد فى التصريح بوجودها على أسس عقائدية.

وحتى نفهم أهمية هذه النقطة لابد وأن نتطرق إلى معنى لفظتى «يهودى» و«عبرى». كانت كلمة عبرى قبل السبى ترد فى كلام اليهود عن أنفسهم حين يريدون أن يفرقوا بينهم وبين الشعوب الأخرى. ثم تغير مدلول اللفظة بعد سبى الأسباط العشرة (مملكة إسرائيل) إلى نينوى ولم يبق سوى سبطى يهوذا وبنيامين. أما الأسباط الأخرى فتفرقت بين الشعوب . وسمى الشعب «يهودا» نسبة

إلى السبط الأقوى. وبطل استعمال لفظة عبرانى التى كانت تدل على كل الشعب واكتسبت معنى جديدا. وبعد التشتت فى القرن الثانى الميلادى أصبحت كلمة عبرى تدل على اليهود المقيمين فى فلسطين واليهود الذين غادروا فلسطين الذين حافظوا على لغتهم وعاداتهم القديمة. أما اليهود الذين انتشروا فى العالم وأهملوا لغتهم وعاداتهم وكذلك الدخلاء على اليهودية فكانوا يسمون يهودا فقط . ونسى اليهود اسمهم الأصلى «عبرى» وأصبح لفظ يهودى يطلق على أتباع الدين اليهودى. ولهذا سميت لغتهم باللغة العبرية لا اللغة اليهودية.

وهكذا فإن هذا الاتجاه بين الجيل الجديد فى إسرائيل يدل على إحياء النعرة القومية القديمة عند اليهود. ونحن نعرف أنهم ينظرون إلى أيام ما قبل السبى على أنها عصرهم الذهبى. وقد ظهرت فى إسرائيل حركة تدعى بحركة «كنعانيى القرن العشرين» تطالب بإحياء الحضارة الكنعانية القديمة. ولهذا فإن معظم الصابرا اليوم لا يهتمون بالقومية اليهودية ولا بالدين اليهودى بقدر ما يهتمون بجذورهم الكنعانية.

ويذكر أحد زعماء الصابرا فيقول «نحن إسرائيليون وسنخلق نوعا جديدا من اليهودية، يهودية تناسبنا . نحن لنا جذور فى إيمان أبائنا ولكن معظم هذا الدين كتب عندما كنا مشتتين ومتفرقين، ولكننا الآن أمة وربما يجب علينا أن نعيد بناء ديننا ليوافق هذه لأيام.

ويرى مؤلف آخر أن جيل الصابرا حرم من الثقافة الحقة والتهذيب فيقول: «إن اللقب ـ الصابرا ـ يؤكد رفض الأخلاق التى تتصف بالرقة واللطف وسعة الأفق التى كان يتميز بها اليهودى

العـالمى «The Cosmopolitan Jew»، وأخلاق هذا الجيل هى رد فعل قوى له أمثلة كثيرة فى العالم. فالصابرا معروف أنه مشبع بفكرة الاعتماد على النفس وليس لديه شعور بالتعاطف مع غيره، كما يرفض أن يتقبل هذه المشاعر من أى شخص كان. وإسرائيل ليست الدولة الوحيدة التى تنمى هذه الفكرة القائمة عن الرجل المثالى، فالشاب الإسرائيلى الذى ينتمى للصابرا يمكن مقارنته بالشاب البروسى أيام مجد بروسيا العسكرية. وله الآن أمثال كثيرون فى جنوب أفريقيا . إن الصابرا فى إسرائيل هى رمز الوطنية، ويتساءل المؤلف هل هذه هى نهاية الصهيونية وهدفها النهائى أن تخلق جيلا يتصف بهذه الصفات.

ويحق للمرء أن يسأل هل كل «الصابرا» فى فلسطين المحتلة متفقون فى المثل والآراء والأهداف، ويجيب مؤلف «كتاب الولايات المتحدة وإسرائيل» عن هذا السؤال بقوله: إن أهمية عدد الصابرا أقل مما تظهره النسبة والأعداد. لأنه فى عام ١٩٦١كان حوالى ٧٠ ٪ من الصابرا عمرهم أقل من الخامسة عشرة. وبالنسبة لعمرهم ولأنهم أبناء مهاجرين حديثين فإنه لا يوجد اتفاق عام بينهم، والمهم فى الأمر أن أكثرهم ينحدرون من عائلات شرقية ويتبعون طرق والديهم فى المعيشة وليس طرق الصابرا الذين من أباء أوروبيين. فالصابرا الوطنى أى المولود فى فلسطين من أباء مولدين فى فلسطين، نوع جديد من اليهود، وجيل يتصف بصفات لا تنطبق على الصابراالذى ينحدر من عائلات هاجرت من الخارج . لأن الصابرا الذى من أصل أوروبى حاول أن يثور على تصرفات الجيل

الذى سبقه فى «الشتات» ولكنه مع كل ثورته يتصرف بطريقة موحى بها من تجارب ذوية فى مدن أوروبا .

وبعبارة أخرى فإن أبناء «الرواد» الأوائل يختلفون عن أبناء اليهود الشرقيين من العراق واليمن، لأن رد الفعل عند الصابرا الذى ينحدر من أصل أوربى هو ضد الاضطهادات والتجارب التى مرت بوالديه والذى لم يجربها هو أبداً.

أما الصابرا الشرقى فإن رد الفعل عنده عادة ما يكون ضد التفرقة بين الأوروبين والشرقيين داخل إسرائيل نفسها.

والمؤلف نفسه يعاود القول ويرى أن هذه الاختلافات ربما لن تدوم كثيرا. لأن خطة الدولة هى صهر المواطنين الإسرائيليين فى بوتقة واحدة بواسطة البرامج التعليمية والتربوية وبواسطة الخدمة العسكرية حيث تلتقى جميع الفئات ويوجد بينهم هدف واحد وخطر واحد. وأشهر شخصية فى إسرائيل من فئة الصابرا هى شخصية موشيه ديان. أما بن جوريون فمع أنه ليس من الصابرا إلا أن هذه المجموعة من الإسرائيليين تعتز به وتعتبره واحدا منها كما تعتبره مثلها الأعلى ونبيها المسلح.

القسم العاشر

قبل حرب يونيه ١٩٦٧

تمهيد :

الفصل الأول:

الأوضاع الإسرائيلية قبل حرب يونيه ١٩٦٧

الفصل الثاني:

الأوضاع العربية قبل حرب يونيه ١٩٦٧

الفصل الثالث:

الظروف الدولية قبل حرب يونيه ١٩٦٧

تمهيد:

حرب الأيام الستة:

فى بداية مايو ١٩٦٧ تنبأت جميع المصادر الإسرائيلية والغربية بأن «الهدوء غير المستقر» والذى دام عشر سنوات سيستمر إلى أجل غير محدود، وكان هناك سلام نسبى على ثلاثة حدودمن خطوط الهدنة، وغارات الفدائيين من سوريا تواجه بوسائل دفاعية أو فى الحالات المستعصية بالثأر على مستوى محدود. ولن يدعو عبد الناصر لحرب من غير المحتمل الانتصار فيها. ولم يصل العداء الإعلامى السورى إلى مشاغبات عسكرية، وليس لأحد من القوات الكبرى أى هدف أو مصلحة فى مواجهة ضخمة تضع ضماناتهم ووعودهم تحت الاختبار، فكان الشيئان اللذان بديا غير محتملى الوقوع هما الحرب والسلام.

وربما كان العدوان غير العادى من كل من مصر وسوريا فى سنة ١٩٦٧ مدفوعا بالشعور القائل: «الآن أولا إلى الأبد». فصلابة إسرائيل الدولة ودوامها كانا يعمقان الجذور ويزداد الاعتراف بها

عالميا، فإذا أريد منع الاستقرار النهائى، فلابد من تحد حاسم سريع وقدجاءت البداية هذه المرة من نظام البعث الثورى فى سوريا ، والذى يعتمد على مؤازرةسوفيتية غير جدية. فبينما كانت الحدود مع مصر ولبنان هادئة، وأظهرت الأردن بعض الاهتمام تجاه حل نهائى، قامت سوريا بإيواء وتدريب عصابات الفدائيين للتسلل إلى إسرائيل، وأبقت قواتها فى أعالى الجولان، ومستوطنات الجليل الأعلى فى اعتداء دائم، وأدت المقاومة الإسرائيلية إلى خسائر ضخمة لدمشق، خاصة فى السلاح الجوى، حيث كانت الطائرات السورية تسقط فى سهل الجليل أو أى مكان آخر كلما واجهتها مقاتلات إسرائيل، وأتجهت سوريا إلى موسكو للمساعدة، ولكن الاتحاد السوفيتى الذى كان غير راغب فى مواجهة مع الولايات المتحدة حول المسئولية للقاهرة. وفى مايو سنة ١٩٦٧ أعطى متحدث سوفيتى لمصر معلومات زائفة عن تجمعات عسكرية إسرائيليةمختلفة على الحدود السورية وطلب من القاهرة مساعدة سوريا.

وفى خلال ثلاثة أسابيع تغير الموقف. ركب عبد الناصر المخاطر فى خطوات متسرعة جريئة، فجمع جيشا من ثمانين ألف جندى وتسعمائة دبابة فى سيناء، وأعلن كذبا أن إسرائيل قد حشدت الجنود لاعتداء كبير على سوريا، متجاهلا ما أقره مراقبوا الأمم المتحدة من سيناء وغزة ومدخل خليج العقبة. وفى ٢٢ مايو أعلن أغلاق الخليج، وتبريرا لهذا العمل العدائى ألقى خطابا حماسيا أجاب إلى الأبد على السؤال: «من المسئول عن حرب ١٩٦٧»؟.

الفصل الأول

الأوضاع الإسرائيلية
قبل حرب يونية ١٩٦٧

مقدمة

كانت حرب ١٩٦٧ أحد أكبر العلامات فى تاريخ مصر وتاريخ الأمة العربية ويكفى للدلالة على ذلك القول بأننا لازلنا نعيش حتى الآن نتائج هذه الحرب التى غيرت من الخريطة السياسية والاجتماعية والعسكرية فى الشرق الأوسط.

وقد تناقضت أقوال المحللين عسكرين كانوا أم سياسيين حول هذه الحرب إلا أن معظمهم تناولها باستخدام الأسلوب الإسطورى الذى يعمد إلى المبالغة وإغفال الحقائق والتركيز على سمة واحدة يعنيها وهى الانتصار والهزيمة دون النظر إلى حقيقة هذا الأمر وهو ما أطلقنا عليه عالم التفوق التكنولوجى الأمريكى والخلل العربى والذى سيتضح من خلال شرح الأسباب والأهداف.

وقدحوصنا على أن تكون تغطية هذا الحدث الضخم تغطية موضوعية ضمت تحليلات العرب والأجانب على حد سواء وأن يصبح تسلسل الحدث منطقيا بحيث بدأنا بالظروف المؤدية للحرب وهى ظروف إسرائيلية وعربية ودولية ثم انتقلنا إلى الحرب نفسها

يوم بيوم مع التعليق وأعتبرنا أن شهر مايو يدخل فى نطاق هذه الحرب والتسويات واعتبرنا المباشرة مثل القرار ٢٤٢ يدخل فى زمن وفترة الحرب نفسها. وأخيرا تعرضنا لرؤية عامة للحرب لتوضح الرؤية من خلال الأهداف والأسباب والنتائج مع أعطاء نظرة خاصة لحرب الاستنزاف وهى تعتبر امتدادا لحرب عام ١٩٦٧ ونتيجة لها فى نفس الوقت.

الظروف المؤدية لحرب ١٩٦٧:

الأوضاع الداخلية فى إسرائيل:

(أ) الانقسام الحزبى:

حدث انقسام داخل حزب ماباى - حزب بن جوريون - فى عامى ١٩٥٩ - ١٩٦٠ وكان بن جوريون يحاول إقامة دكتاتورية تستند إلى قوة أنصاره من العسكريين وإلى وزنه الشخصى التاريخى وإلى التلويح بالمخاطر التى تهدد إسرائيل من الدول العربية وخاصة من الجمهورية العربية المتحدة ومن سوريا . وقد برزت سياستان فى هذه المرحلة: أحدهما متطرفة بزعامة بن جوريون ورجال الجيش والمخابرات. وعلى الجانب الآخر وقفت مجموعة أقل تطرفا تضم لافون وأشكول وزعماء الهستدروت.

وقد أثارت مجموعة «بن جوريون» فى سبتمبر ١٩٦٠ ما أسموه بفضيحة لافون فى محاولة لاضعاف معارضى «بن جوريون» ومجموعته داخل الماباى. وتتصل فضيحة لافوون بالأعمال

الإرهابية والتجسسية بالقاهرة عام ١٩٥٤ والتى قامت بها المخابرات الإسرائيلية وكان «لافون» وزيرا للدفاع وقتئذ وأصبح وقت إثارة الأزمة السكرتير العام للهستدروت، وقد ألقى عليه «بن جوريون» اللوم لفشله فى هذه العملية بهدف إزاحته من موقفه الرسمى والحزبى، إلا أن اللجنة الوزارية التى انيط بها تقصى الحقيقة قامت بتبرئة لافون وهو أمر أعتبره بن جوريون تحديا شخصيا له وقدم لذلك استقالته لتهديد معارضيه.

وقد اتسمت سياسة بن جوريون وحكومته ومجموعته بالمغامرات العسكرية وزيادة اعتماد إسرائيل على المعونات الخارجية.

وبدأ نجم «ليفى أشكول» يلمع بزعم اعتداله، وفى منتصف ١٩٦٣ حاول «بن جوريون» تدعيم مكانته داخل الكنيست وتكوين نظام شمولى على النحو الذى اشرنا إليه، إلا أنه لاقى معارضة من حزبه بالإضافة إلى مواجهة مظاهرات عمالية وشعبية غاضبة لسوء الحالة الاقتصادية فى عامى ١٩٦٢ / ١٩٦٣ ، ونتيجة لذلك قدم بن جوريون استقالته فى يونيو ١٩٦٣ ودعى ليفى اشكول لتكوين حكومة أئتلاف وطنى .

وقد أقفل أشكول ملف لافون عام ١٩٦٤ لرغبته فى صيانة وحدة الحزب والحكومة ووجه خطابا إلى لافون دعاه فيه للعودة إلى الحزب هو وأعوانه. وقد استقال بن جوريون من الحزب فى أغسطس ١٩٦٥ .

طوال عامى ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ استمرت معاناة الشعب الإسرائيلى بسبب سوء الأحوال الاقتصادية وزادت موجات الإضراب بشكل واضح.

وقد أدت هذه العوامل الحزبية والاقتصادية السيئة إلى استغلال عامل التوتر فى الشرق الأوسط نتيجة بقاء المشكلات دون حل ونتيجة التصعيد الإسرائيلى المستمر اعتمادا على التأييد الأمريكى والغربى.

(ب) تعثر ونهاية بن جوريون:

فى ٢٥ / ١٢ / ١٩٦٠ أعلنت «لجنة السبعة» ما توصلت إلى من براءة «لافون»، وبهذه البراءة اتجهت أصابع الاتهام إلى «بن جوريون» وأعوانه العسكريين الذين اتهموا لافون بأنه لطخ سمعة الجيش وأن اللجنة تجاوزت حدودها وتصرفت كمحكمة مع أنها كلفت بمهمة محددة وهى تقرير الخطوات الواجب اتباعها، وليس إصدار حكم فى القضية.

ومن أجل هذا قدم بن جوريون استقالته فى نهاية يناير ١٩٦١ احتجاجا على قرار اللجنة السباعية «المشوه للعدالة»، ولم ير حزب «الماباى» حلا للمشكلة إلا إقالة «لافون». من الحزب، وذلك فى اجتماع اللجنة المركزية فى ٤ فبراير، ولم يحضر الاجتماع طرفا الخصومة «لافون» و«بن جوريون» وكانت نتيجة التصويت ٥٨ لبن جوريون و ٤٦ للافون، وعقب أحد الأعضاء بأن التصويت ضد لافون لا يتسم بالعدل والأخلاق وأنه خضوع للدكتاتورية.

ومع أن «بن جوريون» كسب الجولة إلا أنه خسر حياته السياسية، فقد قامت ضده مظاهرات طلابية ورفعت لافتات كتب عليها «اذهب إلى سدى بوكر وخذ ديان وبيريز معك، لانريد قادة دون ضمائر».

وهكذا هدم لافــون ولأول مــرة صــورة الأب الروحى للوطن اليهودى، وكان «بن جوريون» قد أعلن عندما استقال أن «قرار اللجنة السباعية لاغ لاستقالة الحكومة»، إلا أن الكنيست رد عليه فى اجتماع طارئ عقد فى يوليو ١٩٦١ بأن «استقالة الحكومة أو أحد وزرائها، لا يلغى قرارات الحكومة المتخذة سابقا وذلك بالإجماع، ولم يصوت على القرار أعضاء حزب «الماباى» فى الكنيست لا نسحابهم.

وهكذا بقى «لافون »فى نظر الكنيست والشعب بريئاً رغم طرد حزبه له تحت تهديد «بن جوريون» ورأى الشعب فى طرد لافون عملا انتقاميا لأن لافون تجرأ على تحدى بن جوريون ومهاجمة الجيش. وتوالت المصاعب الداخلية تواجه بن جوريون الذى حاول أن يشكل حكومة جديدة ولكن لم يتجاوب معه أى حزب ورفضت الأحزاب الاشتراك معه بعد طرد «لافون»، وازدادت الثورة وضوحا ضده حتى أنه أراد أن يتقاعد إلا أن حزبه رفض حتى القادة الكبار مع أنهم استغلوا قضية لافون لكسر شوكته وأصدقائه الصغار.

وبعد قيامه بزيارات لبعض الدول ـ أمريكا وكندا وبريطانيا وفرنسا ـ كرئيس للحكومة الانتقالية، عاد إلى إسرائيل ليحذر الناخبين ويدعوهم للاهتمام بمن ينتخبون، أما الأحزاب الأخرى فقد اتخذت مشكلة لافون شعارا لها وناشدت الناخب ألا يعطى صوته لرجال عديمى المسئولية لا يتورعون عن جر إسرائيل فى مغامرات فاشلة.

وقد علق أحد الصحفيين فى مجلة «جويش كرونيكل» قائلا: «إنه من الصعب على من لا يفهم حقيقة الأمور فى إسرائيل، أن يفهم كيف هزت قضية لافون الرأى العام، ولو حدثت الانتخابات مباشرة

لخسر حزب الماباى خسارة فادحة، ولكن بعد ستة أشهر لم يخسر إلا خمسة مقاعد من ٤٧ مقعدا، وأما بن جوريون فقد وصف هذه الانتخابات بأنها مصيبة قومية.

بعد أن ظهرت نتائج الانتخابات فى أغسطس ١٩٦١ طلب بن جوريون أن يشكل حكومة جديدة وواجهته صعوبات فى تشكيلها لأن الأحزاب لم تكن متحمسة للدخول معه، وطالبت بعض الأحزاب فى الكنيست بتشكيل إدارة أمن وطنية لمراقبة المنشئات الدفاعية والمشاريع العسكرية، كما طالبوا بزيادة الرقابة المدنية على الجيش، وكانت الأحزاب قد استنتجت من هذه المشكلة الحقاق التالية:

أولاً: أن أصحاب المناصب العليا فى وزارة الدفاع وفى الجيش يستطيعون تمويه أو تغطية عمل وزير الدفاع الذى لا يوافقون عليه، وأن باستطاعتهم دفعه لتقديم استقالته .

ثانيا : أظهرت مشكلة لافون أنه بالأمكان القيام بعمليات تخريب وتجسس دون الرجوع إلى سلطة الوزير العليا.

ثالثا: ظهر للعيان أنه لمدة سنوات كان من المعترف به أن وزير الدفاع باستطاعته أن يأمر بعمليات عسكرية ممكن أن تورط الدولة ككل دون الرجوع إلى الحكومة أو أى سلطة أخرى.

إلا أن هذه الأمور والمشكلات لم تظهر عندما كان بن جوريون يشغل منصب وزير الدفاع لعلاقته بالعسكريين، ولهذا طالبت بعض الأحزاب بإدارة وطنية للإشراف على المشاريع العسكرية.

ومع كل هذا فقد استطاع «بن جوريون» أن يشكل حكومة أئتلافية جديدة حيث جاءه الخلاص من الأحزاب الدينية الأرثوذكسية الذين

وقفوا مع «بن جوريون» كى يعطيهم الحرية فى التدخل فى تصرفات الأشخاص وكان الدين يفرض فرضا.

وأما الحزب الخارج عن الكتلة الدينية والذى دخل الوزارة فقد كان حزب «أحدوت ها أعفودا»، اشترك بعد أن تنازل «الماباى» ووافق على تكوين لجنة وزارية لمراقبة الدفاع، «لجنة» وليس مجلس إدارة كما كان الطلب، ومع ذلك فقد ترأس بن جوريون نفسه هذه اللجنة ، وهكذا عاد بن جوريون للحكم لينفذ الخطط التى مازال عليه تنفيذها، وأما لافون فقد أخذ يستعد لجولة أخرى يغريه فى ذلك أن قسما كبيرا، من يهود فلسطين - الصابرا - اعتبره شهيد مؤامرة الجيش وضحية لبن جوريون.

نهاية بن جوريون السياسية فى حكم إسرائيل:

توالت الأزمات المختلفة على «بن جوريون» ومنها:

(أ) صنع العلماء الألمان الغربيين فى مصر صواريخ يصل مداها إلى ثلاثمائة وخمسين ميلا.

(ب) التأزم والخلاف بين القيادات الإسرائيلية وخاصة بين «بن جوريون و «هالبرين» رئيس المخابرات المؤيد من «جولدا مائير» وانتهى باستقالة «هالبرين» المتزعم الحملة ضد ألمانيا الغربية ومسألة العلاقات الدبلوماسية معها.

(جـ) اهتزاز سلطة «بن جوريون» بصورة سيئة، وفقدانه لشعبيته الذى تزايد بعد إعادة التحقيق فى قضية «لافون».

(هـ) فضيحة لافون.

(و) انصراف زملائه عنه ومناصبته العداء صراحة.

فكان أن اتخذ قراره النهائى بالاستقالة بعد تفكير وتقدير، وأحس الجميع أن هذا القرار الذى لم يكشف عن أسبابه هذه المرة نهائى، وأن هذا الرجل الحديدى قد قصمته قضية «لافون» فزهد فى حكم البلاد، وكان اعتزاله اعتزال رجل جرح كثيرا، وإن احتفظ بالأسباب الحقيقية لنفسه، وكل ما قاله «لقد استقلت لأسباب شخصية».

استقالة بن جوريون من الحكم:

فى ٢٦ / ٦/ ١٩٦٣ استقال بن جوريون من منصبه وذهب إلى مستعمرة «سدى بوكر» فى النقب رغم محاولات جميع زملائه ثنيه عن ذلك ولكنه رفض دون أن يذكر الأسباب التى دعته للاستقالة، غير أن المعلقين رأوا أن الأسباب الرئيسية للاستقالة ترجع إلى:

١- أن مشكلة «لافون» كانت السبب الأول فى استقالته.

٢- أن هناك أسبابا أخرى ثانوية أهمها:

(أ) مشكلة العلماء الألمان فى الجمهورية العربية المتحدة والعلاقات الإسرائيلية الألمانية.

(ب) موقف اليهود الأمريكيين والإسرائيليين الموالين لأمريكا بعد أن اتجه إلى محور باريس بون.

أما مشكلة العلماء الألمان فقد بدأت بحادثة القبض على إسرائيليين فى «زيورخ» بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٩٦٣ كانا يهددان ابنة أحد العلماء

الالمان العاملين فى مصر وأخذت الصحف تهاجم العلماء الألمان وتصفهم بـ «النازيين» وتظهر الخطر الذى يهدد اسرائيل من جراء وجودهم فى الجمهورية العربية المتحدة، وتمهد إلى أن الاسرئيليين معذورون بالالتجاء إلى أى طريقة للدفاع عن أنفسهم، وخشى بن جوريون من هذه الحملة لأنه لايريد أن يوقظ أويثير العداء اليهودى ضد المانيا التى أعطتهم مؤخرا أسلحة بالمجان، كما كان فى ألمانيا ضباط إسرائيليون يتدربون على السلاح، وطالب رئيس المخابرات الاسرائيلى، «وجولدا مائير» وزيرة الخارجية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا، ولكن بن جوريون رفض فاستقال رئيس المخابرات. وأصبح الشعور العام ضد «بن جوريون» من جراء تصرفه فى هذه المشكلة، كما توترت علاقته مع «جولدا مائير» وبذلك أضاع المزيد من شعبيته خاصة وأن معظم زملاؤه الكبار اتخذوا ضده موقفا عدائيا بسبب مشكلة «لافون».

ومن أسباب استقالته ايضاً التزامه فى السنوات الأخيرة خطا سياسيا متحديا به المصالح الصهيونية فى أمريكا، وذلك عندما قام محور بون - باريس يعمل على نزع يد أمريكا وزعامتها عن أوربا، ففى ذلك الحين راح «بن جوريون» يلتصق علنا بذلك المحور ويحاول ربط اسرائيل به وذلك كى يحصل على المساعدة الذرية. وأثار تصرف بن جوريون الذى يتسم بالتحدى للمصالح الأمريكية سخط الحكومة الأمريكية. وغضب فريق كبير من أقطاب حزب «الماباى» من ذوى الميول الأمريكية. وأوفد اليه الرئيس الامريكى «جون كنيدى» وفودا تطالبه بمراعاة المصالح والمقدرات الامريكية، وكان

رد «بن جوريون» أنه يريد مقابل ذلك عقد معاهدة عكسرية مع اسرائيل تلتزم فيها امريكا بالدفاع عن إسرائيل فى حالة الحرب مع العرب، كمالم يأبة «بن جوريون» لوساطة القادة الصهونيين فى أمريكا. وكان نتيجة لتصرفاته خارج الحزب وانفراده بتقرير الامور داخل الحزب واختياره فريقا من أنصاره لأ عدادهم للقيادة من بعده ان رأت الصهيونية العالمية تأييد معارضيه فى حزب الماباى وساعدت على ابعاده واعوانه من الحكم وتعيين «ليفى اشكول» رئيسا للحكومة.

تعليق على نهاية «بن جوريون» (فى الحكم):

أن استقالة بن جوريون المفاجئة كانت أكبر غلطة فى حياته السياسية، إذ كان عليه أن يتصرف وكأنه قائد أدى رسالته ويفسح المكان للجيل الصاعد، ولكنه ترك مكانه دون ان يضع مؤيديه فى مراكز القوة، وبذلك استفاد من استقالته قادة الماباى كبار السن وعلى رأسهم جولدا مائير، ومعارضوه فى الاحزاب الاخرى. ولقد نجح القادة الكبار فى الاتحاد مع قادة« احدوت هاعفودا» الصغار، وهم الورثة المنتظرون للكبار الذين كسبوا الجولة.

وهكذا انتهت معركة الاجيال باستقالة بن جوريون، والرأى العام الاسرائيلى ضده لاصراره على الطعن «بعدل اللجنة السباعية» وأخذت الصحافة تلقبة بالمخرف والمجنون، وهو الذى كرس حياته لخلق إسرائيل وجمع اليهود بعد الشتات.

وكانت أهم أعمال بن جوريون هى تشكيل واعداد قوة دفاعية. صارت بعد ذلك جيشا إسرائيليا متحفزا وبعد ذلك باشر مهامه

كرئيس وزراء تفرغ لإرساء قواعد الدولة على أساسا قانونى من سياسة الدفاع إلى شئون العلم والتربية وقواعد اللغة العبرية والتاريخ والتوراة التى كان مغرما بها ليوازن بين قصوره فى الكفاءة المتخصصة. وقد شغل بن جوريون من الضمير الوطنى مساحة أكبر مما يتطلبه منصبه فصار تكوينه الجسمانى القوى المتفجر رمزا لخصائص إسرائيل الجديدة فى عهد ليس فيه وقت للشك، وطابعه هو السرعة، وتمتع بالثقة خاصة بين شباب الأمة والناخبين أيضاً ورغم كل حبهم امتنعوا عن إعطائه أغلبية كاملة لأى حزب قائد، فقد كان هناك شعور بأنه سيعمل كل ما يمكن بأى سلطة يمنحها، وكذلك ينبغى ألا يعطى أكثر من اللازم.

٣ - وفى قيادته لسياسة إسرائيل الدولية كان تصرفه واقعيا فقد كان عنده وقت فقط للمحاولات التى تعد بنتيجة سريعة ومفيدة. فعالج مشكلة العرب بإهماله لها وركز اهتمامه على القوى العالمية التى كانت على الأقل فى نظره يمكن الاعتماد عليها لتقوية إسرائيل.

وخلف تصرفاته ذكاء خارق ولباقة حادة أمداه بتقدير واقعى ومعقول لطاقات إسرائيل. ففى سنة ١٩٤٩ انسحب من شمال سيناء بدلا من مواجهة مقاومة بريطانيا واستياء أمريكا. ودخل عملية سيناء سنة ١٩٥٦ بعد فترة من الحذر، وبعد أن حصل على ضمانات ضد أى هجوم جوى على المدن الإسرائيلية. وبعد يومين من إعلانه أن إسرائيل لن تتخلى مطلقا عن المنطقة المحتلة ولن تسمح لأى جنود أجانب بدخولها أعلن انسحاب إسرائيل لتحل محلها قوات الأمم المتحدة، فبعد أن طلبت

الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الانسحاب فلم يجدبدا من الإذعان مواريا بشكل ما ليعطى تراجعه مظهرا انتصاريا بما يحقق أن يغفر له الشعب أخطاءه، وقد مكنته سلطاته فى الشئون الداخلية من حرية المناورة.

٤ - وقد كان «بن جوريون» فى حالة عزلة عن معاصريه من قيادة حزب العمال وصار يضيق بالبرلمان ولا يكترث بروتين الحكومة. وبعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا كتب ما يفيد شكوكه فى استمرارية الوحدة. وفى صبيحة أحد أيام يونيه ١٩٦٣ يستقيل فجأة. ويوصى أن يتولى «ليفى أشكول» وزير ماليته الذى أساء إلى بن جوريون كثيرا من بعد.

وقد أثبت أشكول أنه قادر على ملائمة الخلاف داخل حركة العمال (الماباى) التى ساعد على توحيدها وعلى زيادة ثقل الحكومة.

وعلى الرغم من أن «بن جوريون» كان مترددا فى دخول حرب الأيام الستة إلا أنه أظهر واقعيته القديمة بعد الحرب من أن السلام الحقيقى أهم من اكتساب الأرض. وقد ظهرت طريقة تخلى بن جوريون عن القادة فى أن تجربة إسرائيل طوال خمسة عشر عاما ستعيش فى ذاكرة الأمة طويلا.

٥ - كانت الخلافات التى دارت حول مشكلة القيادة عرضا لأسباب كثيرة منها عدم الاستمرار فى النمو الوطنى . فلم تعدالقيم القديمة بعيدة عن التحدى وصارت سياسة الكيبوتز محدودة وقد مرت حرب الأيام الستة عبر جدالات مثيرة كرياح مفاجئة وكاشفة ففى ساعة الخطر كانت هناك عودة سريعة للرؤى

القديمة الموحدة وتضامن قوى وعنيف أمسك بعالم اليهود. وصار جليا أن إسرائيل الجديدة لاتزال تنظر للماضى.

إن لافون استطاع أن يجمع حوله ما يقارب من مائة وستين عضوا من قيادة الماباى، وشكلوا مجموعة من «هايسود»أى من الأساس وأخذوا يطالبون «أشكول» بنسخ القرار الذى اتخذ بعزل «لافون» ، وفى أواخر أبريل ١٩٦٤ أعلن قادة من هايسود أنهم سيكونون مضطرين للانسحاب من الماباى إذا لم يلغ أشكول جميع القرارات الصادرة ضد «لافون»، فأذعن أشكول، وأعلن باسمه وبالنيابة عن مجموعة كبيرة من قادة «الماباى»، أن قضية عزل لافون لم تعد تعنى شيئا وأنهم يرحبون بعودة لافون للحزب، وعلى ألا يثار موضوع فتح التحقيق فى مشكلة لافون، وكان هذا القرار أيذانا بسقوط «بن جوريون» وبروز ليفى أشكول لزعامة الحزب والحكومة.

ثم ارتكب «بن جوريون» غلطة أخرى فى مؤتمر «الماباى» عام ١٩٦٥ ، إذ رجاه العديد من مؤيديه أن يعلن عن استعداده لتقلد المنصب ثانية، وكانوا موقنين بقدرتهم على الحصول سويا على أغلبية لصالحه، فإذا عمل ذلك استطاع إنجاز هدفه بتكوين لجنة تحريات ومنع العودة إلى الأساليب الحكومية القديمة، ولكن «بن جوريون»، بعناده، رفض الإصغاء إليهم.

ثم أعقب ذلك المسلك الأليم من زملائه ورفاقه السابقين أن يتكاتفوا لتحطيمه وإهانته والقضاء على أسطورته حتى وهو فى منفاه الاختيارى «بسدى بوكر» بعد استقالته، ولم يتركه أصدقائه القدامى

وأخذوا يعملون على عزله وإذلاله، وأخذوا في مهاجمته في اجتماعات المؤتمر العاشر «للماباى» المنعقد فى فبراير ١٩٦٥، حتى شاريت المريض اتهمه بعدم المحافظة على وحدة الصف.

وفى اليوم نفسه ارتدت «جولدا مائير» ثياب الحداد من الرأس حتى القدمين، وشنت هجوما لاذعا على «بن جوريون» واتهمته بعبارات جارحة لم يسمع مثلها من قبل فى مؤتمر «الماباى»، فما كان من «بن جوريون» إلا أن غادر القاعة، وفى اليوم التالى تخلى «الماباى» عن قائده القديم وخذله فى التصويت.

وحصل «ليفى اشكول» على ٦٠٪ بينما حصل «بن جوريون» على ٤٠٪ فقط، وأصدر حزب «الماباى» بعد انعقاد المؤتمر العاشر قرارين هما:

الأول: عدم بحث قضية «لافون» فى أية هيئة من هيئات الحزب، وحصر الموضوع فى وزراء الحزب فقط، وصدر هذا القرار بأغلبية ٥٩٪.

الثانى: يؤيد الحزب اقتراح «ليفى أشكول» بالاتفاق مع «أحدوت هاعفودا» والاشتراك معه بقائمة واحدة فى الانتخابات القادمة، وكان «بن جورين» يعارض ذلك.

(جـ) مجمل الظروف الداخلية:

١ - إبان عام ١٩٦٦ وأوائل عام ١٩٦٧ كانت الظروف الدولية والداخلية والعربية مواتية لأن تشن إسرائيل حربا ضد الدول العربية المحيطة مستغلة بوجه خاص خلافات الحدود والنزاع حول المياه مع كل من الأردن وسوريا.

٢ - كانت إسرائيل متأكدة من الدعم السياسى للولايات المتحدة الأمريكية وخاصة بعد التأكيدات التى حصلت عليها إبان زيارة رئيس الوزراء ليفى أشكول لواشنطن فى نهاية عام ١٩٦٤ .

٣ - نجاح إسرائيل فى إقناع الولايات المتحدة بتزويدها بالسلاح وهو ما تحقق مع بداية عام ١٩٦٦ .

٤ - كانت العلاقات بين الولايات المتحدة والدول العربية النازعة نحو التحرر فى تدهور مستمر.

٥- نجاح إسرائيل فى تصوير اجتماعات القمة العربية بوصفها تهديد للاستقرار الإسرائيلى.

٦ - رغم الشكل الظاهرى للتضامن العربى فإن الحقائق تعكس تشرذم العالم العربى، وتعد حرب اليمن صورة واضحة لهذا التصور.

٧ - كانت القوات المسلحة المصرية قد تأثرت بشكل سلبى نتيجة قتالها المستمر فى اليمن.

٨ - كانت القوات المسلحة الإسرائيلية قد استكملت استعدادها لشن حرب خاطفة وحاسمة.

٩ - تفاقمت المشاكل الاقتصادية فى إسرائيل مع نهاية عام ١٩٦٦ وأصبحت الحرب هى الخلاص من هذه الأزمة الاقتصادية.

١٠ - تمكنت القيادات الإسرائيلية من تحقيق توحد داخلى لكافة الفصائل الحزبية لمواجهة المعركة.

الفصل الثانى

الأوضاع العربية

قبل حرب يونيه ١٩٦٧

الأوضاع العربية:

تحليل الأوضاع العربية المؤثرة فى حدث يونيو ١٩٦٧ لا يتصل بهذه السنة أو بما يليها مباشرة بل يعود إلى بداية الستينيات، بل قد يعود إلى نهاية فترة الخمسينيات نفسها. وأصبحت هذه الأوضاع تلتصق إلتصاقا وثيقا بالجمهورية العربية المتحدة التى قادت التحرك القومى بالصراع تارة وبالمصالحة والاتفاق تارة أخرى، ولذلك قد يحسن إيراد هذه الأوضاع فى عجالة تؤدى فى النهاية إلى تفهم حدث ٥ يونيو ١٩٦٧ فهى تستند إلى الحقائق ولا تستند إلى الأخبار المزروعة أو القصص الصحفية أو حتى إلى استنتاجات غير محايدة لبعض المحللين السياسيين، لأن هذا الحدث من الضخامة فى التأثير فى الضرر القومى بحيث يستدعى جهدا خاصا محايدا .

(أ) بعض آثار حرب السويس: (١٩٥٦)

كانت الدول الغربية وإسرائيل إبان حرب السويس تسعى إلى تحقيق أهداف محدوده هى:

١ ـ احتلال سيناء لأسباب استراتيجية وتوسعية.

٢ ـ إسقاط عبدالناصر.

٣ ـ ضمان الملاحة فى قناة السويس وخليج العقبة.

ولم تتحقق من هذه الأهداف إلا حرية المرور فى خليج العقبة ولذلك ظلت هذه الأهداف باقية فى ذهن إسرائيل تلح من أجل التنفيذ بوصفها أهداف قومية إسرائيلية.

ويذكر أن موقف إسرائيل عام ١٩٥٦ من موضوع الأنسحاب من شبه جزيرة سيناء كان يتلخص فى عرض صيغة لتدويل سيناء ونزع سلاحها لمنع نشوب المعارك مستقبلا، إلا أن معظم الدول عارضت هذا التصور لأنه يقيد سيادة مصر على أراضيها.

وبالنسبة لقطاع غزة وخليج العقبة، فقد وصل التصلب الإسرائيلى إلى درجة كبيرة بزعم أن قطاع غزة يمثل قاعدة انطلاق إرهابية ضد إسرائيل أما عن خليج العقبة فقد طالبت إسرائيل بتدويله وإنهاء السيادة المصرية على جزر تيران وصنافير وهما فى مدخل الخليج وتسيطران عليه سيطرة كاملة.

وعند نقطة معينة فى النزاع تحركت واشنطن لمعالجة التصلب الإسرائيلى لأن الأمم المتحدة ـ وخاصة الجمعية العامة ـ كانت تطالب بإجراءات حازمة ضد إسرائيل التى ترفض الانسحاب وهى إجراءات تثير الكونجرس الأمريكى ضد الحكومة ومن ناحية أخرى لم تكن الولايات المتحدة راغبة فى خسارة المكاسب السياسية التى حققتها من معارضتها للعدوان الثلاثى، فقامت بالضغط على إسرائيل التى اشترطت للانسحاب الكامل عدة شروط منها:

١ ـ أن تحل قوات دولية محل القوات الإسرائيلية فى قطاع غزة والعقبة.

٢ ـ أن تكفل حكومة الولايات المتحدة لإسرائيل حق المرور البرئ فى خليج العقبة.

٣ ـ الضغط على مصرحتى لايستخدم قطاع غزة قاعدة للأعمال الفدائية ضد إسرائيل.

وهكذا انتهت حرب السويس دون أن تحل كثيرا من المشاكل وتصور كل طرف أن من خلال التسوية الدولية التى تمت وكان الغبن الذى تصورته مصر وهو فى وضع قوات الطوارئ على أراضيها فقط دون الأراضى الإسرائيلية.، بالإضافة إلى تقيد حقوقها فى خليج العقبة وكان هذا الأمر بعث مزايدات سياسية ضد مصر من جانب الدول العربية وخاصة الأردن وسوريا.

(ب) انفصال سوريا:

فى فبراير ١٩٥٨ قامت الوحده بين مصر وسوريا فى إطار الجمهورية العربية المتحدة وبات واضحا منذ عام ١٩٦٠ مدى المصاعب التى تتعرض لها الوحدة وأدعت العناصر السورية المناوئة أن إدارة دولة الوحدة لم تحترم الإرادة والمصالح السورية، وزاد من تأزم الموقف القرارات الاشتراكية التى أعلنها الرئيس عبد الناصر فى يوليو ١٩٦١ وهو أمر كان يهدد مجتمع رجال الأعمال وهو مجتمع قوى فى سوريا، وانتهزت عناصر من الجيش السورى هذه الظروف وقادت فى سبتمبر ١٩٦١ انقلابا ضد دولة الوحدة، وقد رفض

الرئيس عبد الناصر قمع الانقلاب بالقوة واتهم بريطانيا والأردن والرجعية العربية بتدبير وتشجيع وتمويل هذا الانقلاب، الذى يعد حادثا مؤلما بالنسبة لتاريخ عبد الناصر القومى، مما دفعه إل اتخاذ مزيد من الإجراءات الاشتراكية لتأمين مصر. وسنتعرف فيما بعد على اهتمام الرئيس عبد الناصر بتولى صلاحياته القومية فى الدفاع عن الدول العربية وهو أمر جره إلى حرب عام ١٩٦٧ رغم أن مصر لم تكن المتسبب فى الحرب بل كانت فى مأمن نظرا لوجود قوات الطوارئ على حدودها بعد حرب عام ١٩٥٦ .

(جـ) ثورة اليمن:

قامت ثورة اليمن فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وكانت أهدافها المعلنة واتجاهها العام يسير فى الخط القومى التحررى الذى رفعته الجمهورية العربية المتحدة وهو الخط الذى هزم بانقلاب سوريا فى سبتمبر ١٩٦١ .

ولم يكن أمام الجمهورية العربية المتحدة إلا الإسراع بمساعدة الثورة الوليدة وكان المقدر أن تكون المساعدة محدودة ولأجل محدود، إلا أن مجريات الأحداث أدت إلى تضخم الدور المصرى على اتساع فترة زمنية وصلت حتى عام ١٩٦٧ وأثر ذلك على فعالية المواجهة إبان حرب الخامس من يونيو، لأن قسم نشط من القوات المسلحة بمعداتها كان خارج مصر، بالإضافة إلى تنامى قوة الجيس سياسيا مما اضعف من سيطرة الرئيس على مجريات الأمور فى القوات المسلحة والتى استأثر بها المشير عبد الحكيم عامر الذى كان أقرب إلى السياسى المغامر منه إلى العسكرى المدرب.

(د) تحويل مجرى نهر الأردن:

فى نهاية عام ١٩٦٣ أعلنت إسرائيل عن خططها لاستكمال إحدى مراحل المشروع القومى للمياه فى إسرائيل والذى يؤدى إلى الإستيلاء على قسم كبير من مياه نهر الأردن من أجل خطط الإنماء الإسرائيلى. وهو أمر سبق أن أدى إلى تأزم الموقف فى منطقة الشرق الأوسط عند مناقشته فى الخمسينات حيث اقترحت الحكومة الأمريكية وقتئذ تصورا مفاده ضرورة استخدام مصادر المياه بشكل مشترك وهو أمر يؤدى إلى تنمية كل دول المنطقة وهى إسرائيل وسوريا ولبنان والأردن.

وقد أيد الإسرائيليون هذا التصور الأمريكى لأنه كان يحقق لهم أهداف متعددة منها:

١ ـ زيادة حصتهم من مياه نهر الأردن.

٢ ـ إدخال إسرائيل فى إطار تنموى شرق أوسطى.

٣ ـ الاعتراف العربى الفعلى بإسرائيل.

وقد أخذت مصر زمام المبادرة فى مواجهة هذه التصورات ودعت إلى عقد قمة عربية تمت فى يناير ١٩٦٤، وانتهى المؤتمر إلى وجود خطة عربية لنهر الأردن ضدالمشاريع الإسرائيلية وبدأ كل جانب ينفذ ما يراه موافقاً لمصلحته وهو أمر أدى إلى تصعيد جديد فى المواجهة العربية ـ الإسرائيلية.

(هـ) الوضع العربى العام:

بالرغم من أن مؤتمرات القمة العربية قد عكست تضامنا عربيا فى الظاهر إلا أن العلاقات العربية كانت هشة وعدائية فى أحد جوانبها، وقد افتقرت إلى التنسيق لمواجهة المغامرات العدوانية الإسرائيلية، كما لم يكن للقوات العربية فى دول المواجهة رؤية واحدة وقيادة عامة قادرة الأمر الذى يفسر الارتباك والتدهور الذى حدث فيما بعد إبان وبعد معارك عام ١٩٦٧ .

الفصل الثالث

الظروف الدولية
قبل حرب يونية ١٩٦٧

الظروف الدولية

الظروف الدولية كانت مهيأة لتندفع إسرائيل فى عدوانها ضد الدول العربية عام ١٩٦٧ ، وخاصة مساندة الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل مساندة كاملة وفاء بالمصالح الأمريكية وأبرزها تعقب الاتحاد السوفيتى وتعويقه فى كل أماكن حركته وأهمها الشرق الأوسط نظرا لوجود منابع البترول به. وقد كان التعاون فى السابق بين إسرائيل وكل من بريطانيا وفرنسا، وانتهى الأمر فى الستينات إلى تعلق إسرائيل بالركب الأمريكى الذى يعبر عن القدرتين العسكرية والاقتصادية.

وكان الاتحاد السوفيتى يود المحافظة على مواقفه وأصدقائه ولكن بتحاشى الصدام المسلح، وقد اتضح تراجعه فى هذا الصدد منذ الأزمة الكوبية عام ١٩٦٢ . ونشير فيما يلى لإبراز مظاهر التعاون الإسرائيلى - الغربى:

(أ) مشكلة المفاعل الذرى فى النقب:

وقعت فرنسا مع إسرائيل عام ١٩٥٧ اتفاقية سرية لتشييد مفاعل ذرى كبير فى النقب بزعم أنها محطة أبحاث للأغراض السلمية،

وكان ذلك بمبادأة من «شيمون بيريز» وتأييد كامل من «بن جوريون» واحتفظ بالسر سنوات إلى أن وضعت طائرة التجسس الأمريكى «يوتو» نهاية له، باكتشافها له فى طيرانها فوق النقب وسربت بعض المعلومات التى أوضحتها الصور الجوية إلى المخابرات المركزية الأمريكية وبأن المبانى الممتدة فى الصحراء ليست مصنع نسيج.

وفى ٩ ديسمبر ١٩٦٠ استدعى وزير الخارجية الأمريكى «هيرتز» السفير الإسرائيلى فى واشنطن فى اليوم الذى عقدت فيه لجنة الطاقة الذرية بالكونجرس اجتماعا عاجلا، نشرت بعده «التايم» خبرا مقتضبا عن بناء مفاعل ذرى سرا فى دولة معينة لم تحددها، وكان مؤكدا أنها لا تنتمى إلى الكتلة الشيوعية ولا هى عضو فى حلف الأطلنطى، ثم نشرت صحيفة فى لندن فى ١٦ ديسمبر أن إسرائيل تصنع قنبلة ذرية.

وطلبت واشنطن إيضاحاً لمعرفة ما إذا كان المفاعل فى النقب لأهداف عسكرية، وصدر بيان مشترك من الخارجية الفرنسية ووكالة الطاقة الذرية يعترف بأن فرنسا كانت تساعد إسرائيل فى أبحاثها النووية وأنه من أجل الأغراض السليمة، كما أصدر «بن جوريون» بيانا اعترف فيه بأن إسرائيل قد أقامت فى «ديمونة» بالنقب مفاعلا بقوة ٢٤ ميجاوات للأبحاث العلمية وتطوير البلاد، غير أن أمريكا لم تقتنع ومارست ظغطا كبيرا على إسرائيل إما أن تقبل أشرافا دوليا أو توافق على تفتيش مباشر من العلماء الأمريكيين.

ورفض «بن جوريون» رغم الضغط الأمريكى والتهديدات المستمرة والمذكرات الحادة والتلميح إلى الاجراءات التى قد تتخذها

الولايات المتحدة (كان الضغط الأمريكي في عهد رئاسة «ايزنهاور») .

(ب) بدء التعاون الأمريكي .

في عهد الرئيس كنيدي سمحت إسرائيل لعالم أمريكي [1] بزيارة المفاعل، وأبلغ الرئيس الأمريكي كنيدي بن جوريون ، أن المعلومات التي أعطاها بن جوريون للمفاعل صحيحة ويمكن لإسرائيل أن تستمر في برنامجها للأبحاث الذرية، ولهذا السبب لم يستقل «بن جوريون» كعادته حين كانت لجنة السبعة تحقق في فضيحة لافون حتى لا يوحي في الخارج أن استقالته بسبب أزمة المفاعل الذري، وظل في الحكم حتى سويت ثم أستقال في يناير ١٩٦١ .

وكان الرئيس «كيندي» قد ناقش مع «بن جوريون» أثناء زيارته «لواشنجون» في شهر مايو ١٩٦١ ، مشاكل الشرق الأوسط، ووعد الرئيس كيندي بن جوريون بتقديم العون العسكري لإسرائيل إذا ما نشبت الحرب مع العرب، كما منح تأييده الكامل لخطة إسرائيل في تحويل مجرى نهر الأردن من أجل ري النقب . وكان يرى كيندي أن السلام في الشرق الأوسط يمكن أن يأتي على مراحل، واقترح على إسرائيل الموافقة على فصل مشكلة اللاجئين العرب عن المشاكل العامة في الشرق الأوسط، كما كان يرى أنه متى سويت مشكلة اللاجئين العرب تسوية شاملة ، أتضح الطريق إلى السلام، ولم يعترض «بن جوريون» على ذلك ، وبناء على موافقة الرئيس كيندي

(١) لم تفصح الإدارة الأمريكية عن اسم العالم أو كنيته الذي أخذت بتقريره بعد زيارة المفاعل الذري الإسرائيلي وسمحت لإسرائيل باستمرار نشاطها وتجاربها الذرية. في الوقت الذي أرسلت إلى العراق ما يقرب من ٦٠ بعثة تفتيش، وضربته بالصواريخ والطائرات لتدمير أي موقع يشتبه فيه بأي نشاط ذري.

توجه إلى المنطقة د. جوزيف جونسون ، وهو أحد كبار الرسميين فى الأمم المتحدة، نيابة عن الحكومة الأمريكية ليستأنف مع إسرائيل والدول العربية المحادثات فى مشكلة اللاجئين وإستمرت عاما تم خلاله العدد من الجولات بين القدس وواشنطن ونيويورك والعواصم العربية ، وأنتهت إلى معارضة كل من العرب واليهود ، ما طرح من توطين اللاجئين العرب فى الدول العربية، وقلة منهم فى إسرائيل . وذلك على أساس قرار الأمم المتحدة «حرية الاختيار» فى العودة إلى إسرائيل، وكان هذا هو الشق الأول من القرار، أما الشق الثانى الذى كان يقضى بأن يعيش العرب فى سلام مع جيرانهم الإسرائيليين، فقد أغفل فى خطة «جونسون» أى أن يطلب من إسرائيل دمج بعض اللاجئين دون ضمانات فى المقابل ، فلما عارض العرب الخطة ، عرض كيندى عرضا يغرى «بن جوريون» بأن قررت الولايات المتحدة مدهم بصواريخ «هوك» مقابل موافقة الدولة اليهودية على خطة جونسون ، ورفض «بن جوريون» العرض.

(جـ) محاولات «بن جوريون» التقارب من مصر:

وبينما كانت هذه المفاوضات تجرى مع مبعوثى جونسون أو كيندى، كان بن جوريون بناء على توجيه أمريكى يعمل على التقارب مع العالم العربى، وكانت محاولته الأولى فى ديسمبر ١٩٦٢ بعد تفكك الجمهورية العربية المتحدة بانفصال سوريا عن مصر ، وثورة اليمن على النفوذ المصرى ، وكان نفوذ عبد الناصر أخذ فى الهبوط ، فوسط الرئيس «تيتو» بوصفه صديقا لعبد الناصر، ولكن جاء رد الوساطة سلبيا، ووجد بن جوريون وسيطا آخر هو رئيس تحرير

صحيفة أوربية كبرى، كان فى القاهرة فى يناير عام ١٩٦٣ . وقابل محمد حسنين هيكل رئيس تحرير صحيفة الأهرام ، المقرب إلى عبد الناصر- وأكد أن مصر لا تفكر فى حرب ضد إسرائيل ، ثم التقى الصحفى الأوربى مع عبدالناصر وأدعى أنه قال له : «أعتقد أنه إذا تم إجتماع مغلق بينى وبين «بن جوريون» لمدة ثلاث ساعات فسنصل إلى حل سلمى للصراع العربى اليهودى» .

وأبدى «بن جوريون» عن شكه فى أن عبد الناصر يفكر حقا فى الاجتماع به للوصول إلى حل سلمى للصراع العربى الإسرائيلى، وإن كان هو القائد العربى الوحيد الذى يمكنه الأتفاق مع إسرائيل، وأبدى استعداده لمقابلته وفى غاية السرية، فى البلد الذى يختاره حتى لو كان القاهرة، للتفاوض معه الساعات اللازمة لإقامة السلام فضلا عن اتفاقيات تعاون ثقافى وإقتصادى وسياسى.

إلا أن عبد الناصر أبلغ الرسول أنه لا يثق فى «بن جوريون» بعد استعراض أعمال إسرائيل العدوانية منذ حرب الأستقلال أيام كان ضابطا فى الخط الأمامى وأغتيال برنادوت ، وغاراتها على قطاع غزة وحرب سيناء.

(د) المساعدات الأمريكية لإسرائيل (١٩٤٩ - ١٩٦٩) :

كان للمساعدات الخارجية مكان حيوى فى الاقتصاد الإسرائيلى، فبدونها يصاب بإرهاق شديد ليس فى مواجهة أعباء التسليح فحسب، بل وفى الحفاظ على معدلات نموه المرتفعة.

ومما تجدر الأشارة إليه أنه مما يصعب على المتتبعين للمساعدات الأمريكية لإسرائيل حصرها وتصنيفها بدقة، وخاصة فى مجال

القروض التى تحصل عليها الأخيرة من البنوك و شركات التأمين بضمان المؤسسات اليهودية الأمريكية كالندا واليهودى الموحد (UJA) إذ لا يعلن عما يصل منها لإسرائيل فى التقرير السنوى لبنك إسرائيل.

وقددعا ذلك وغيره من مظاهر التميز الذى تتمتع به إسرائيل، إلى أن يرفع عدد من الشخصيات الأمريكية الصوت داعين للحد من المساعدات غير المباشرة لإسرائيل. وبلغ ذلك الاحتجاج قمته سنة ١٩٥٨ بمناسبة تقديم مشروع بقانون، سقط فى الاقتراع، يدعو لإلغاء الأعفاء الضريبى بالنسبة للتبرعات ولحصيلة بيع سندات إسرائيل فى الولايات المتحدة.

ولا ريب أن فشل هذه المحاولات يبرز حقيقة أن هذه المساعدات بما تتيحه من تطوير إسرائيل اقتصاديا وعسكريا، تخدم المصالح الأمريكية فى المنطقة. وكما عبر بيان الحزب الجمهورى فى الانتخابات، فإن مساعدة إسرائيل ضرورية «لحفظ السلام فى الشرق الأوسط .

ويمكن تقسيم المساعدات الأمريكية، الاقتصادية والفنية لإسرائيل قبل حرب يونية ١٩٦٧ إلى قسمين رئيسيين:

(أ) مساعدات مباشرة تقدم من حكومة الولايات المتحدة أو إحدى مؤسساتها، وهذه يعلن عنها عادة.

(ب) مساعدات غير مباشرة، وتصدر إما عن مؤسسات داخل الولايات المتحدة - سواء كانت يهودية أو غيرها - وإما عن هيئات أجنبية متأثرة بالنفوذ الأمريكى مثل البنك الدولى.

وقد بلغت جملة المساعدات الحكومية الأمريكية (المعونة الفنية + المنح + قانون فائض الحاصلات + بنك التصدير والاستيراد + القروض) مبلغ ١٠٥٤ مليونا من الدولارات فى الفترة من ٤٨ إلى ١٩٦٥ . وفى سنة ١٩٦٦ قررت الحكومة الأمريكية بأن إسرائيل لم تعد دولة نامية، وترجم بنحاس سابير ما يعنيه ذلك فى ديسمبر من نفس السنة، بأنه يتعين على إسرائيل سداد قسط أكبر من وارداتها بالنقد الأجنبى .

بيد أن تصريح «سابير» لم يكن يهدف فى حقيقة الأمر من حث اليهود - وفى الولايات المتحدة خاصة - على توظيف أموال أكثر داخل إسرائيل (وكان يقلقه هبوط حجمها عن سنة ٦٥) . فالواقع أن المساعدات الأمريكية لم تتأثر كثيرا بالتكييف الجديد لوضع إسرائيل كدولة متطورة، ففى السنة التالية مباشرة (٦٧) قدمت الحكومة الأمريكية تسهيلات ائتمانية لإسرائيل فى ٢٣ يونيه ٦٧ بقيمة ٣٠ مليون دولار يسدد بالليرات بهدف توفير احتياطياتها من العملات الصعبة. وبعد نحو شهر فى ٤ / ٨ / ٦٧ منحت ما قيمته ٢٧,٥ مليون دولار سلعا غذائية بموجب برنامج «الطعام من أجل السلام» ، وفى ١٥ / ٩ / ٦٧ منح بنك التنمية الصناعى الإسرائيلى قرضا بمبلغ ١٥ مليون دولار. (بعد حرب ٦٧).

إن حصر ما تتلقاه إسرائيل من مساعدات اقتصادية وفنية من الولايات المتحدة، رسميا وعن طريق الهيئات والأفراد - وهى فى ضخامتها ونوعيتها الفريدة فى إطار المساعدات الخارجية الأمريكية قد أثارت سخط هيئات أمريكية لها وزنها.

والحوار التالى بين السناتور فولبرايت رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس وبين مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط (تالبوت) والمستر جود مساعد مدير قسم الشرق الأوسط بوكالة التنمية الدولية الأمريكية (AID) والذى جرى بتاريخ ١١ / ٤ / ٦٢ بمناسبة مناقشة الاعتمادات التى طلبتها الوكالةللسنة المالية ١٩٦٣ ، يساعدنا على تصور مدى ما بلغته هذه المساعدات فى عهد الرئيس كيندى.

فولبرايت: ماذا تنتظرون من الأموال التى تعطونها لإسرائيل، وبالنظر لحجمها أليس معقولا أن تعرفوا شيئا عن نشاطهم فى ميدان الطاقة الذرية؟.

جود : بودنا لو عرفنا.

فولبرايت: هل تستطيع تقدير الحجم الإجمالى لمساعداتنا لإسرائيل؟.

جود: منذ سنة ١٩٤٩ حتى ١٩٦٢ تقدر بحوالى ٨٠٠ مليون دولار.

فولبرايت: وذلك لا يتضمن السندات التى يبيعونها هنا؟

جود : كلا ، ما ذكرته هو المساعدات الحكومية.

فولبرايت: وما قيمة هذه السندات؟

جود: ليس لدى علم بها.

فولبرايت : والتبرعات من جانب شعبنا؟

جود: وفقا لتقديراتنا لسنتى ٦٢ ، ٦٣ ، فإنها تبلغ ١٠٠ مليون دولار سنويا .

فولبرايت: هل تخصم هذه التبرعات من وعاء ضريبة الدخل؟

جود : لست خبيرا فى شئون الضرائب.

عضو اللجنة: نعم ، هى كذلك.

جود: لدى الآن حصيلة مبيعات سندات إسرائيل بالولايات المتحدة وهى تبلغ منذ ١٩٤٨ حتى الآن حوالى ٤٨٧ مليون دولار.

فولبرايت: لا توجد دولة فى العالم نعطيها بالنسبة لنصيب الفرد قد ما نعطى إسرائيل، هل توجد مثل هذه الدولة؟

تالبوت: لا يوجد على حد علمى.

فولبرايت: قد تبلغ مساعداتنا على أساس نصيب الفرد أكثر من عشرة أضعافها بالنسبة لأى دولة أخرى، وفيما يتعلق بالإعفاء من الضرائب فإن التبرعات التى تحصل عليها إسرائيل إنما تصلها - فى الواقع - من الخزانة . هل توجد دولة أخرى تعامل كذلك؟

جود : ليس لدى علم بذلك.

فولبرايت : هل تعرف دولة أخرى يا مستر تالبوت؟

تالبوت: كلا ياسيدى.

فولبرايت: لماذا لا يتسع تقديركم لما حصلت عليه إسرائيل من ألمانيا الغربية؟

جود : لقد بلغت التعويضات الألمانية سنة ١٩٥٠ مبلغ ٧٨ مليون دولار أما ما دفعوه لقاء الممتلكات اليهودية المصادرة..

فولبرايت: فأكثر من بليون دولار.

جود: أجل يا سيدى . وأكثر بكثير.

فولبرايت: إذن لماذا تعطون كثيرا لإسرائيل؟ لنأخذ الهند كمثال أو أى دولة عربية. لقد تعودنا أن نسمع عن سياستنا الرسمية الغيرة منحازة لأى من الفريقين. إسرائيل والعرب، أليس ما أقوله صحيحا يا مستر تالبوت؟

تالبوت: صحيح يا سيدى.

فولبرايت: ولكن الأرقام لا توضح ذلك. ومنها يتبين أنكم تعطون إسرائيل ما بين ١٠ و ٢٠ ضعفا لما يقدم لأى دولة عربية أو للهند، هل هذا صحيح؟

عضو باللجنة: الحكومة لا تعطى هذا القدر، ولكنه المواطن . نحن نعيش فى أمريكا وإذا كنت ترغب فى أن توجه نقودك إلى إسرائيل فلتفعل.

فولبرايت: إننى أعرف حقوق المواطن الدستورية . ولكن الأمر هنا يتعلق بوضع متميز لإسرائيل فى هذه البلاد، فالمواطن من أصل بولندى لا يمكنه أن يتبرع لبولندا بمبلغ يستنزل من وعاء ضريبة الدخل ... إلخ.

ولا تقف المساعدات الأمريكية عند حد دعم الاقتصاد الإسرائيلى فحسب، بل أنها تصل إلى حد التأثير على السياسة الاقتصادية

للولايات المتحدة وتطويعها بما يناسب المصالح الإسرائيلية والمصالح المالية الأمريكية المتعاونة مع الأولى. ففى ٨ / ٦ / ١٩٦٦ أصدر مجلس النواب الأمريكى تشريعا بإدخال تعديل على قانون الصادرات.

من شأنه منع المؤسسات والشركات الأمريكية من تقديم أية بيانات أو التوقيع على التزامات لها صلة بإحكام المقاطعة من قبل أية دولة أجنبية ضد دولة أخرى صديقة للولايات المتحدة. ووافق مجلس الشيوخ على التشريع فى ١٧ يونيه وصدر كقانون فى ٣٠ / ٦ / ١٩٦٦ .

ونظرا لتقدم إسرائيل فى المجالات الفنية عامة، فإن أهم ما تحصل عليه من مساعدة أمريكية فى هذا المجال يتصل بتطوير طاقاتها الذرية. ففى سنة ١٩٥٥ وقع اتفاق بين البلدين للتعاون فى أبحاث الطاقة الذرية. وفى ٦ / ٢ / ٦٤ أعلن الرئيس جونسون بدء مفاوضات مع إسرائيل لتعذيب مياه البحر، أعقبها فى ١١/٦/١٩٦٤ تأليف لجنة خبراء مشتركة أعدت اعتبارا من سبتمبر ١٩٦٥ التفاصيل الخاصة ببناء محطة ذرية على الساحل الغربى لإسرائيل ينتظر أن تباشر الإنتاج سنة ١٩٧٢ على أساس تجارى حيث تولد ٢٠٠ ميجاوات من الطاقة الكهربائية سنويا وحوالى ١٠٠ مليون جالونا من المياه العذبة يوميا. وبالنسبة لتكاليف المشروع والتى تربو على المائتى مليون دولار فقد أكدت الحكومة الأمريكية فى ١٨ / ١٠ / ٦٦ التزامها بالمساهمة مع الحكومة الإسرائيلية فى تنفيذه.

وما تجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد، هو أن المعونات الفنية من جانب الولايات المتحدة لإسرائيل تمثل فى الواقع سلاحا لخدمة الاستراتيجية الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط، إذ أن المساعدة فى إنشاء محطة تعذيب مياه البحر فى إسرائيل مرتبطة بمشروع أكثر شمولا لا يهدف إلى إنشاء شبكة للرى تعتمد على المحطة الإسرائيلية وأخرى تقام فى الأردن وثالثة فى غزة بهدف «رفع مستوى المعيشة فى المنطقة» . ويهدف هذا المشروع والذى يحمل اسم «شتراوس» رئيس لجنة الطاقة الذرية أثناء رئاسة أيزنهاور ، إلى حل جانب من مشكلة اللاجئين على أساس إقليمى يحقق الاندماج بين إسرائيل والدول العربية وبما يعنى عمليا التصفية لمشكلة فلسطين.

(هـ) المساعدات الأمريكية العسكرية لإسرائيل:

١- تميزت الفترة منذ قيام إسرائيل وحتى سنة ١٩٦٢ ، بأن الولايات المتحدة لم تكن تؤمن بفائدة تزويدها لإسرائيل بالسلاح. واستثناء من هذه القاعدة، فقد زودتها خلال سبتمبر ١٩٥٨ بكمية غير محدودة من الأسلحة بقصد رفع المعنويات فيها بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا وقيام ثورة العراق.

ويمكننا أن نجد تفسير هذا الموقف فيما ذكره «دالاس» يوم ٢٤ / ٢ /٥٦ أمام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس، من أنه نظرا لإمكانيات إسرائيل الجغرافية والبشرية، فإن دخولها مع البلاد العربية فى سباق للتسلح يضر بها وبأمنها ، وأن ما تحتاجه إسرائيل هو ضمانات فعالة على نسق التصريح الثلاثى الصادر سنة ١٩٥٠ .

٢ - تغيرت هذه السياسة أثر تفاقم الصراع الاجتماعى والسياسى فى المنطقة وخاصة فى أعقاب صدور التشريعات بالاشتراكية فى مصر وانفصال سوريا من الوحدة، ففى إطار الدعم لقوة إسرائيل العسكرية وقع بين الولايات المتحدة وإسرائيل اتفاقا فى ٢٦ / ٩ / ٦٢ لتزويد الأخيرة بنظام دفاعى يعتمد على صواريخ الهوك والتى تشكل فى تقدير الخبراء العسكريين أساس الدفاع الجوى الإسرائيلى. وكان تبرير المسئولين الأمريكيين لهذه الصفقة، القول بأنها تحافظ على توازن القوى فى المنطقة نتيجة للمعدات السوفيتية الحديثة للدول العربية.

٣- أما المرحلة الثالثة فكانت تزويد إسرائيل بالأسلحة الهجومية أساسا، ففى ٥ / ٢ / ٦٦ أعلنت الحكومة الأمريكية عن توريدها صفقة من دبابات باتون م - ٤٨ (وكان ذلك فى جانب منه تعويضا عن وقف ألمانيا الغربية لجزء من صفقة مشابهة سنة ٦٥ تحت التهديد العربى بالاعتراف بألمانيا الشرقية).

وفى ٢٠ / ٥ / ٦٦ زودت الولايات المتحدة إسرائيل بعدد محدود من طائرات سكاى هوك أ - ٤ المقاتلة القاذفة.

٤ - وفى ٢٤ / ١٠ / ١٩٦٧ أعلنت الخارجية الأمريكية رفع الحظر عن أرسال الأسلحة لمنطقة الشرق الأوسط وتزويد إسرائيل فى نفس الوقت، بصفقة جديدة من طائرات السكاى هوك بقيمة ٥٢ مليون دولار، تم تمويل جانب منها فى شكل منحة والجانب الآخر فى شكل تسهيلات أئتمانية.

وفى ديسمبر من عام ١٩٦٨ أعلنت الولايات المتحدة عن صفقة طائرات فانتوم التى تعد من أحدث ما أنتجته الولايات المتحدة من الطائرات الاستراتيجية. وقد وضع هذا الإعلان موضع التنفيذ فى ٥ سبتمبر ١٩٦٩ حيث تسلمت إسرائيل ١٢ طائرة منها كدفعة أولى. ثم على أساس أربعة طائرات شهريا.

٥ ـ وفى زيارة «جولدا مائير» لواشنطن فى الفترة من ٢٥ ـ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٩ ، تقدمت بقائمة للأسلحة تشمل ١٣٥ طائرة هيلوكبتر و٢٥ طائرة فانتوم و ٨٠ من طراز سكاى هوك، ذلك بجانب الصواريخ الدفاعية أرض ـ جو.

وقد رفض المتحدث الرسمى أن ينفى الموافقة المبدئية لحكومته على هذه الطلبات وذكر بأن إجابتها سابق لأوانه حيث لم ينتهى تسليم الطائرات الفانتوم الخمسين بعد.

٦ ـ ولقد كشف بيان للسفارة الأمريكية فى تل أبيب بتاريخ ١٣ / ١٠ / ٦٩ أن الحكومة الأمريكية ترخص لمواطنيها بالانخراط فى صفوف القوات المسلحة الإسرائيلية، ولم يصدر منها ثمة إجراءات فعالة لوقف ذلك أكثر من إعلان ناطق بلسان الخارجية ـ لتهدئة الحملة الإعلامية المعادية للولايات المتحدة ـ أنها «ترجو من كافة مواطنيها أن يتخذوا الإجراءات القانونية الممكنة لتفادى الانضمام إلى الخدمة العسكرية فى دول أجنبية».

(و) مجمل الظروف الدولية:

ويحسن قبل الانتهاء من تناول الظروف الدولية أن نشير إلى محصلة عامة مجملة لهذه الظروف على النحو التالى:

١- التورط الأمريكى فى فيتنام وهو تورط عسكرى واقتصادى وسياسى ضخم وخاصة منذ بداية عام ١٩٦٥ ، وهو تورط هدد جبهة الولايات المتحدة داخليا الأمر الذى كان يتطلب صرف الرأى العام الأمريكى عن التورط فى فيتنام وتقديم انتصار ولو على حساب مصلحة الشعوب، فى منطقة الشرق الأوسط حيث ظروف المواجهة مع السوفييت أفضل للولايات المتحدة.

٢ - انشغال الصين الشعبية منذ نهاية عام ١٩٦٥ بالثورة الثقافية مما أبعدها عن المشاكل الأخرى بدول العالم الثالث، ولذلك لم نلمح لها أى دور فى مناوئة العدوان.

٣ - خلافات فرنسا الديجولية مع الولايات المتحدة وتأثير ذلك على عدد من الدول الأوربية فى عام ١٩٦٦ مما يبعد النشاط الأمريكى مؤقتاً عن أوروبا ليتوجه نحو الشرق الأوسط.

٤ - قرار بريطانيا فى فبراير ١٩٦٦ بالجلاء عن عدن الأمر الذى أحدث فراغا أخاف الولايات المتحدة من استمرار النمو السوفيتى فى الشرق الأوسط وهو أمر يستدعى عملا نشطا وخاصة لتواجد القوات المصرية فى شبه الجزيرة العربية.

٥ - تدهور العلاقات المصرية - الأمريكية إبان حكم الرئيس جونسون.

٦ ـ تزايد النزعة الهجومية الأمريكية مع الاقتراب من منتصف الستينات فى مقابل نزعة التهدئة وتفادى الصدام لدى الأتحاد السوفيتى.

القسم الحادى عشر

حرب عام ١٩٦٧
أحداث الفترة من ١٤ مايو
وحتى ١٠ يونية ١٩٦٧



موشى ديان وزير الدفاع فى حرب ١٩٦٧ . المنفذ لخطط بن جوريون التوسعية .

حرب عام ١٩٦٧ .

سيناريو من ثلاث فصول يعبر عن الحرب

تقديم :

ونستعين بالسيناريو ما جاء فى طيات كتاب أطلقته الولايات المتحدة للتداول عقب الحرب وهو من تأليف ميشيل بارزوهام بعنوان «التاريخ السرى لحرب إسرائيل»

وقد فضلنا أن نبدأ بوجهة النظر الغربية لأسباب موضوعية وحتى لا نسبق الأحداث وتبرز رؤية عربية أو شرقية لحرب ١٩٦٧ .

القيمة الموضوعية لهذا الكتاب هى فائدته التسجيلية لما حدث خلال الفترة من ١٤ مايو عام ١٩٦٧ إلى ١٩ يونيو ١٩٦٧ ، خاصة وأنه تضمن مادار خلال هذه المدة من محادثات ومشاورات واتصالات متعلقة بمشكلة الشرق الأوسط، معتمدا فى ذلك على مصادر رئيسية هى أجهزة الإعلام، ثم أجهزة المخابرات الأمريكية ومصادر البيت الأبيض التى أمدت المؤلف بالنصوص الكاملة.

ويحق التساؤل عن هدف الولايات المتحدة الأمريكية من نشر

الكتاب فى هذا الوقت، ويمكن القول أنها أرادت به دليلا على التبرئة من التواطؤ مع إسرائيل، إلا أن التعمق فى الكتاب يؤدى إلى دلائل إدانة وقرائن على التفاهم الأمريكى الإسرائيلى، ويؤدى إلى أن عدوان ١٩٦٧ لم يكن ليتم لولا تشجيع بل وتدبير إتفاقى بين واشنطون وتل أبيب.

ومن ناحية أخرى فرغم محاولة الكاتب الظهور بمظهر الحياد، إلا أنه انغمس فى تحيزه لإسرائيل.

والدليل تركيزه على عدة نقاط أهمها:

١ - محاولة الولايات المتحدة الظهور بمظهر الضغط على إسرائيل حتى لا تبدأ الحرب ضد العرب ومن ثم التنصل من مسئولية الهزيمة التى لحقت العرب.

٢ - محاولة الايحاء بأن ثمة حدودا فاصلة بين كل من حكومة الولايات المتحدة (رئيسها) ووزارة الخارجية وأجهزة المخابرات الأمريكية، وأن ثمة خلافات جذرية فى تخطيط السياسة الأمريكية إزاء مشكلة الشرق الأوسط.

٣ - يركز المؤلف فى خاتمة الكتاب على تثبيط همم العرب، بأن يوهم أن إسرائيل كقوة عسكرية ستظل أقوى من العرب مجتمعين، وأن إسرائيل شنت الحرب بمفردها وأنها قادرة على تكرار ماقامت به، ويخرج من ذلك إلى قوله بوجوب اعتراف العرب بإسرائيل كحقيقة وأن هذا فى نظره شرط السلام فى الشرق الأوسط.

٤ ـ ثم يحاول الكاتب أن يحمل الرئيس عبد الناصر ـ أمام العالم العربى ـ مسئولية الأحداث مستهدفا إثارة الرأى العام العربى ضده، وإن كان الكاتب قد أورد ذلك فى أسلوب من النعومة غير الملموسة فى كثير من صفحات الكتاب.

٥ ـ لا شك أن الولايات المتحدة التى خسرت بعضا من نفوذها وسمعتها فى بعض الدول العربية تهدف من نشر هذا الكتاب إلى إستعادة مافقدت فى المجال العربى، ولعل هذا أحد الأساليب فى المخطط الأمريكى فى مجال الحرب النفسية، وأنه شبيه بما تدلى به الولايات المتحدة بين الحين والحين من التلميح تارة أو العمل تارة أخرى على تقديم حلول مقترحة للمشكلة وهى لاتقصد فى واقع الأمر إلا عرقلة الجهود العربية التى تستهدف الإعداد للمواجهة.

وبذلك فإن الولايات المتحدة تقدم بهذا الكتاب دليلا جديدا على توفيرها لإسرائيل مقومات التمسك بموقفها العدوانى المتعنت.

(أ) أحداث ١٤ مايو حتى ٢٣ مايو ١٩٦٧ :

يتناول الفصل الأول الذى أطلق عليه «الفوضى» مادار من أحداث وتطورات فى الفترة من ١٤ مايو ١٩٦٧ حتى ٢٣ مايو ١٩٦٧ وهى العشرة أيام الأولى من بداية الأزمة، هذه الأزمة التى يزعم مؤلف الكتاب أنها بدأت عندما التقط أحد أجهزة الدول الغربية رسالة شفوية من السفير السوفيتى بالقاهرة موجهة إلى وزارة الخارجية السوفيتية فى موسكو، يبلغ السفير السوفيتى حكومته فيها بأنه قدم النصيحة للرئيس عبد الناصر بوجوب الحذر والحيطة إذ أن هناك حشودا إسرائيلية على الحدود الإسرائيلية السورية.

وهنا يدافع المؤلف عن إسرائيل ويؤكد أنها لم تحشد قوات على حدودها مع سوريا وأن الأمر ـ كما يقول المؤلف ـ لا يعدو أن يكون إشاعة اختلقها السوفييت من أجل خلق منطقة توتر عالمية فى الشرق الأوسط للتخفيف عن فيتنام فى الشرق الأقصى، وأن ثمة هدفا آخر ـ كما يقرر المؤلف ـ هو حرص الروس على دعم النظام الموجود فى سوريا والذى قام تحت رعايتهم، خاصة وأن الأتحاد السوفييتى كان يخشى قيام إسرائيل بالرد على الاستفزازات السورية.

ويعود المؤلف ثانية ليقرر أن هذه البرقية السوفيتية هى أهم أحداث عام ١٩٦٧ لما أحدثته من آثار (مخربة) فى الشرق الأوسط ولاشعالها النيران فى المنطقة.

ويعرض المؤلف هذه الأيام العشرة كالآتى:

اليوم الأول: (١٤ مايو ١٩٦٧)

فى الوقت الذى كانت إسرائيل تحتفل بعيد إنشائها عقد الرئيس عبد الناصر اجتماعا سريا فى منزله حضره المشير عبد الحكيم عامر والسيد صلاح نصر، الذى أيد المعلومات التى أوردها السوفييت عن الحشود الإسرائيلية ضد سوريا، فأصدر الرئيس أوامره للمشير عبد الحكيم عامر بإعداد اللازم لردع إسرائيل والحيلولة دون قيامها بأية مناورة.

ونجد من المفيد أن نعلق على ما ذكره الكاتب ميشيل بارزوهار عن الأيام الحاسمة فى مايو ويونيو ١٩٦٧ ويدأها باليوم الأول ١٩٦٧/٥/١٤ وانتهى باليوم الثامن والعشرين ـ ٩ يوليو ١٩٦٧، وأن

يتم التـعليق أولا بأول كلمـا كـان هناك داع لابداء الملاحظات. ونلاحظ على صياغة الكاتب لليوم الأول بأن بدأ بداية درامية موحية للقارئ للتعاطف مع إسرائيل عندما قال: «كانت إسرائيل تحتفل بعيد إنشـائهـا»؛ وأضـاف بأنه فى هذا الوقت أمـر الرئيس عـبـد الناصـر بالاعـداد لردع إسـرائيل، هذا مع العلم بأن الكاتب أغـفل ذكـر أن الأعـمـال العـدوانيـة لإسرائيل فى المرحلة الأخـيـرة بدأت فى مـايو ١٩٦٦ ومع تصـاعـد الموقف قـررت الحكومـة السورية إخلاء القرى والمناطق الحـدودية من سكانهـا المدنيين، ثم أخـذ العـدوان منحـنى خطير فى يوليو ١٩٦٦ عندما هاجمت الطائرات الإسرائيلية مشروعا هندسيا سوريا.

والواقع أن اسـتـخـدام كلمـة ردع تروع القـارئ الغـربى، بـعكس إمكانية استخدام لفظ (المواجهة) أو (لصد هجوم إسرائيل).

اليوم الثانى: (١٥ مايو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «دبابات فى الصحراء»

أمـرت مصـر هذا اليوم دباباتها ومصفحاتها وطائراتها بالدخول إلى سيناء.

ثم يذكـر المؤلف نص حـديث دار فـى مـوسكو فى هذا اليوم بين إيجـال آلون وزير العـمل الإسـرائيلى آنذاك ـ الذى كـان فـى زيارة لموسكو ـ وبين مستر سيمونوف نائب وزير خارجية الاتحـاد السوفيتى وقد سأل إيجـال آلون «لماذا تطلقون المزاعم عن حشود إسرائيلية ضد سوريا خلافا للواقع؟ ولماذا تتجاهلون الاستفزازات السورية المتكررة على حدود إسرائيل؟»

ويعقب إيجال آلون «إن السلام لا يتجزأ، ولا يجب عليه سيمونوف.

وفى نفس اليوم، وفى واشنطون، كان السفير الإسرائيلى يقيم حفلا اقتصر على الإسرائيليين وخلال خطبته القصيرة دق جرس التليفون، وكان المتحدث «لوشيوس بانل» وكيل الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط والذى كان من قبل سفيرا لبلاده فى القاهرة، وامتقع وجه السفير الإسرائيلى بشدة خلال المحادثة حين أبلغه «لوشيوس بانل» نبأ تحرك القوات المسلحة المصرية نحو سيناء، ويعلق وكيل الخارجية الأمريكية على ذلك «إن هذا ليس أكثر من استعراض للقوة ولا يتجاوز الأمر أن يكون ردا على تصرفاتكم، أنتم تحركون قواتكم فى عرض عسكرى، وهم أيضا يحركون قواتهم».

من العرض السابق لوقائع اليوم الثانى يشار فى الكتاب إلى تحرك عسكرى مصرى بالدبابات والطائرات والمصفحات إلى سيناء بينما يشار إلى استعداد إسرائيل بوصف المناورة، وعموما فقد كان توصيف وكيل الخارجية الأمريكية هو أقرب إلى الصواب عند ما وصف الأمر، بأنه استعراض قوة من الجانبين، ولو أن الصواب جانبه عندما وصف حشد إسرائيل بأنه عرض عسكرى وحشد مصر بأنه تحريك للقوات وشتات بين الأمرين.

اليوم الثالث: (١٦ مايو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «خطأ أوثانت المشئوم».

فقد بعث رئيس أركان حرب الجيش المصرى برسالة إلى قائد قوة الطوارئ الدولية يطالبه فيها بتجميع قواته فى غزة، واتصل

القائد بأوثانت الذى استدعى مستشاره رالف بانش، وقد ذكر رالف بانش أن هذا الطلب من جانب المصريين غير قانونى، وعلى ذلك نصح بانش برفض الطلب وأن على المصريين إما أن يطلبوا صراحة مغادرة هذه القوات الدولية لأراضيهم بصفة نهائية أو أن تبقى هذه القوات حيث هى.

ولقد سارع أوثانت بإبلاغ هذا الرأى إلى مصر اعتقادا منه أن مصر لن تجرؤ على طلب مغادرة قوات الطوارئ نهائيا.

اليوم الرابع: (١٧ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «جونسون يتدخل».

ويذكر المؤلف الأسلوب الذى مارسه «ليندون جونسون» للتدخل وطريقة اتصاله بليفى أشكول فى رسالة وجهها إليه، طلب منه فيها ألا تحاول إسرائيل زيادة حدة توتر الأزمة وأن الباب يجب أن يترك مفتوحا ليتراجع منه الرئيس عبد الناصر، فقد طلبت الحكومة الأمريكية من سفيرها فى تل أبيب أن يبلغ حكومة «ليفى أشكول» رسالة جونسون ومضمونها أن الحكومة الأمريكية تبدى قلقها من تدهور الموقف فى الشرق الأوسط، وتشرح الرسالة الخطوات التى قامت بها حكومة الولايات المتحدة لتهدئة الموقف لدى مصر وسوريا، وتضيف رسالة جونسون وأنا أدرك كم تقاسون ويقاسى شعبكم من تكرار الاعتداءات عليكم على الحدود، إلا أننى أرجو أن تدركوا أنه تقع عليكم أعباء وواجبات عدم إتخاذ أى إجراء من شأنه أن يؤدى إلى تدهور الموقف، وإلى تأزمه، حتى لا تشتعل الشرارة فى المنطقة، وأنكم لا شك تدركون أن الولايات المتحدة لا يمكن أن

تعد مسئولة عن حالة تنشأ عن تصرفات تقوم بها جهة دون أن تتشاور معنا».

والتعليق على اليوم الثالث أن يعرض بهذا الشكل لأن يبين اتجاه مصر للحرب ولم يذكر سبب طلب تجميع القوات فى غزة الذى كان فعلا إتاحة الفرص أمام مصر لنجدة سوريا فى حالة عدوان إسرائيل وهو ما أهال عليه المؤلف الظلام.

أما عن عرض المؤلف لليوم الرابع فلا يعبر إلا عن خشية أمريكا أن تتصرف إسرائيل دون الرجوع إلى من يعطيها أوامر «الشغل» لأن المسئوليات الدولية تقع أخيرا على عاتق دولة الحماية.

اليوم الخامس: (١٨ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «نهاية قوات الطوارئ الدولية».

ويصف المفاجأة التى أصيب بها يوثانت نتيجة طلب الجمهورية العربية المتحدة سحب قوات الطوارئ الدولية من أراضيها، ويصف الطريقة التى اضطر إلى أن يلجأ إليها لإعلان ذلك فى مجلس الأمن، ويعرض المناورات التى حاولها مندوب إسرائيل بهدف أن يصدر مجلس الأمن قرارا لإبقاء قوات الطوارئ فى شرم الشيخ، لولا أن يوثانت لا يستجيب لمناورات مندوب إسرائيل، ثم يعرض المؤلف بعد ذلك للمحاولات التى قام بها «آرثر جولدبرج» المندوب الأمريكى لاقناع أعضاء مجلس الأمن لإلغاء القرار، وهى المحاولات التى باءت بالفشل.

وفى هذا اليوم - وهو التالى لليوم الذى أرسل فيه الرئيس الأمريكى «جونسون» رسالته - يجتمع ليفى أشكول بوزير الخارجية

الإسرائيلية للاتفاق على رد على تلك الرسالة ويتفق على نقاط خمس، ترسل صورة منها إلى كل من فرنسا وبريطانيا (أرسلت هذه الرسالة فى اليوم التالى).

وهى النقاط التالية:

١ ـ تصوير الأزمة كما لو كان سببها الأساسى هو سوريا، مع تأكيد إسرائيل أنها أبدت روحا من الصبر، فلم ترد على الاعتداءات السورية على الحدود الإسرائيلية.

٢ ـ أن الجمهورية العربية المتحدة أرسلت إلى منطقة سيناء قوات ذات طابع هجومى منها خمسمائة دبابة، وطالبت إسرائيل بوجوب إعادة هذه القوات إلى الضفة الغربية من قناة السويس.

٣ ـ الاعتراض على قرار سكرتير عام الأمم المتحدة ووصف موافقته على جلاء قوات الطوارئ الدولية بأنه تجاوز لحقوقه، إذ أن هذا من حق الجمعية العامة للأمم المتحدة.

٤ ـ النص على أن كلا من القاهرة ودمشق كانا على ثقة من وقوف الاتحاد السوفيتى إلى جانبهما الأمر الذى يترتب عليه ـ من وجهة نظر إسرائيل ـ وجوب أن تعلن الولايات المتحدة وتعيد التذكير والضمانات التى أعطيت فى الماضى لإسرائيل.

٥ ـ ومن ذلك التعهد الذى قطعه الرئيس جونسون فى يونيو ١٩٦٤ خلال زيارة ليفى أشكول للولايات المتحدة من أن بلاده سوف تتصرف فى نطاق الأمم المتحدة أو بمفردها للاحتفاظ بضمان سلامة واستقلال إسرائيل.

اليــوم الســادس: (١٩ مــايو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «كوسيجين تصله رسالة».

يذكر فيه نص رسالة بعث بها جونسون إلى كوسيجين فى موسكو، يدعو فيها إلى الموافقة على أن تصدر الحكومتان بيانا ينص فيه على أنهما ينويان الاتفاق على اتخاذ إجراء موحد للحد من التوتر فى منطقة الشرق الأوسط، ويفسر المؤلف الموقف فيقول «لقد نشأ فى واشنطون اعتقاد ساد الدوائر الرسمية بأن حربا جديدة شبيهة بحرب فيتنام توشك أن تنشب، خاصة وأنه قد توالت الاتصالات من جميع مؤيدى إسرائيل، وأخذت تنهال على البيت الأبيض تطالب الحكومة الأمريكية بأن يوجه الرئيس جونسون إنذارا حتى تتراجع الجمهورية العربية المتحدة.

ويضيف المؤلف «وفى الصباح وقع جونسون رسالة موجهة إلى رئيس الحكومة السوفيتية متضمنة أن الولايات المتحدة تدرك أن دمشق والقاهرة تعتقدان أنه فى حالة الحرب بين العرب وإسرائيل فإن هاتين العاصمتين ستتلقيان المساعدة والمعونة والمساندة من الاتحاد السوفيتى وأن الولايات المتحدة من جانبها اتخذت قرارا تتمسك به يتضمن المحافظة على سلامة واستقلال إسرائيل ـ ويردف ذلك المؤلف بقوله «ولقد أدرك جونسون احتمال المواجهة بين العملاقين الكبيرين، ولذلك أرسل إلى كوسيجين يقترح عليه أن تتخذ الحكومتان إجراء مشتركا يستهدف الحد من تدهور الموقف العربى الإسرائيلى، ويؤكد أن عملا مشتركا منهما يمكنهما من حل الأزمة فى الشرق الأوسط بصفة عاجلة .

ولا شك أن من أهداف هذه الرسالة آنئذ أنه فى حالة ما إذا كان الرد السوفييتى غير مشجع وغير مرض فإن ذلك يبرر للولايات المتحدة الالتجاء إلى حكومتى كل من بريطانيا وفرنسا لاتخاذ سياسة موحدة أساسها التصريح الثلاثى لعام ١٩٥٠ الذى تعهد فيه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا باحترام (الأمر الواقع) فى الشرق الأوسط.

ونلاحظ أن المعالجة الأمريكية كانت تستهدف تحييد أو تثبيط الاتحاد السوفيتى وتعد تمويها جيدا لأن الولايات المتحدة كانت تعلم - بل ومتورطه - بأن إسرائيل تحضر للحرب.

اليوم السابع: (٢٠ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «ديان يتوقع الحرب».

وفيه يذكر أن القوات المصرية دخلت شرم الشيخ فور إنسحاب قوات الطوارئ الدولية، وأن نزول القوات المصرية جاء بسرعة خشية هجوم إسرائيل بصورة خاطفة بالمظلات لاحتلال شرم الشيخ، ويصف المؤلف كيف أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية - برغم ابتعاد ديان عنها فى ذلك الوقت - إلا أنها اتخذت موقفا عدائيا من «ليفى أشكول» وسياسته المترددة، ويقرر المؤلف أن الأصوات فى هذه المؤسسة العسكرية بدأت تعلو مطالبة بالاستعداد لشن الحرب ضد العرب. وأعلن ديان أنه يتوقع أن تغلق الجمهورية العربية المتحدة المضايق فور احتلالها لشرم الشيخ.

وفى ظل هذه الأحداث، وفى الرابعة من صباح ذلك اليوم يتم اتصال تليفونى بين مستر «ميشيل هيدوى» سفير بريطانيا فى تل

أبيب «وأبا إيبان» ويذكر السفير أن وزير خارجية بريطانيا يستعد فى لحظة الاتصال التليفونى للسفر إلى موسكو ويود أن يستفسر عما إذا كانت لدى إسرائيل النية لشن هجوم بعد دخول المصريين شرم الشيخ، أم أنها فى انتظار إغلاق المضايق، ويردف السفير البريطانى قوله أن بريطانيا ترغب فى تقديم النصيحة لإسرائيل بأن عليها الانتظار إذ قد لاتكون إرادة المصريين قد انصرفت فعلا إلى الحرب.

وهنا لا يقدم المؤلف تفاصيل رد إسرائيل على السفير البريطانى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن المؤلف يغالط الحقائق، فإن مصر بعد أن دخلت قواتها شرم الشيخ كان من الطبيعى أن تغلق المضايق فى وجه سفن إسرائيل لأنها فى حالة حرب معها، وجافى المؤلف الحقيقة، فلم يحدد أن غلق المضايق كان للسفن الإسرائيلية فقط، وبذلك صور المؤلف الموقف كما لو كان مشكلة دولية، ولم يذكر أن موضوع المضايق فى شرم الشيخ يشابه تماما موقف مصر من مرور سفن إسرائيل فى قناة السويس طبقا للقانون الدولى.

اليوم الثامن: (٢١ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «ناصر يقرر».

ويصف اجتماعا يذكر أن الرئيس عبد الناصر عقده لرؤساء أركان الحرب ولكبار مستشاريه قرر فى ختامه غلق مضايق تيران، وأنه لم يكن لذلك أية ضرورة لولا أن سيادته أراد تعمدا أن يجعل من هذا الحدث أزمة عالمية.

اليوم التاسع: (٢٢ مايو ١٩٦٧) - عنوانه «المضايق تغلق».

فيذكر أن الرئيس أخفى أمر غلق المضايق عن (أصدقائه) السوفييت، وأن هذا التصرف جعل موسكو تتألم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تغير نظرتها لسفيرها وقتئذ فى القاهرة، وتقرر البحث عن بديل له لأنه - على حد قول المؤلف - لم يعرف نية الرئيس عبد الناصر وتصرفاته فى الوقت المناسب، وأن موسكو لم تكن مستعدة لمواجهة هذا التصرف كما أنها لم تكن تتمنى حدوثه.

وهنا يربط المؤلف بين هذا الوضع وبين وصول رسالة من الرئيس الأمريكى جونسون إلى «ليفى أشكول» ردا على رسالته المؤرخة ١٨ مايو ١٩٦٧ وفيها يعرب جونسون عن شكره لاسرائيل لما أبدته من رباطة جأش ولتصرفها، ويقرر أنه وجه نداء إلى رؤساء كل من مصر وسوريا يطلب منهما تجنب كل ما من شأنه إندلاع الحرب فى المنطقة، ويقرر أنه تم اتصال بالمسئولين السوفييت الذين وجهوا رداً معتدلا ومشجعا يبدون فيه تفهما للتعهدات الأمريكية، ويقرر أيضا أن الولايات المتحدة سوف تتصرف فى نطاق الأمم المتحدة أو بدونها لمقاومة أى اعتداء فى منطقة الشرق الأوسط، هذه السياسة التى أكدها أربعة من رؤساء الولايات المتحدة هم: ترومان وايزنهاور وكيندى وجونسون، وهى السياسة المقررة فى التصريح الثلاثى عام ١٩٥٠، وينصح جونسون فى رسالته إسرائيل بأن تحاول الاتصال ببريطانيا وفرنسا بوصفهما موقعتين على التصريح الثلاثى. كما يختتم جونسون رسالته بالأعراب عن عدم موافقته على قرار

أوثانت بقبول طلب مصر سحب قوات الطوارئ الدولية، مع إعرابه عن أمله أن تؤدى الزيارة المرتقبة - وقتئذ - للقاهرة إلى نتائج إيجابية، وأنه على ضوء هذه الزيارة ينتظر أن يصدر جونسون تصريحا فى شأن المشكلة.

وطبعا اتبعت اسرائيل نصح جونسون فوجهت الرسائل إلى دول التصريح الثلاثى، ولم يرد الرئيس الفرنسى ديجول، مواصلة لسياسة الصمت الفرنسية التى كانت إسرائيل ترى فيها نوعا غريبا من الصمت، فقد كان الإسرائيليون يتساءلون دائما عن سر هذا الصمت وعن عدم إعلان فرنسا لصوتها رغم مواصلة إرسال الأسلحة الفرنسية لإسرائيل.

ويضيف المؤلف بعد ذلك أنه لدى تأهب أوثانت واستعداده للسفر إلى القاهرة استقبل «آرثر جولد برج» المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة الذى أبلغه رسالة من «دين راسك» مضمونها ابلاغ الرئيس عبد الناصر أن الولايات المتحدة ملتزمة إزاء اسرائيل بتعهدات قام أربعة من الرؤساء الأمريكيين بتأكيدها.

وفى نفس اليوم يوقظ رئيس المخابرات الاسرائيلية «ليفى أشكول» لابلاغه أن راديو القاهرة أذاع نبأ إغلاق المضايق، هذا النبأ الذي يقدم «آرثر جولد برج» المندوب الأمريكى النصيحة إلى السفير الاسرائيلى - بناء على تعليمات الرئيس الأمريكي جونسون - وأنه يطلب ألا تقوم إسرائيل بأى تصرف ولا ترسل أية سفينة فى المضايق و «سوف تجد حلال للأزمة».

هذا فى الوقت الذى تعد الخارجية الأمريكية مشروع برقية

عاجلة إلى الاتحاد السوفييتى تعلن فيها حكومة الولايات المتحدة أنها تعتبر أية محاولة لمنع حق المرور فى المضايق تحت أى علم سواء كان علم إسرائيل أو غيره اعتداء، وأن الولايات المتحدة ترى أن لإسرائيل فى هذه الحالة أن تتمتع بحقها فى الدفاع عن نفسها.

ونلاحظ أن قراءة وصف اليوم العاشر للمؤلف يبين أن الولايات المتحدة قد أعطت إسرائيل الضوء الأخضر أو الاذن بالحرب.

ومن ناحية أخرى فإن التصعيد الذى قامت به مصر كان يمكن أن يخف حتى لاتعطى اسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة ذريعة للحرب والضرب ونقصد بالتصعيد الاجراءين الخاصين بسحب قوات الطوارئ وإغلاق خليج العقبة، فكان يمكن التحرك فى هذين المجالين بشكل أكثر مرونه لأن مصر كانت تدرك النية المبيتة.

اليوم العاشر: (٢٣ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «الحرب من أجل العقبة».

وفيه يصف مدى غضب إسرائيل من غلق المضايق، الأمر الذى دعا إلى إثارة موضوع حرية الملاحة فى المضايق، وهى حرية ضمنتها الدول الكبرى عام ١٩٥٧، وهنا يذكر المؤلف أن جميع المسئولين فى الدول الغربية حاولوا نصح إسرائيل بالانتظار والتريث، هذا فى الوقت الذى وصلت إلى أوثانت - وهو فى القاهرة - برقية من ليندون جونسون يطلب إليه فيها إبلاغ الرئيس بأن أى عائق على الملاحة فى المضايق بما فيها السفن الإسرائيلية سيؤدى إلى ردود فعل من جانب الحكومة الأمريكية.

وهنا يوضح المؤلف - وهو بصدد ختام العشرة أيام الأولى - أن الولايات المتحدة حاولت خلال سنوات عدة اتخاذ موقف محايد فى منطقة الشرق الأوسط، وذلك حتى لاتغضب عملائها من الدول العربية المنتجة للبترول، وحاولت ألا تكون المورد الوحيد للأسلحة إلى اسرائيل، أو على الأقل ألا تقوم بتسليمها مباشرة، وكانت فى سبيل ذلك تساعد بطريق غير مباشر حلفائها الكنديين والانجليز والألمان لأرسال الأسلحة لإسرائيل، ولكنها وجدت أن الأتحاد السوفييتى أغرق الدول العربية بالأسلحة، فكان عليها أن تتصرف وبسرعة لمواجهة التحدى السوفييتى، وعلى ذلك فقد أرسل كيندى صواريخ (هوك) ووافق جونسون على بيع دبابات باتون وطائرات سكاى هوك.

ويقرر المؤلف أنه كان فى موقف الولايات المتحدة أكثر من تناقض، فبينما كان الخبراء بالخارجية الأمريكية ينادون بالحياد، كان المسئولون فى البيت الأبيض قلقين من التصرفات التى تقوم بها الدول العربية بايعاز من الاتحاد السوفييتى - أحيانا كثيرة - وقد أدت هذه التناقضات إلى حيرة سفراء الولايات المتحدة فى البلاد العربية، فبينما كانت تعليمات الخارجية الأمريكية تنادى بعدم نسف الجسور بينها وبين الأمة العربية، كانت تعليمات البيت الأبيض من ناحية أخرى صارمة، فكان على السفراء أن يتصرفوا وفق اجتهادهم.

وعلى سبيل المثال، وصلت إلى السفير الأمريكى الجديد فى القاهرة برقية عاجلة من الرئيس الأمريكى جونسون، وهى رسالة موجهة إلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة تقرر أن الولايات

المتحدة تعارض بشدة كل حركة مسلحة ضد أية دولة فى المنطقة وتطلب احترام سيادة أراضى كل دول المنطقة واحترام اتفاقيات الهدنة، وتقترح إعادة تسريح الحشود العسكرية تدريجيا من مناطق تجمعها فى سيناء، وتعلن تأييد مهمة أوثانت إلى القاهرة، وتركز الرسالة على النقاط التالية:

١ - وجوب بقاء قوات الطوارئ الدولية فى غزة وشرم الشيخ حتى تقرر الجمعية العامة للأمم المتحدة ما تراه فى شأنها، مع عدم إرسال الجمهورية العربية المتحدة. قواتها العسكرية إلى غزة.

٢ - لاتقوم مصر بإرسال أية قوة مسلحة إلى شرم الشيخ قبل أن تتعهد باحترام الملاحة فيها.

٣ - إقتراح أن تزور القاهرة شخصية أمريكية مرموقة أو ترسل القاهرة مبعوثا شخصيا إلى واشنطون مع استعداد الرئيس جونسون لايفاد نائبه للقاهرة للتباحث مع المصريين على المسائل المعلقة بين البلدين.

ويقول المؤلف أن **الوزير محمود رياض هاجم التحيز الأمريكى لإسرائيل وأكد أن غلق المضايق عمل قانونى لايمكن الرجوع فيه ونادى بعدم شرعية الوجود الاسرائيلى، ويعلن «لقد احتلت اسرائيل إيلات عام ١٩٤٩ بعد توقيع إتفاقية الهدنة، وعلى ذلك فمن حقنا أن نمنع السفن الاسرائيلية فى المرور بالمضايق فى تيران، وكذلك من حقنا أن نمنع وصول أى مواد استراتيجية متجهة إلى إيلات» .**

والحقيقة أن قرار الرئيس عبد الناصر بغلق المضايق كان ضربة للولايات المتحدة لم تعرف كيف تتصرف إزاءها، وأوقعها فى حرج شديد، خاصة إذا ما راعينا العقدة النفسية لديهم من جراء حرب فيتنام، فقد كانوا يخشون تكرار حرب من نفس النوع فى الشرق الأوسط.

وقد أدى هذا الموقف إلى تضارب الدبلوماسية الأمريكية، فقد كان روستو يصرح بوجوب الاتفاق مع السوفييت بأى ثمن، بينما كان آخرون يرون احتمال أن تتم بعض التنازلات دون تفريط فى الخطوط الأساسية، وبسبب تضارب الدبلوماسية الأمريكية كان التصرف فى شأن قضية الشرق الأوسط فى يد البيت الأبيض دون الخارجية الأمريكية.

وفى اجتماع فى البيت الأبيض ضم جونسون والعديد من مساعديه، قرر جونسون خضوعا لضغط رجال النقابات ورجال المال ورجال السياسة - برغم معارضة دوائر الخارجية الأمريكية - قرر أن يصدر تصريحا واضح المعالم فى أزمة الشرق الأوسط، وكان هذا التصريح قد عرفه أحد أصدقاء إسرائيل، ويرمز له المؤلف باسم M.A. مما أدى به إلى أن يقابل هيوبرت همفرى وأعرب عن دهشته أن التصريح لم يرد به ذكر لمسألة المضايق ولا لموقف الولايات المتحدة إزاء حرية الملاحة، وذكر صديق إسرائيل أن مثل هذا التصريح يعتبر تصريحا ضارا، وإذا كانت الولايات المتحدة لا ترغب فى اتخاذ موقف من المشكلة الرئيسية فمن الأجدى عدم إصدار أى تصريح على الإطلاق.

وفى هذا الوقت أيضا كان الضغط شديدا على البيت الأبيض فقد قام ٨٧ عضوا من مجلس النواب باصدار التصريح التالى:

«إننا نؤيد كل اجراء تقوم به السلطة التنفيذية أو ترى نفسها مضطرة لاتخاذه حتى يدرك الذين يرغبون فى تدمير إسرائيل، أننا ننوى بحزم مواجهة أى عدوان ووقف أى اجراء من شأنه تدمير إسرائيل أو ضدها يحفظ السلام».

كما أن أحد رجال النقابات الأقوياء أبلغ البيت الأبيض أنه على وشك إصدار تصريح مشابه ولكن المسئولين فى البيت الأبيض أبلغوه بعدم جدوى اصدار ذلك التصريح فى الوقت الحالى إذ أن رئيس الولايات المتحدة سيصدره وأنه على رجل النقابات أن يعلن تأييده لبيان الرئيس الأمريكى.

وبعد ذلك ظهر الرئيس الأمريكى جونسون على شاشة التليفزيون ليعلن «أن الولايات المتحدة تعتبر خليج العقبة مياها دولية، وتعتبر أن غلقه فى وجه إسرائيل عملاً غير شرعى وأن ذلك الاجراء يمثل خطرا على السلام، كما أن حرية الملاحة البريئة فى هذه المياه أمر حيوى بالنسبة للمجتمع الدولى».

ب ـ احداث ٢٤ مايو حتى ٤ يونيو ١٩٦٧

قصد المؤلف من عنوان هذا الفصل «القرار» أنه كان على اسرائيل فى الأيام العشرة السابقة أن تتخذ قرارا يؤدى إلى شن الحرب، وهنا يتجلى التحيز واضحا إلى صف إسرائيل من محاولات المؤلف لتبرئتها أمام الرأى العام العالمى خلال الكتاب.

اليوم الحادى عشر: (٢٤ مايو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «لاتشنوا الحرب... ديجول».

وتميز بمقابلة ابا إيبان للرئيس الفرنسى ديجول، مقابلة اتسمت بالعنف، إذ هدد ديجول إسرائيل وطلب من ابا إيبان ألا تقدم على إجراء وبالذات شن الحرب، وأخطره بأنه أصدر أمرا بحظر إرسال الأسلحة إلى إسرائيل، وأنه يرى عقد اجتماع بين الدول الكبرى الأربع لدراسة الأزمة ولمحاولة الوصول إلى حل لها، ومن الغريب هنا أن نجد المؤلف يحاول أن يكون أمينا، فيذكر أن «ديجول أُفْهِم أن الرئيس عبد الناصر يريد إزالة آخر آثار عام ١٩٥٦ وأن ذلك من حقه».

وفى نفس اليوم يسافر سفير إسرائيل فى واشنطن - فى سرية تامة - إلى مزرعة ايزنهاور ويذكر المبعوث الإسرائيلى إيزنهاور بتعهدات الولايات المتحدة عام ١٩٥٧، ويبلغه أن الرئيس ناصر قد خلق موقفا غير شرعى لا يمكن السماح ببقاء الأوضاع عليه، وأن الاتحاد السوفييتى لاشك يعمل حسابا لأى احتمال لتدخل أمريكى، وعلى ذلك أعرب المبعوث الإسرائيلى عن أمله عدم التخلى عن إسرائيل.

وقد كان لتصريح الرئيس الأمريكى جونسون الذى سلفت الإشارة إليه صدى كبير إذ قوبل بالترحيب من مجلس النواب، كما وأنه نوقش فى جلسة مغلقة لمجلس الشيوخ، بلجنة الشئون الخارجية، حيث قوبلت فكرة قيام الولايات المتحدة بإجراء منفرد - أسوة بما تم فى فيتنام - بالمعارضة، وهاجم السناتور مانسفيلد الرئيس عبد الناصر هجوما شديدا ونصح بأن تتصرف أمريكا فى نطاق مجلس الأمن، وهنا أدرك المراقبون السياسيون أن الولايات المتحدة لن تتصرف إلا بعد أن تتمكن من تجميع قوى دولية أخرى معها فى هذا الإجراء.

ولقد ساعد البيت الأبيض ذاته على تسرب أنباء الاجتماعات إلى أجهزة الإعلام، وعلى ذلك قام المعلق «ايريك سيفاريو» بالإدلاء بهذا التصريح: «يبدو أن الرئيس جونسون لم يقرر بعد ما إذا كانت الولايات المتحدة سوف تقدم على إجراء ما فى حالة اندلاع الحرب فى المنطقة فإذا ما اندلعت المعارك فإن الولايات المتحدة إذا ما وجدت أن سلامة إسرائيل فى خطر فسوف تقوم بضغط شديد لانقاذها». وذلك فى محاولة لتهدئة الضغوط الإسرائيلية فى

الولايات المتحدة لأن تصرفا من جانب الولايات المتحدة شبيه بذلك الذى قامت به فى فيتنام سوف يؤدى إلى انشقاق كبير بين أعضاء الكونجرس الأمريكى.

ويلاحظ على رواية اليوم الحادى عشر أن فرنسا كانت محايدة ومنصفة ولم ترد التورط، بل أن ديجول رأى أن من حق عبد الناصر إزالة بقية آثار عدوان عام ١٩٥٦، أما الموقف الأمريكى فكان معنيا بإسرائيل وأمنها وحدها، وموجها النقد باستمرار لمصر.

اليوم الثانى عشر: (٢٥ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «ليلة الجواسيس».

وفيه يذكر أن الاتحاد السوفييتى أرسل رفضه لاقتراح ديجول بعقد الإجتماع الرباعى، وأن الولايات المتحدة أعلنت اهتمامها بفتح المضايق ولو بالقوة، وأن كندا وبريطانيا وافقتا على رأى الولايات المتحدة الأمريكية، وهنا يصف المؤلف إجتماعات رئاسة أركان مجلس الأمن القومى الأمريكى، ولا يحاول إخفاء تحيز الولايات المتحدة لإسرائيل، وهنا يتعرض للاقتراح الأمريكى الذى تقدمت به الولايات المتحدة لبعض الدول الصديقة من خطة لانزال قوات بحرية على سواحل سيناء للحيلولة دون وقوع الاشتباك المتوقع بين المصريين والإسرائيليين.

وينهى أحداث ذلك اليوم بذكر الضغط الشعبى والعسكرى على «أشكول» وكيف أن أشكول اضطر فى إجتماع مجلس وزراء إسرائيل شن الحرب، ثم موافقة الحكومة على هذا الاقتراح بعد أن كانت قد

اقترعت فى اليوم نفسه على شن الحرب، وكانت نتيجة التصويت بالتساوى بين مؤيدى الحرب ومعارضيها، ويذكر أنه فى هذا اليوم دخلت (جوهرة) الجيش المصرى أى الفرقة الرابعة المدرعة إلى صحراء سيناء وأن الولايات المتحدة بعثت تحذيرا إلى الجمهورية العربية المتحدة.

وفى هذا اليوم يتعرض المؤلف لزيارة «أبا إيبان» إلى واشنطون، ويتعرض كذلك لمقابلته لدين راسك التى كان محددا لها السادسة مساء ذلك اليوم، ثم يسرد واقعة وصول برقية للسفارة الإسرائيلية تفيد أن هجوما خاطفا ينتظر وقوعه من لحظة إلى أخرى، مما دعا إلى تقديم الموعد فتتم المقابلة فى الرابعة والنصف حيث يبلغ أبا إيبان مضمون البرقية إلى دين راسك ويطلب أن تعلن الولايات المتحدة فورا أن أى اعتداء على إسرائيل يعتبر اعتداء على الولايات المتحدة، فيستفسر منه دين راسك «هل أبلغتم الفرنسيين والبريطانيين بهذا الأمر؟».

ويتوجه راسك بعد ذلك لعرض الأمر على الرئيس الأمريكى جونسون فيأمر جونسون باتخاذ الاجراءات التالية الفورية.

- التأكد من صحة المعلومات الواردة فى البرقية بواسطة أجهزة المخابرات الأمريكية.

- الاتصال الفورى بالاتحاد السوفييتى لتهدئة الرئيس عبد الناصر وإثنائه عن شن الحرب.

- إعداد مذكرة عاجلة إلى مصر لتمتنع عن أى إجراءعسكرى وإلا فسوف تتحمل العواقب المترتبة على تصرفاتها.

وفى المساء أرسلت برقية إلى الإتحاد السوفييتى واستدعى السفير المصرى مصطفى كامل إلى الخارجية الأمريكية ليقول له روستو: «طلب منى الرئيس جونسون تليفونيا أن أرسل لحكومتكم تحذيرا، إذ أننا بناء على بعض المعلومات يحتمل أن يكون هناك هجوم ضد إسرائيل قريبا، وأرجو أن تعلموا أنه فى هذه الحالة فإن حكومة الولايات المتحدة، سوف تتصرف على ضوء ميثاق الأمم المتحدة وطبقا لتعهداتها تجاه احترام سيادة وسلامة إسرائيل، ولقد أوضح لى الرئيس أننا ضد أول طلقة وسنحترم تعهداتنا، وأن الأمر الواقع يجب أن يحترم فى المنطقة»، ويضيف روستو «إن هجوما من جانبكم ضد اسرائيل يعتبر انتحارا».

وكان روستو قبل مقابلته للسفير المصرى مجتمعا بأبا ايبان والسفير الاسرائيلى، وكان أيضا قد استأذن منهما لمقابلة السفير المصرى، ويعود روستو بعد المقابلة إلى الجانب الاسرائيلى، ويبلغ أبا إيبان أن دين راسك يطلب مقابلته فورا، فيذهب أبا ايبان ليبلغه راسك أن المخابرات الأمريكية فحصت البيانات التى قدمتها إسرائيل وأنه ليس لديها معلومات يمكن أن يبنى عليها الاعتقاد بأن المصريين يستعدون لشن هجوم مفاجئ خاطف، وأن القوات المصرية لم تتخذ وضع هجوم، وأن الخبراء الأمريكيين لايعتقدون أن مصر ستهاجم قبل عودة أوثانت من القاهرة وتقديم تقريره لمجلس الأمن، ويرد ابا إيبان بأنه لولا أن حكومته على ثقة من هذه المعلومات لما أرسلتها فى برقية عاجلة، وأنه يرجو أن تعيد الحكومة الأمريكية فحص الأمر من جديد، فيوافق دين راسك.

ويضيف المؤلف «وتقوم ثلاثة مجموعات من خبراء وزارة الدفاع والخارجية بفحص المعلومات بشأن الاستعدادات الحربية فى الشرق الأوسط «وينضم إليهم خبراء من المخابرات الأمريكية ويقدمون تقريرا ضخما إلى البيت الأبيض فى نهاية الاجتماع.

ويلاحظ على معلومات اليوم الثانى عشر وفق رؤية المؤلف أن الحديث كان يدور حول احتمال هجوم مصر على اسرائيل وهو أمر كانت الولايات المتحدة متأكدة من عدم صحته، والحقيقة أن قراءة معلومات اليوم الثانى عشر يتبين أن اسرائيل كانت تلح فى الاذن ببدء الحرب.

اليوم الثالث عشر: (٢٦ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «لاتضغطوا بالمسدس على ظهرى»

وفيه يروى المؤلف نص مادار فى المقابلة التى تمت بين جونسون وأبا إيبان، ويوضح أن جونسون ذكر فى هذه المقابلة أنه لايستطيع أن يتصرف إلا بعد أن تفشل الأمم المتحدة فى إيجاد حل للأزمة، وأن مشروع تكوين قوة دولية بحرية لفتح المضايق بالقوة لايمكن لأمريكا أن تقوم به وحدها، وعندما أثار أبا إيبان تعهدات أمريكا احتج جونسون وقال له «لايمكن للولايات المتحدة مساعدة إسرائيل إلا فى حالة الاعتداء عليها، وأن المعلومات تؤكد أن الحشود المصرية ليست سوى استعراض للقوة وأن الولايات المتحدة متأكدة أن مصر لن تهاجم إسرائيل»، وعندما طلب أبا إيبان أن تصدر الولايات المتحدة بيانا تتعهد فيه بالتدخل رفض جونسون وقال له أنه «لايجب أن يتحدث إليه أحد وهو يوجه المسدس إلى ظهره» وذكر

المؤلف هنا أن ديجول صرح في نفس اليوم بأنه يعتقد أن من الأفضل دراسة مشكلة المضايق في روح معاهدة مونترو، وأن أبا إيبان لو كان قد وافق على ذلك فقد وقع في الفخ الذى نصبه له الرئيس الفرنسي إذ أنه بهذه الموافقة على هذا الاقتراح إنما كان يوافق على أن يكون حكم محكمة العدل الدولية لصالح مصر فى حقها فى غلق المضايق فى وجه السفن الاسرائيلية لوجود حالة حرب بينها وبين إسرائيل.

وفى نفس اليوم يتوجه أبا إيبان لمقابلة ماكنمارا، ويطلع أبا إيبان ماكنمارا على برقية واردة من ليفى أشكول تقرر أنه صدم من أقوال دين راسك التى ذكرها فى اليوم السابق، ويطلب أشكول من أبا إيبان بحث موضوع الحشود المصرية فى سيناء، ويشرح أباإيبان البرقية، إلا أنه يصدم بدوره إذ لم يجد شرحه اهتماما كافيا، ويستعين الجنرال هويلر - وكان حاضرا الاجتماع - بخريطة الشرق الأوسط ليبرهن على أن مصر لايمكنها الانتصار على إسرائيل، وأن إسرائيل ستخرج منتصرة فى أى حرب، ويقول هويلر: «لقد فحص خبراؤنا الموقف ودرسوا كافة المسائل المتعلقة به، وكلهم مقتنعون .. ستنتصرون..» فيرد أبا إيبان «وإذا ماهاجموا أراضى مطاراتنا؟» فيجيب هويلر «سواء كانت الضربة الأولى منهم أو منكم فأنتم الأقوى وستنتصرون فى الحالتين».

وبعد ذلك وفى نفس اليوم يقدم وماكنمارا تقريرا مشتركا للرئيس الأمريكى جونسون وينتهى التقرير بالآتى:

..... وبالاختصار فإنه ليس أمام الولايات المتحدة سوى حلين:

١ ـ تكوين قوة بحرية دولية.

٢ ـ ترك إسرائيل تتصرف بمفردها.

وينصح راسك باتباع الحل الأول... تكوين قوة دولية.

ولقد كان لذلك التقرير الأثر الكبير فى موقف الرئيس جونسون لدى مقابلته لأبا إيبان إذ لم يشارك أبا إيبان الرأى بأن الحشود المصرية فى سيناء تمثل خطرا على وجود إسرائيل ويوضح ذلك أن جونسون سأل ماكنمارا الذى كان حاضرا المقابلة، وأن ماكنمارا أجاب «إن أجهزة مخابراتنا متفقة على أن المصريين ليست لديهم لا النية ولا القدرة على مهاجمة إسرائيل».

ويلاحظ أن وقائع ومعلومات هذا اليوم (الثالث عشر) تبين أن الولايات المتحدة كانت تتأكد عن طريق مخابراتها وأجهزة وزارة الدفاع أن مصر ليس لديها النية ولا القدرة ـ حسب التعبير المستخدم ـ على مهاجمة إسرائيل. وهذا الأمر يجرنا إلى نقطة جوهرية أخرى وهى طالما أن الولايات المتحدة بأجهزتها الدقيقة قد تأكدت بأن مصر ليست لديها النية وانها غير قادرة على الحرب. فإنها تكون، إذا أذنت لإسرائيل بالضربة الأولى، قد أصبحت ضالعة فى عملية تدمير شاملة للقدرات العربية والمصرية خاصة وهو أمر ـ أو نقطة ـ لابد أن تحسب بدقة.

اليوم الرابع عشر: (٢٧ مايو ١٩٦٧)

وهو يوم الإنقسام فى الوزارة الإسرائيلية وثورة الرأى العام الإسرائيلى لعدم جدوى فكرة مشروع القوة البحرية الدولية فى

نظره، وكذا لاعتقاد الرأى العام وقطاعات كبيرة من المسئولين فى إسرائيل أنه ليس أمامها سوى دخول الحرب للدفاع عن نفسها للخروج من الحصار الذى فرضه عليها الرئيس عبد الناصر.

وفى نفس اليوم عقد اجتماع لمجلس الوزراء حضره عدد كبير من الخبراء والجنرالات وبدأ استعراض نتائج زيارات إبا إيبان لأوروبا والولايات المتحدة وبالذات مادار مع ديجول وويلسون وجونسون، ونوقش طلب جونسون بأن تنتظر إسرائيل أسبوعين أو ثلاثة تستطيع الولايات المتحدة خلالها إيجاد حل للأزمة فى نطاق الأمم المتحدة أو خارجها، وذكر أبا إيبان أن جونسون أكد أن الولايات المتحدة ستقوم بفتح المضايق بأى ثمن سواء فى ذلك بالتعاون مع دول أخرى أو بدونها إذا اقتضى الأمر، بينما يختلف الواقع عن ذلك لأن جونسون لم يتعهد باسم الحكومة الأمريكية بالقيام بأى عمل منفرد تقوم به الولايات المتحدة، بل وحتى لدى حديث جونسون عن القوة الدولية أوضح أن بلاده لن تساهم فيها إلا بموافقة الكونجرس.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان تقرير أبا إيبان عن محادثاته مع ديجول غير دقيق فقد أعلن أن ديجول ضد الحرب، ولكنه لم يذكر اعتراض ديجول على أى إجراء تقوم به إسرائيل ولم يذكر تحذيراته المتكررة بأن لا يشنوا الحرب، هذه التحذيرات التى يمكن أن توصف بأنها إنذارات.

ويلاحظ على معلومات هذا اليوم للمؤلف أن معارضة إسرائيل لمشروع القوة البحرية الدولية تدل على نية مبيتة لأن هذه القوة الدولية سيكون لها دور محدد وهو فتح المضايق أمام الملاحة أما

«ترك إسرائيل تتصرف بمفردها» على النحو الذى ذكر فمعناه تمكين إسرائيل من الإجهاز على القوة العربية.

اليوم الخامس عشر: (٢٨ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «الجنرالات ضد أشكول».

كان «أشكول» مقتنعا بوجوب الانصياع لنصائح رؤساء الدول الغربية بعدم شن الحرب أو على الأقل عدم البدء فى إطلاق النار، بينما كانت الأركان الإسرائيلية وعلى رأسها «إسحق رابين» وعدد من الجنرالات يرون رأيا مخالفا، فكان هذا بالإضافة إلى الضغط الشعبى سببا فى تغيير سياسته وقبول التخلى عن وزارة الدفاع واسنادها إلى غيره.

أبدى إيبان اعتراضه الشديد على الحرب على أساس أن «جونسون» أوضح له تصميمه على فتح المضايق بالقوة سواء كان ذلك بالتعاون مع الحلفاء أولا.

وينقل المؤلف عن إيبان قوله «ولقد وعدنا بحملة دولية تهدف إلى فتح خليج العقبة أمام سفن العالم أجمع ولن يستطيع المصريون أن يصمدوا فى وجه هذه القوة البحرية الدولية Armada ،كما وعدنا بالإشتراك فى هذه الحملة وبذلك فلن نقاتل بمفردنا فى سبيل المضايق، وأى تصرف منفرد نقوم به فى هذا الشأن سيكون بالغ الأثر سيء النتيجة».

اليوم السادس عشر: (٢٩ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «الفزع».

استحوذ الخوف على الشعب الإسرائيلى إذ رأى حكومته منقسمة ورئيسها متردد فى اتخاذ القرارات، وطالب الرأى العام بوجوب تكوين حكومة ذات صبغة وطنية تضم جميع العناصر اللازمة لمواجهة الأزمة.

تلقى السفير الإسرائيلى وعدا مؤداه أن الرئيس جونسون يدرس احتمال زيادة المعونات الاقتصادية لإسرائيل خلال فترة التعبئة وحالة الطوارئ، وفى الوقت ذاته طلب المسئولون بالخارجية من السفير بيانا بالأعباء التى تتحملها إسرائيل نتيجة هذه التعبئة ولتوقف حركة السياحة وغلق مضايق تيران.

كما ذكر المسئولون بالخارجية للسفير أن الولايات المتحدة ستورد البترول لإسرائيل حتى نهاية الأزمة - سواء من مصافى تكساس أو من فنزويلا. كما طمأنوه بأن كل شئ يسير على مايرام بالنسبة للقوة البحرية.

ويلاحظ على أحداث اليومين السابقين أن المجموعة السياسية فى إسرائيل لم تكن ترغب فى الإقدام على مغامرة الحرب إلا أن المجموعة العسكرية كانت تدفع فى اتجاه الحرب.

اليـوم السـابع عـشـر: (٣٠ مـايو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «دولفين» .

استأجرت إسرائيل سفينة يونانية «دولفين» وأوفدت إلى ميناء مصوع طاقما إسرائيليا ليقودها إلى المضايق ويتم بذلك إحراج الرئيس عبد الناصر.

استدعى الإخوان روستو سفير إسرائيل فى واشنجتون وأكدا له أن بوادر نجاح مشروع القوة البحرية قد بدأت تظهر بوضوح وأن الإعلان الخاص بها قد تم إعداده، كما جرت اتصالات مع عدة دول من التى يرجى انضمامها إلى القوة الدولية.

ويقول المؤلف «كان جونسون فى هذا الوقت لا يترك زائرا إلا وينتحى به جانبا ليسأله عما إذا كانت لدى دولته بعض السفن لتشترك بها فى القوة البحرية، كما حاول اقناع وفد إيطالى كان يزور بلاده وقتذاك بإنضمام إيطاليا إلى القوة ولكن الإيطاليين رفضوا ذلك» .

لم يذكر روستو واقعة رفض إيطاليا للسفير الإسرائيلى، بل كان وغيره من المسئولين يحرصون على ترديد أن خطة سرية سوف تعرض على الكونجرس للقيام بفتح المضايق بالقوة سواء اشتركت أو لم تشترك فيها الدول الأخرى.

والغريب أن دوائر الكونجرس لم تكن تدرى شيئا عن هذه الخطة ولم يحاول أى مسئول أمريكى حتى جس نبض الأعضاء، بل لقد كان على المسئولين الأمريكيين تهدئة أعضاء الكونجرس والتمهيد

لإزالة آثار احتمال قيام الولايات المتحدة بعمل من جانبها لفتح المضايق بالقوة.

كان البيت الأبيض واضحا فى دوره بعكس الخارجية فقد لعبت دورا مزدوجا، فهى من جهة كانت تثبط عزيمة الإسرائيليين بمحاولة مد أجل المباحثات لعدة أيام بحجة أنها تسعى للحصول على موافقة الكونجرس لتأييد اتخاذ خطوة حازمة، ومن جهة أخرى كانت تعمل على تجميد موافقة الكونجرس على الخطة.

والواقع أن الأمريكيين كانوا يأملون كسب الوقت والحصول على تأييد عدة دول بشأن الاشتراك فى القوة الدولية البحرية، وفى الوقت ذاته يتم التوصل إلى اتفاق مع ناصر عن طريق المبعوثين الأمريكيين الذين أوفدوا إلى القاهرة.

ويمضى المؤلف قائلا إن الأمريكيين استيقظوا من الوهم الذى عاشوا فيه بخصوص القوة الدولية وبدأوا يدركون أن الطريق الذى سلكوه كان خاطئا منذ أن وقع ناصر إتفاقية الدفاع المشترك مع الملك حسين، وهو مادعى والت روستو إلى إبداء تشاؤمه للسفير الإسرائيلى فى مقابلة لاحقة وإلى التصريح له - أى السفير - بأنه لايرى أى حل للأزمة.

اليوم الثامن عشر: (٣١ مايو ١٩٦٧) - وعنوانه «غضب جونسون».

غضب «جونسون» غضبا شديدا للنبأ الذى أذيع عن عزم إسرائيل القيام بمحاولة منفردة من جانبها ودون استشارة أصدقائها لفتح المضايق بالقوة.

اليوم التاسع عشر (أول يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «ناصر يستقبل زائرا سريا».

هذا الزائر هو «اندرسون» والذى كان وزيرا للمالية فى عهد إيزنهاور وهو صديق شخصى للرئيس عبد الناصر.

أوفده جونسون بصفة سرية للتباحث مع الرئيس عبد الناصر، وقد أبرق المبعوث الأمريكى إلى واشنجتون بما دار فى مباحثاته مع الرئيس عبد الناصر مؤكدا أن الرئيس ليست لديه أية نية للتراجع وناصحا فى الوقت ذاته بترك الباب مفتوحا للتراجع فى الوقت المناسب.

كانت هذه الزيارة لاحقة لزيارة قام بها «ريتشارد بوست» إلى القاهرة فى ٢٩ مايو حيث التقى بوزير الخارجية المصرى السيد/ محمود رياض الذى استقبله بترحاب وأدب معلنا رأى مصر من أن إسرائيل تستعد لمهاجمة سوريا، وأن القاهرة قد أخطرت السوفييت بذلك وقامت بالاستعدادات اللازمة.

وأضاف الوزير المصرى أن الأحداث سبقت مصر، ذلك أنه عندما طلبت القاهرة من قيادة قوات الطوارئ الدولية تجميع القوات فى مواقعها ومعسكراتها، وضعت هذه القوات القاهرة فى موقف دقيق عندما خيرتها بين الانسحاب الكامل أو عدم الإنسحاب أصلا، ولم يكن أمام مصر إلا طلب الإنسحاب الكامل.

كما أضاف الوزير المصرى لـ «بوست» بأنه لم تكن لدى القاهرة رغبة فى احتلال شرم الشيخ ولا غلق المضايق، غير أن الظروف

القومية والاستراتيجية العسكرية حتمت احتلال شرم الشيخ وترتب على ذلك حتمية غلق المضايق.

اليوم العشرون: (٢ يوينو ١٩٦٧) - وعنوانه «وفاة الأرمادا Armada».

تراجعت الدول البحرية عن فكرة فتح المضايق بالقوة بعد أن أعلن الرئيس عبد الناصر أن أية دولة تشترك فيها سوف تعتبر عدوا ولن يسمح لها باستخدام قناة السويس وتخلت هذه الدول عن فكرة إنشاء قوة بحرية دولية باستثناء استراليا ونيوزيلندا.

أبلغت الولايات المتحدة إسرائيل أنها لاتستطيع العمل وحدها فى هذه الخطة مالم تساندها الأمم المتحدة أو على الأقل الدول البحرية الكبرى، وبذلك ماتت فكرة القوة البحرية وما صاحبها عن فتح المضايق بالقوة المسلحة.

اليوم الحادى والعشرون: (٣ يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «وجها لوجه مع ديجول».

أبرز المؤلف غضب ديجول من تصرفات إسرائيل. وكان ديجول يعتقد طبقا لما ورد إليه من معلومات، أن إسرائيل سوف تشن الحرب.

أصدر ديجول بيانا يحظر فيه إرسال الأسلحة لإسرائيل حظرا شاملا وبهذا وقفت فرنسا معادية عداء صريحا لإسرائيل.

علق «دين راسك» على موقف فرنسا من إسرائيل للسفير الإسرائيلى فذكر:

١ ـ أنه مندهش لهذا الموقف المخيب للآمال، وأنه إذا كانت الولايات المتحدة قد أعتادت وتتوقع ألا تنفذ فرنسا تعهداتها في نطاق حلف الأطلسى، إلا أن موقفها من إسرائيل مخيب للآمال فعلا، ويمكن لإسرائيل أن تستغل نفوذها هناك للضغط عليها كى توقع التصريح الدولى.

٢ ـ أنه يود معرفة موقف فرنسا لو منعت مصر سفن إسرائيل بالقوة من المرور فى المضايق، وهل ستعتبر مصر هى البادئة بإطلاق النار إذا أطلق المصريون النار على سفن إسرائيل.

٣ ـ إن موقف الاتحاد السوفيتى غير واضح.

يعلق المؤلف بأن راسك ـ عندما ذكر ما أسلفناه ـ لم يكن يدرى أن نفوذ إسرائيل فى فرنسا قد قارب الصفر.

أضطر «أشكول» إلى مواجهة الخطة التى كان يتبناها بعض الوزراء وغيرهم من السياسيين خارج الحكم والخاصة بتغيير وزير الدفاع وتوليتها لموشى ديان.

وكان «أشكول» قد حاول إضاعة الفرصة على ديان فوافق على إسناد الوزارة إلى آلون ولم تعد تنجح محاولاته إزاء تدخل رؤساء الأحزاب التى تساند المؤسسة العسكرية مثل مناحم بيجين وأضطر أخيراً كما سلف إلى إسناد وزارة الدفاع إلى موشى ديان.

وأبرز ما نلاحظه على معلومات المؤلف عن اليوم «واحد وعشرين» أو ١٩٦٧/٦/٣، أن الولايات المتحدة ترى الموقف السوفييتى غير واضح وهو أمر بالغ الخطور لأن الموقف السوفييتى

، ثلا كان أدنى من المواقف السابقة، وكان الأحرى به أن يتوازى مع الموقف الأمريكى المساند لإسرائيل وهنا لم تكن إسرائيل لتقدم على مغامرتها، وقد قامت إسرائيل والولايات المتحدة بحسابات دقيقة للموقف السوفييتى وتأكدت أن موقفه سيكون أقل من المطلوب.

اليوم الثانى والعشرون: (٤ يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «بن جوريون يبارك الخطة».

أعاد ديان دراسة ملفات رئاسة الأركان فور تسليمه لأعمال وزارة الدفاع ، وبالذات دراسة الخطة المقترحة لتدمير سلاح الطيران المصرى بضربة مفاجئة ثم اختراق القوات المصرية فى سيناء والتقدم السريع نحو قناة السويس.

أرسل ديان هذه الخطة فى المساء للعرض على «بن جوريون» فوافق عليها وباركها.

ويلاحظ على معلومات اليوم الثانى والعشرين أن خطة الطيران الإسرائيلية التى نفذت بنجاح يتحمل وزرها المسئولون المصريون بالرغم من كل ما يمكن أن يقال بأن معلومات المطارات والطائرات قدمتها الولايات المتحدة، مع ذلك فالاهمال مصرى وسوء التحرك مصرى والفشل مصرى.

(جـ) أحداث ٥ يونيو حتى ١٠ يونيو ١٩٦٧ :

وقد أشتمل الفصل الثالث لسيناريو المؤلف «ميشيل بارزوهار» على ستة أيام من يوم ٥ - ١٠ يونيو ١٩٦٧ وهى الأيام الستة المشئومة.

اليوم الثالث والعشرون: (٥ يونيو ١٩٦٧)

- أول أيام الحرب، وقد أطلقت القوات الإسرائيلية الطلقة الأولى.
- حاول المسئولون الإسرائيليون التغطية على خطتهم بتصريحات تفيد أنهم سوف يركنون إلى الإنتظار تلبية لرجاء أصدقائهم فى الدول الغربية.
- فى الساعة الثالثة صباحا بتوقيت واشنجتون كان «دين راسك» يهرع بالصعود إلى مكتبه ويتوجه إلى غرفة العمليات ويبدأ فى فحص وقراءة البيانات الواردة من كافة الجهات.
- وفى الرابعة والنصف صباحا يقرر «راسك» بالاتفاق مع روستو وماكنمارا إيقاظ الرئيس جونسون فيتصل به روستو ليبلغه أن الحرب قد اندلعت فى الشرق الأوسط وليشرح له الهجوم الذى وقع على المطارات المصرية.

أهتم الرئيس الأمريكى وسأله عمن بدأ بالطلقة الأولى، فذكر روستو أن الأمر غير واضح.

- قدمت كافة الأجهزة تقارير عاجلة للرئيس «جونسون» أكدت كلها أن إسرائيل تستطيع الانتصار فى مدى أربعة أو خمسة أيام.

كما حددت المدة اللازمة لتدمير سلاح الطيران المصرى على الأرض بأربعة وعشرين ساعة.

أدلى جورج كريستان السكرتير الصحفى فى الساعة السابعة بالتصريح الرسمى الأول الذى جاء فيه أن الرئيس جونسون قلق من اندلاع الحرب وآسف لما حدث، وأنه يوجه نداءه بوقف القتال فورا.

- أرسلت برقيات عاجلة إلى الملحقين العسكريين فى تل أبيب والقاهرة لمعرفة البادئ بإطلاق النار، وفى الساعة الثامنة كان الموضوع قد أتضح.

- استمرت الولايات المتحدة فى دراسة الوضع الراهن فى الشرق الأوسط، وكان من أهدافها المحافظة على السلام العالمى، وقد أخرجها نشوب القتال من مأزق حرج وأحلها من وعودها لإسرائيل خاصة بعد أن أدركت أن مشروعاتها والتزاماتها لحل الأزمة لم تكن تتمتع بأية فرصة للنجاح.

- أوضحت رسالة كوسيجين نية الاتحاد السوفييتى فى عدم التدخل فى النزاع، وقرر المجتمعون الأمريكيون (راسك، روستو، ماكنمارا) أن تعمل واشنجتون على ألا يتشعب النزاع وأن يتم حصره فى أضيق الحدود مع بذل المساعى لإيجاد حل للنزاع العربى الإسرائيلى.

- وفى السابعة تقريبا بتوقيت موسكو (الظهر بتوقيت واشنطون) وردت عن طريق الخط التليفونى الأحمر الرسالة الثانية من كوسيجين إلى جونسون، ولم تكن الرسالة سوى إنذار يعيد إلى الذاكرة الرسائل التى بعث بها الأتحاد السوفييتى إلى كل من انجلترا وفرنسا وإسرائيل فى ٥ نوفمبر ١٩٥٦، ويعيد التذكير بما يملك الاتحاد السوفييتى من وسائل تدمير هائلة ويهدد بأنه فى حالة عدم إنسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فسوف يضطر إلى اتخاذ الوسائل اللازمة الكفيلة بوقف العدوان وأنه لايستطيع الوقوف مكتوف الأيدى إزاء العدوان الغاشم الذى يقع أمام عينيه.

ـ ولقد أثارت هذه الرسالة فزعا فى البيت الأبيض، إذ أصبح العالم مهددا بحرب نووية يمكن أن تقع فى أية لحظة ـ ولكن جونسون قابل الأمر بهدوء، واتفق مع والت روستو على خطة ذات مرحلتين: بدأها بارسال برقية إلى موسكو تفيد وصول رسالة كوسيجين، وأصدر أوامره للأسطول السادس بالتحرك إلى منطقة القتال، وفى دقائق قامت البوارج وناقلات الطائرات متجهة إلى سيناء وسواحلها، ولقد سجلت أجهزة رادار البوارج الروسية الموجودة فى البحر الأبيض هذه التحركات، وكان جونسون يهدف إلى ذلك، ثم حرر الرئيس جونسون رسالة إلى كوسيجين كرر فيها تعهدات الحكومة الأمريكية باحترام سيادة واستقلال دول المنطقة بما فيها إسرائيل، وذكر فيها (نحن مصممون على احترام تعهداتنا وقد كنا نأمل أن يتصرف الاتحاد السوفييتى مثلنا، وأن على الدولتين الكبيرتين أن توحدا جهودهما من أجل تصرف حكيم عاقل فى إطار بناء لوضع حد للقتال فى هذا الجزء من العالم) . وصلت الرسالة إلى موسكو بعد أن كانت قد بلغتها أنباء تحركات الأسطول السادس الأمريكى فى اتجاه منطقة لقتال وأدرك السوفييت المناورة والتهديد الذى تنطوى عليه، وأن كل تصرف من جانبهم ضد إسرائيل سوف يقابله تدخل عسكرى من الأسطول السادس، يؤدى إلى مواجهة نووية بين الـ ـوتين الكبيرتين.

فى هذه اللحظات التى كانت تطير فيها الرسائل بين موسكو وواشنطن عقد «روبرت ماكلوسكى» المتحدث الصحفى الأ ـريكى مؤتمرا صحفيا عن أحداث الشرق الأوسط وسأله أحد الصحـ ـيين..

ماهو موقف الولايات المتحدة تجاه النزاع. ففكر ماكلوسكى لحظة ثم رد: «نحن محايدون فى التفكير وفى الكلام وفى الحركة»، ولعل مرجع هذا الرد تلك الواقعة التى مؤداها أنه عندما بدأت الأنباء تتوالى على غرفة العمليات معلنة الانتصارات الإسرائيلية كان الموظفون يستقبلونها بموجات من الفرح ويطلقون صيحات المرح، فنهرهم «أوجين روستو» مازحا، ياسادة لا تنسوا أننا محايدون فكرا وقولا وعملا. وهكذا تذكر ما كلوسكى هذه الجملة وكررها فى المؤتمر الصحفى، ولم يكن يدرك وقتئذ رد فعلها إذ انهالت الاحتجاجات والمكالمات التليفونية الساخطة من القادة الأمريكيين وأعضاء المنظمات اليهودية على البيت الأبيض، ولم يفسر تصريح ماكلوسكى على أنه إعلان عن حياد أمريكا فى النزاع، بل على أنه إعلان عن عدم اهتمامهم بما يحدث فى الشرق الأوسط.

ولقد أثار تصريح ماكلوسكى غضب جونسون إذ صدر فى الوقت الذى هدد فيه الروس بالتدخل ضد إسرائيل، ولأنه تصور أن الروس يمكنهم أن يفسروا هذا التصريح على أن الولايات المتحدة لايهمها مايحدث فى الشرق الأوسط وأنها تريد انتهاج سياسة العزلة وأنها لن تتحرك إذا ما أطلق الاتحاد السوفييتى لنفسه العنان فى المنطقة، لذلك فقد بارد جونسون إلى إصدار تصريح أذاعه جورج كريستان على الصحفيين وكان نصه كالآتى:

«إن ماكلوسكى أراد أن يوضح أن الولايات المتحدة ليست طرفا محاربا في النزاع، ولم يكن يقصد بأنها محايدة أو أن الأمر لايهمها»، وأعلن راسك بعد ذلك «إن كلمة الحياد فى مفهوم القانون

الدولى تعد التعبير عن موقف، ولاتعنى أبدا عدم المبالاة، لأن الولايات المتحدة لاتستطيع أن تقف موقف اللامبالاة فى النزاع».

وأبرز تعليق على معلومات اليوم السابق أن الأتحاد السوفييتى تراجع عن انذاره وترك العالم العربى يواجه قدره بينما حرك جونسون أساطيله إلى قرب ميدان المعركة تحديا للأنذارات السوفييتية.

اليوم الرابع والعشرون: (٦ يونيو ١٩٦٧)

بعنوان «عكة سرى للغاية» وهو الاسم السرى للخطة الإسرائيلية للحرب ضد مصر، وصف مفصل لتقدم الفرق الثلاث المدرعة الإسرائيلية نحو قناة السويس.

اليوم الخامس والعشرون: (٧ يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «القدس الذهبية».

يتناول الأسلوب الذى دخلت به الأردن الحرب ضد إسرائيل، ويقرر أن القيادة الاسرائيلية قد اضطرت إلى إبلاغ قادة القطاع الشرقى بالتصرف حسب مقتضيات الظروف - ويصف الصعوبة التى واجهت الاسرائيليين حتى تمكنوا من إسكات القوات الأردنية واحتلال القدس العربية.

يبرز المؤلف مدى اعتزاز الاسرائيليين باحتلال القدس «الذهبية» لما لها من مكانة فى نفوسهم.



رقص اليهود ابتهاجاً بأنتصارهم فى حرب يولية ١٩٦٧

اليوم السادس والعشرون: (٨يونيو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «جونسون يصيح، إنها الحرب العالمية الثالثة».

ضرب الزوارق الاسرائيلية لسفينة التجسس الأمريكية «ليبرتى» وأصابتها إصابات مباشرة.

ـ أبلغت «ليبرتى» قيادتها فى أمريكا ـ وهى تابعة للمخابرات ـ وأبلغ النبأ فورا دون تحديد المعتدى إلى جونسون، مما أدخل فى روع جونسون الاعتقاد بأن الاتحاد السوفييتى هو الذى اعتدى على السفينة الأمريكية، لولا أن ورد اعتذار إسرائيل العاجل عن الحادث وابلاغ جونسون به، ثم قيامه فور ذلك إلى التليفون الأحمر ليروى للأتحاد السوفييتى تفاصيل ما حدث خوفا من اعتقاد السوفييت بأن تحركات الطائرات تقصد سفنهم فى البحر المتوسط، وهنا يقول المؤلف «وعلى الرغم من الحزن البادى على جونسون فقد تنهد بارتياح، إذ معنى ذلك أن الروس لم يهاجموا ولن تعلن الحرب.

اليوم السابع والعشرون: (٩ يوليو ١٩٦٧) ـ وعنوانه «ثورة فى الدول الشرقية».

ـ حدثت ثورة لدى الرأى العام فى العالم الشيوعى ضد إسرائيل نتيجة لانتصارها الساحق السريع ضد الدول العربية، قامت الدول الشيوعية بقطع علاقاتها باسرائيل باستثناء رومانيا.

ـ لم تكن القيادة الاسرائيلية تفكر فى هذه اللحظة ـ فى الرد الحاسم على الاعتداءات السورية غير أنه بعد انتهاء معاركها مع مصر والأردن أصدرت الأوامر لقادة القطاع الشمالى بالهجوم على المرتفعات السورية والاستيلاء عليها.

ونلاحظ على معلومات اليوم السادس والعشرين أن ضرب السفينة ليبرتى لم يكن مصادفة ولكنها طبيعة الإسرائيليين الذين يستخدمون العنف والإرهاب لتحقيق مكاسب سياسية، فهل كان ضرب ليبرتى محاولة لدق اسفين بين القوتين العظمتين؟؟

اليوم الثامن والعشرون: (١٠ يونيو ١٩٦٧) - وعنوانه «إنذار بالتليفون الأحمر».

- أرسل الاتحاد السوفييتى رسالة عاجلة إلى واشنطون يطالب فيها بتوقف الاسرائيليين وإلا فسوف يضطر للدفاع عن النظام القائم فى سوريا، وأبلغ هذا التحذير إلى إسرائيل.

- استقبل أشكول سفير الاتحاد السوفييتى فى تل أبيب، وكان أشكول يرتعد خوفا من هذه المقابلة التى تمت بناء على طلب السفير السوفييتى بعد منتصف الليل بصفه عاجلة إذ كان يعتقد أن سببها هو للتحذير من التدخل السوفييتى المسلح، ولكنه لم يلبث أن تنفس الصعداء عندما ذكر السفير أنه مكلف بابلاغه أن الاتحاد السوفييتى قد قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل، وقد أدرك أشكول بطبيعة الحال أن قطع العلاقات الدبلوماسية يعنى أن الحكومة السوفييتية لم تقرر التدخل المسلح.

- أما عن رد فعل رسالة الاتحاد السوفييتى إلى واشنطون لدى المسئولين الأمريكيين فقد استدعى «جولدبرج» المندوب الاسرائيلى بسرعة وأنهى إليه نص ماورد له من البيت الأبيض متضمنا الرسالة السوفييتية التى وردت عن طريق التليفون الأحمر، ويقول جولدبرج لمندوب إسرائيل: «إن الحالة متوترة وبعد لحظات سوف يعلن مندوب



ليفى أشكول يقدم الشكر إلى لندون جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لموقفه المؤيد المطلق لإسرائيل فى حرب يوليو ١٩٦٧ وتوجيهها مدافع الأسطول السادس على الأسكندرية وبورسعيد.

الاتحاد السوفييتى أن بلاده سوف تتدخل عسكريا فى الشرق الأوسط إذا لم توقفوا زحفكم، ولا تستطيع الولايات المتحدة أن تقف مكتوفة الأيدى أمام إعلان أو تصريح كهذا. ولذلك فيجب وقف إطلاق النار فورا. حتى ولو لم يصدر السوفييت هذا الإعلان، لأنه لو حدث فإن الجميع سوف يعتقدون أن الولايات المتحدة وإسرائيل قد سلمتا خوفا من التهديد السوفييتى.

تعليق آخر:

يقرر المؤلف فى الجزء الأخير من كتابه أن طالما ظل العرب يحلمون بتدمير إسرائيل وطالما لم يدركوا الحقيقة البسيطة التى تتخلص فى أن إسرائيل أقوى منهم فإن الحرب سوف تستمر.

ويعود المؤلف فيؤكد أن الحرب سوف تظل مستمرة حتى يدرك العرب أن إسرائيل حقيقة واقعة وحتى يفيقوا من حلمهم بتدميرها.

ويوضح بعد هذه النقطة أن إسرائيل مستعدة لإجراء بعض التنازلات بشرط واحد هو أن يقبل العرب مبدأ التفاوض والعيش مع إسرائيل فى سلام وهدوء.

وينتقى المؤلف عبارة إنشائية يختتم بها ويجرى نصها:

«تدرك إسرائيل أن عليها أن تبذل دمها ثمنا لبقائها لسنوات عديدة، وأنه على الرغم من أن هذا الثمن باهظ فإنه لا يوجد إسرائيلى واحد يقبل أن تستبدل هذه القطعة من الأرض «المسماه إسرائيل» مقابل جنات الدنيا كلها».

القسم الثاني عشر

الجهود السياسية الدولية عقب حرب يونية ١٩٦٧ ومأزق القرار ٢٤٢

الجهود السياسية عقب الحرب

(أ) رد الفعل الأمريكي:

كان رد الفعل الأمريكي الرسمي لنتيجة حرب يونيو مشوبا بالارتياح الأمر الذى عبر عنه «ريموند هير» مساعد وزير الخارجية الأمريكية قائلا للسفراء العرب آنذاك: إن ألمانيا جديدة مزدهرة قد خرجت من حطام ألمانيا النازية.

كان المسئولون الأمريكيون يتوقعون انهيار النظم الثورية فى العالم العربى نتيجة للانتصار الخاطف الذى حققته إسرائيل، رغم ما أبدته هذه النظم - وخاصة فى مصر - من قدرة على مواجهة الأيام العصيبة التى أعقبت الهزيمة مباشرة.

ولتحقيق هدفها، عمدت الولايات المتحدة إلى انتهاج سياسة - وقد نجحت فى ذلك - من شأنها تحويل الأمر من عدوان إسرائيلى محدد إلى طرح موضوع النزاع العربى الإسرائيلى برمته. وبذلك ضمنت لإسرائيل أن يكون «التزامها» بالإنسحاب مرتبط بالتزامات عربية مقابلة. ثم مضت السياسة الأمريكية نحو هدفها خطوة أخرى

حين دعت إلى وجوب تسوية الأزمة فى اطارها المتقدم بمعرفة أطراف النزاع ودون تدخل خارجى من جانب الدول الكبرى.

ففى النقاط الخمس التى دعا إليها الرئيس جونسون فى ١٩٦٧/٦/١٩ من أجل «إقامة سلام دائم» بين العرب وإسرائيل، لم يشر إلى إنسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة، ولكنه أهتم بإبراز أهمية وقف تزويد منطقة الشرق الأوسط بالسلاح. بما يهدف عملا إلى استمرار الاحتلال الإسرائيلى على ما يشكله ذلك من ضغط متزايد على الدول العربية، ومواجهة السياسة السوفييتية المؤيدة لسياسة العرب سلميا.

وفى اجتماع جلاسبورو (من ٢٣ ـ ٢٥ يونيه) حاول جونسون عبثا اقناع كوسيجين بوقف تزويد الجمهورية العربية المتحدةبالسلاح، كما فشل الأخير فى حث الولايات المتحدة على مشاركة الاتحاد السوفييتى فى ضغط مشترك على إسرائيل لسحب قواتها من الأراضى المحتلة، وقد أكدت إدارة جونسون للسوفييت عزمها على الوقوف إلى جانب إسرائيل بطريقة لا تخلو من الصلافة، حين أعلنت فى ذات اليوم المحدد لاجتماع جلاسبورو، عن تقديمها تسهيلات إئتمانية بمبلغ ٣٠ مليون دولار لإسرائيل.

(ب) أمريكا والنزاع أمام الأمم المتحدة:

١ ـ بتاريخ ٩ نوفمبر ٦٧ قدمت الولايات المتحدة مشروعا إلى مجلس الأمن لتسوية النزاع العربى الإسرائيلى سقط عند الاقتراع عليه، وكان المشروع الأمريكى أكثر تأييدا للموقف الإسرائيلى عما ورد

فى المشروع البريطانى الذى تمت الموافقة عليه بالإجماع. وذلك فى ثلاث نقاط محددة:ـ

(أ) استعماله لفظ RCOGRITION بالنسبة لسيادة الدول فى المنطقة؛ بدلا من ACKNOWDGEMENT التى وردت فى المشروع البريطانى.

(ب) النص على أن يؤكد مجلس الأمن على ضرورة تحديد سباق التسلح فى المنطقة.

(جـ) النصر على أن تكون مهمة الممثل الخاص للسكرتير العام، هى مساعدة الدول المعنية على بحث حلول للأزمة WORKING OUT SOLUTIONS، بينما ورد فى المشروع البريطانى أن تكون مهمته هى الاتصال بالدول المعنية بقصد التوصل لاتفاق TO PROMOTE AGREEMENT.

٢ ـ وقد أصرت الولايات المتحدة، سواء فى تفسيرها لقرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر، أو لمهمة يارنج، على ضرورة قيام تفاوض مباشر بين الدول العربية وإسرائيل. كما رفضت الضمانات الدولية التى لا تتمشى مع مصالح إسرائيل، فقصرتها (فى الرد على المشروع السوفييتى بتاريخ ديسمبر سنة ١٩٦٨) على طلب توجيه جهود الدول الكبرى لوقف تزويد المنطقة بالسلاح، والعمل على وقف تزايد ما وصفته بعمليات «الإرهاب العربى».

(جـ) مأزق القرار ٢٤٢ :

إنتهت مداولات الدول الكبرى إلى صيغة عرفت باسم القرار ٢٤٢ فى ١٩٦٧/١١/٢٢ ويلاحظ طول الفترة التى استغرقتها للوصول إلى تفاهم حول القرار (من يونيو حتى نوفمبر). ورغم إحتواء القرار على بعض الألفاظ الغامضة وأبرزها الخلاف حول كلمة «من أراضى» بدلا «من الأراضى» فإن ديباحة القرار لم تترك مجالا للشك فى أن قصد القرار هو الإنسحاب من كل الأراضى المحتلة. وقد عمدت إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة لأسباب تتصل أيضا بالمصالح الأمريكية إلى عرقلة تنفيذ هذا القرار لمدة طويلة متذرعة بالإختلاف حول التفسير وبذلك مكنت الولايات المتحدة إسرائيل من الإبقاء على الأراضى المحتلة رهينة هذا الإلتواء المستمر فى تفسير القرار حتى قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وكانت الولايات المتحدة تتخوف من مصر لأنها وفق التصور الأمريكى قد سهلت التواجد السوفيتى فى الشرق الأوسط ودعمت من قدراته وينبع التأمين الأمريكى الضخم لإسرائيل من التصور الأمريكى بأن إسرائيل هى الإمتداد الأمريكى حضاريا وسياسيا وعسكريا فى الشرق الأوسط، وقد رسخ هذا التصور بتأثير «اللوبى» الصهيونى فى الولايات المتحدة الذى ربط بين هذا التصور وبين المصالح الأمريكية، وهى مصالح إقتصادية وأخرى تتصل بالسياسة الكونية الأمريكية التى تهتم بتعقب وتحجيم النفوذ السوفييتى آنئذ، والغرض من وراء التأييد الأمريكى اللامحدود لإسرائيل هو إرهاق وإستنزاف الدول العربية الثورية ومن ثم التأثير على النفوذ والتواجد السوفييتى فى المنطقة.

وقد عانت الأمة العربية من عوامل ضعف واضحة بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وكان المنطقى أن تتجاوز أزمتها لمواجهة آثار العدوان وإزالته إلا أن عوامل الضعف كانت فى الخلافات الجانبية والاتهامات المتبادلة بين الدول العربية. يضاف إلى ذلك أن الدول العربية بدلا من الإلتزام بقرارات مؤتمر الخرطوم عمدت إلى معارضة كل مبادرة لحل الأزمة فى إطار القرار ٢٤٢ وبذلك أعطت مسوغا لاستمرار الاحتلال وتجميد الموقف وأخيراً نجد الدول العربية البترولية قد إقتصرت مساندتها على حد المبالغ الرمزية المحدودة التى أقرها مؤتمر الخرطوم وكان كل ما يعنيها هو تقديم هذا الدعم المادى دون تفهم لب الإستراتيجية وهى قومية المعركة بكل ماتحمله الكلمة من آفاق.

(د) عوامل القوة:

كانت رؤية مؤتمر الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) من أبرز عوامل القوة التى مهدت لحرب أكتوبر ١٩٧٣ لأن أحداث التاريخ لا تنشأ من فراغ بل وفق مقدمات تؤدى إلى مسار محدد ثم إلى نتائج تتفق مع هذا المقدمات. وقد عدل مؤتمر الخرطوم كما سبق أن قلنا من جوهر الإستراتيجية العربية، من وحدة الهدف إلى وحدة الصف، ومن التحرير الكامل لأرض فلسطين إلى إزالة آثار العدوان، ومن التفاخر الشديد إلى قدر مطلوب من التنسيق، رغم بقاء عوامل الخلاف حول أسلوب معالجة آثار العدوان.

وثانى عوامل القوة هو الدعم الذى قدمته الدول العربية القادرة إلى دول المواجهة مصر وسوريا والأردن، ورغم أن هذا الدعم

للمواجهة لم يكن كافيا إلا لتعويض خسائر دول المواجهة عن الموارد المتوقفة والعجز المتراكم نتيجة الحروب، إلا أنه كان دعما لازما لإستمرار دول المواجهة لإزالة آثار العدوان والصمود أمام الضغوط الخارجية، والجدير بالذكر أن الدول العربية لم تستخدم كافة أسلحتها الإقتصادية لدعم دول المواجهة من ذلك سلاح البترول وسلاح الأرصدة العربية وسلاح التجارة الدولية.

وثالث عوامل القوة هو نمو المقاومة الفلسطينية منذ منتصف الستينيات والتى أخذت شكل «منظمة التحرير الفلسطينية» والتى أصبح لها جيش خاص بها، وأجهزتها التنفيذية المستقلة وإنضواء كافة الإتجاهات تحت مظلة المنظمة مع بقاء هامش معقول للرأى المستقل للمنظمات الحركية المنظمة.

ورابع عوامل القوة نجده فى حرب الإستنزاف فى الفترة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ والتى مكنت من رفع الروح المعنوية وإكتساب المهارات القتالية وإستطلاع مراكز وتحصينات العدو إستعدادا للمعركة القادمة.

وخامس عوامل القوة كان إلحاح الجماهير العربية على الحل العسكرى طريقا للتحرير وإستعادة الأرض المحتلة ولم يكن فى مخيلة الجماهير العربية أى تصور للحل السياسى للقضية.

وكان شعارها ما أخذ بالقوة يجب أن يسترد بالقوة.

(هـ) تأثيرات حرب ١٩٦٧ :

وأحدثت هزيمة عام ١٩٦٧ عدة آثار تتفق مع طبيعة الحدث وعكست عمق التردى الداخلى والاهمال - والتفكك فى العالم العربى

فى مواجهة الأخطار المحيطة به، فمن ناحية تأكدت عدة تصورات عن: قوة التأييد السياسى والإقتصادى والعسكرى الأمريكى لإسرائيل، وإهتزاز فكرة الرأى العام العربى عن قوة العرب وقدرتهم على هزيمة إسرائيل وإستعادة كل فلسطين، كما أهتزت صورة التأييد السوفييتى للدول العربية فى مواجهة المخطط الأمريكى ـ الإسرائيلى.

ومن ناحية أخرى ظهر توجه جديد فى مصر الناصرية بعد عام ١٩٦٧ لاقى موافقة من القادة العرب مؤداة شعار «إزالة آثار العدوان» بمعنى استعادة الأراضى التى احتلتها إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧، وقد انبثق هذا التوجه عن مؤتمر القمة العربية الرابع بالخرطوم/ أغسطس ١٩٦٧، رغم إختلاف القادة المجتمعين حول أسلوب الكفاح، هل يكون سياسيا أم عسكريا، وانتصر الرأى القائل بأفضلية الأسلوب السياسى فى هذه المرحلة، ومع ذلك رفض المجتمعون إقتراحا قدمه الرئيس جمال عبد الناصر بدعوة الدول العربية لقبول اتفاق تحت رعاية الأمم المتحدة بضمان حدود الدول بالمنطقة مقابل الإنسحاب الإسرائيلى مع السماح بحرية مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة. ورغم إختلاف وجهات النظر توصل المؤتمر إلى قرارات هامة تحقق وحدة الصف العربى ووحدة العمل الجماعى ومنها الدعوة إلى سرعة تصفية القواعد العسكرية الأجنبية فى الأراضى العربية، كما نوقشت فكرة استخدام سلاح البترول ضد الدول التى أيدت إسرائيل، إلا أن الرأى الغالب كان تفضيل استمرار ضخ البترول بتحقيق عائد يستخدم فى دعم دول المواجهة، كما تم التأكيد على المبادئ الأساسية فى العمل العربى وهى:ـ لاصلح ولا تفاوض ولا إعتراف بإسرائيل، والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه.

وكان من أبرز نتائج حرب يونيو ٦٧ التغييرات الجذرية التى شملت معظم المواقع الرسمية، ثم إعلان بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ الذى أكد على ضرورة مشاركة أوسع للجماهير، وعلى أهمية الديمقراطية، وعلى جدية التغيير، والذى وصفه البيان بالقول: «بأن التغيير المطلوب لابد له أن يكون تغييرا فى الظروف وفى المناخ، وإلا فإن أى أشخاص جدد فى نفس الظروف، وفى نفس المناخ، سوف يسيرون فى نفس الطريق».

ورغم وفاة جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ وتولى الرئيس السادات، فقد استمرخط عبد الناصر المصرى والعربى ـ على ماهو عليه لفترة حتى قام خلفه بإحداث تغير شامل فى هذا الخط.

ولم تنته المخاطر بانتصار إسرائيل فى الحرب فقد صعد الاتحاد السوفييتى والدول العربية حملة سياسية عنيفة لاضاعة مكاسب إسرائيل واجبارها على الأنسحاب إلى خطوط الهدنة دون عقد اتفاقية سلام ، وقد عارضت اسرائيل ذلك مستندة إلى مبادىء القانون الدولى فاعلنت استعدادها ونيتها فى البقاء فى مواقعها حتى تعقد اتفاقيات سلام دائمة، ولقيت تأييدا دوليا لموقفها فى مجلس الأمن وصدر قرار بذلك فى ٢٢ نوفمير ١٩٦٧ باقتراح من بريطانيا وتأييد من امريكا ربط الانسحاب باقرار السلام وانهاء حالة الحرب وإقامة حدودا آمنة ومعترف بها .

وقد وضع انتصار إسرائيل العرب فى مأزق حرج لأول مرة، فالوضع الذى خلقته الحرب لايمكن تغييره الابسلام دائم وهو ما يعنى التخلى عن كل الاحلام والأفكار التى كان يتشدق بها الزعماء

العرب منذ قيام إسرئيل، كما أنه يعنى آنه اية اتفاقية سلام ستضمن لاسرائيل حدودا أكبر وأكثر أمنا من تلك التى كانت قائمة فى عام ١٩٦٧، وأصبح الموقف فى حالة تجمد لايغيرها الا تغيير جذرى فى السياسة العربية، وهو مالم يتحقق فى عام ١٩٧٩ ففى مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم اعلنت الدول العربية استعدادها للسعى لحل سلمى ولكن فقط على أساس عدم التفاوض مع إسرائيل، وعدم الاعتراف باسرائيل، وعدم عقد اتفاقية سلام معها. وفى مارس ١٩٦٨ رفضت مصر اقتراح جونار يارنج مبعوث الامين العام للأمم المتحدة عقد اجتماعات مشتركة مع الوفد الاسرائيلى تحت رئاسته ومهما حدث فى المستقبل فان حرب يونيو ١٩٦٧ قد اعطت إسرائيل قدرا من الأمل كبر عن ذى قبل ، وإذا كانت لم تستطع تحقيق السلام لها فإنها مكنتها من تحمل عدم تحقيقه وانتظاره وهى فى وضع أكثر أمنا .

(و) موقف الإدارة الأمريكية الجديدة :

١ - جاء نيكسون إلى السلطة على أساس برنامج الحزب الجمهورى، الذى تعرض لمشكلة الشرق الأوسط من زاوية الحرب الباردة .

- كما أكد نيكسون فى خطابه أمام مؤتمر البناى بريث يوم ٦٨/٩/١٠ أن هذه المشكلة فى جانب منها تمثل محاولة الاتحاد السوفييتى كسب منطقة الشرق الأوسط، ثم أضاف يجب أن نبين للسوفييت، بما لايدع مجالا للشك كل تصميم من جانبنا بحيث نجبرهم على إعادة تقييم سياستهم لتجنب صدام مع أمريكا، وأكد نيكسون فى هذا الخطاب أن مساندته لاسرائيل

«ليست من قبيل الدعاية أو لجذب أصوات اليهود، بل نتيجة للاعتقاد بأنها مهددة من الاستعمار السوفييتى من ناحية، ولأن وجودها يحقق الآمال البعيدة داخل منطقة الشرق الأوسط من ناحية أخرى» .

ويتلخص الموقف الأمريكى تجاه إسرائيل حين تولى نيكسون رئاسة الجمهورية فيما يلى :-

- الالتزام الثابت والقوى بضمان وجود إسرائيل.
- ضمان تفوق إسرائيل عسكريا على الدول العربية مدتمعة كحل قصير الأجل للمشكلة.
- تشجيع قيام محادثات مباشرة بين العرب وإسرائيل.

٢ ـ وكان بيان وزير الخارجية روجرز فى ٦٩/٣/٢٧ أمام لجنة الشئون الخارجية، اول مناسبة لتفصح فيها الادارة الجديدة رسميا عن سياستها إزاء إسرائيل . وفيه أعلن روجرز تأييده لإسرائيل فى طلبها اجراء مفاوضات مباشرة (اتفاق الطرفين عن طريق التزامات تعاقديه) كما رفض اعتبار انسحابها شاملا لجميع الاراضى العربية المحتلة، وأكد حقها فى استخدام قناة السويس، ومضيق تيران.

وعبر «روجرز» عن اهتمام الولايات المتحدة بتسوية النزاع نظرا لأن مصالحها تتأثر نتيجة لعدم التوصل اليها .

٣ـ يقودنا ذلك إلى الاشارة إلى الخلاف الرئيسى بين هذه الإدارة وتلك السابقة لها من حيث مدى الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة فى الأزمة، فالموقف السلبى لحكومة جونسون والذى

محصله ، ترك الأمور للأطراف المعنية، كانت نتيجته - كما أثبت التطبيق - تزايدا في حدة الأزمة (ومن ثم تزايدا في الوجود السوفييتي بالمنطقة) الأمر الذي بسببه قررت إدارة نيكسون التدخل إيجابيا في الأزمة وفي هذا المعنى صرح نيكسون في ٧/ ١٠/ ٦٨ بقوله : «إنني اعتقد أن مشكلة الشرق الأوسط يجب أن توضع فورا على بساط البحث بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي» .

٤- لقد أدى التحرك الأمريكي في إطار الأزمة بهدف تجميد النشاط السوفييتي بالمنطقة إلى إثارة بعض مظاهر التناقض بين السياسة الأمريكية والسياسة الإسرائيلية، وهو تناقض لم يكن له محل قبل عدوان إسرائيل في يونيو ١٩٦٧ ، ونعني بذلك أنه بينما تسعى الولايات المتحدة بتأثير مصالحها الاستراتيجية والمالية إلى تأمين النظم المحافظة في المنطقة . فان إسرائيل تعتمد في توسعها بل وحماية لأمنها ذاته، على حساب دولة ذات نظام محافظ كالأردن مثلا.

كذلك فمع كون مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل تتفق على ضرورة إذلال النظم الثورية بالمنطقة وحصارها، ان لم يتيسر القضاء عليها،فلا يعني ذلك بالضرورة أن تطابق المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة بالضرورة مصالح اسرائيل في المنطقة حيث الأولى أعمق وأشمل .

٥ - ومن هنا عبر المسئولون الاسرائيليون في أكثر من مناسبة عن قلقهم من أن تعمد الولايات المتحدة في سبيل تحقيق هدفها من تجميد الوجود السوفيتي إلى المساومة على ماتصفه بمصالحها

الحيوية وفى هذا المعنى صرح آبا ابيان يوم ٦٩/٥/٨ فى القدس بأن السياسة الأمريكية تعطى أقل ترضية ممكنة لمصالح إسرائيل الاساسية بينما تساوم مع الاتحاد السوفيتى الذى لا تهمه مصالح اسرائيل على الاطلاق .

- وقد يرى فى مثل هذه المواقف أن تصريحات ساسة اسرائيل عامل مساعد يساند المناورات الأمريكية وتجد إسرائيل فى ذلك دعما مكشوفا داخل الولايات المتحدة، ومثاله الإعلان الصادر بمناسبة الذكرى الحادية والعشرين لتأسيس إسرائيل والذى أعلن عنه يوم ٦٩/٥/٢٣ ووقعه ٥٩ سناتور (من ١٠٠ جملة أعضاء السناتو) و٢٣٨ نائبا (من ٤٣٥) وفيه طالبوا بأن تلتزم الولايات المتحدة بالتأييد المطلق للمفاوضات المباشرة بين العرب وإسرائيل، ومعارضتها لأى ضغط بهدف إنسحاب إسرائيلى غير مشروط.

٦ - لقد قدمنا القول بأن الحكومة الأمريكية تسلم بضرورة التفاوض المباشر بين العرب إسرائيل (وما صيغة رودس إلا أعمالا له فى إطار قرار مجلس الأمن) كما تسلم إبتداءاً بعدم إنسحاب إسرائيل من المناطق المحتلة قبل الوصول إلى تسوية، بيد أن الولايات المتحدة تدرك فى نفس الوقت أن أى حل تسفر عنه تسوية تعتمد على التفاهم مع الأتحاد السوفيتى لن ترضى جميع أطراف النزاع، فإذا تصورنا إمكانية نجاح الولايات المتحدة من خلال هذا التفاهم فى التوصل إلى صيغة تقضى بإعتراف جمهورية مصر العربية بإسرائيل وقبول الصلح معها (وهو ما تتوقع أن يؤدى إلى سقوط النظام فى مصر أو على الأقل

تجميده) فإنها على استعداد للقبول بإنسحاب إسرائيل من كافة أراضى مصر المحتلة «تم ذلك بإتفاقية كامب ديفيد» .

وفى هذا المعنى صرح «سيسكو» مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط يوم ٦٩/٤/٢٧ بقوله «إن هناك من يعارض فى دخول الولايات المتحدة مباحثات القوى الكبرى حول أزمة الشرق الأوسط (يعنى إسرائيل وأنصارها داخل الولايات المتحدة) ، وفى حين أن الولايات المتحدة لن تساوم على أمن أى دولة بالمنطقة، ألا أن الأمر يعتمد على المساومة للوصول إلى حل وسط مع ضرورة أن يعتمد مثل هذا الحل على التفاوض المباشر بين الطرفين» .

٧ - لقد قدمت الإدارة الأمريكية فى المباحثات الرباعية بين القوى الكبرى وفى المباحثات الثنائية بينها وبين الإتحاد السوفيتى (وهى تولى المباحثات الأخيرة القسط الأوفى من عنايتها) عدة مشروعات لتسوية أزمة الشرق الأوسط اجتمعت كلها على هدف رئيسى ثابت هو ضرورة توقيع الطرفين على وثيقة صلح يتوصل إليها بطريق التفاوض، ويترتب عليها حالة سلام رسمى وإعتراف متبادل. أى أن الهدف بالتحديد هو إرغام مصر على التراجع عما سبق والتزمت به أمام الرأى العام والحكومات العربية بأنه «لا صلح ولا إعتراف ولا مفاوضة مع إسرائيل» .

٨ - ويمكننا تلخيص الأسلوب الذى اتبعته الإدارة الأمريكية وصولا نحو غايتها فى محاولة الضغط على الاتحاد السوفيتى - من خلال المساومات التى أشار إليها سيسكو لتقديم تنازلات تتعلق

بالمفاوضات وضمانات الصلح بين مصر وإسرائيل (باعتبار أن هذا هذا الجانب من النزاع كان مدار المباحثات الثنائية) مقابل ما أبدته من إستعداد لإعادة أراضى مصر المحتلة فى عدوان ١٩٦٧ .

وإزاء رفض السوفييت لهذا التنازل الحيوى للسياسة الأمريكية، فقد تعثرت المباحثات الثنائية، ومن ثم أصيبت الجهود الدولية لتسوية الأزمة بحالة من الجمود. والمحصلة هى أنه بقدر إنكماش هذه الجهود، فإن العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية تتحرر من مظاهر التناقض الذى أشرنا إليه، بما يترتب على ذلك من تهيئة مجال أوسع للسياسة العدوانية الإسرائيلية بدعم سياسى مكشوف من الولايات المتحدة.

واعتمادا على ذلك فإنه يمكن القول بأن الولايات المتحدة تتجه إلى التحرك فى شرق أوسط غير مستقر، يجرى استقطاب دوله بين الشرق والغرب، وهو الأمر الذى يناسب مصالح إسرائيل فى هذه المرحلة.

القسم الثالث عشر

رؤية عامة لحرب يونية ١٩٦٧

رؤية عامة لحرب يونية ١٩٦٧

١ ـ أهداف الحرب:

باعتراف كل الأطراف وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية لم تك لمصر أهداف فى قيام الحرب. وبإعتراف مسئول أمريكى كبير فإن مصر لم تكن لها النية ولا القدرة لشن حرب ضد إسرائيل، وكل ما قامت به مصر هو محاولة منع إسرائيل من الإنفراد بكل دولة مواجهة على حده وهو أمر لا يتصل بدعم سوريا أو الأردن بل يدخل فى صميم الدفاع عن مصر نفسها، إذن فالأهداف التى يمكن الحديث عنها هى أهداف خاصة بإسرائيل وبحليفتها ـ حتى الآن ـ الولايات المتحدة الأمريكية ويكفى أن نعلم أن المسئولين والموظفين الأمريكيين عندما وصلتهم أنباء الهزيمة العربية هللوا وصاحوا فرحين.

وبما أن الأهداف مشتركة أى إسرائيلية ـ أمريكية فلن نفصل بينها بل نوجزها كأهداف مشتركة.

(أ) ضرب مصر وعزلها:

فضرب مصر فى حد ذاته ليس هدفا ولكن المقصود هو ضرب القدرة العسكرية والاقتصادية لمصر حتى تخرج أكبر قوة عربية من المعركة، وهو هدف استراتيجى إسرائيلى أمريكى يجعل التسوية فى الشرق الأوسط ممكنة وميسره.

(ب) ضرب هيبة الزعامة العربية:

وثانى الأهداف المشتركة كان ضرب هيبة جمال عبد الناصر وإنهاء زعامته للعالم العربى وهو أمر يخدم أو يكمل الهدف الأول. لأن زعامة عبد الناصر لم تكن مصرية بل عربية ولذلك فإن ضرب هذه الزعامة وإذلالها يؤدى إلى تفكيك البناء وإنهياره.

(جـ) وقف التطور الإجتماعى:

وهذا الهدف يعنى الولايات المتحدة فى المقام الأول، لأن القيادة المصرية كانت تضع فى مصر لبنة نظام اشتراكى وتدعو غيرها كنموذج لأن يحذو حذوها، وهذا النموذج يتناقض مع مجمل الرؤية الأمريكية لإدارة العالم ومحاربة الشيوعية.

(د) تحويل مصر إلى شريك وليس عدو:

وذلك بإجراء تسوية منفردة بعد نهاية جمال عبد الناصر وكان هذا هو التصور الإسرائيلى - الأمريكى وأن تكون هذه التسوية التى أرتضها مصر أكبر دولة عربية نموذجا من أجل إنهاء الخلاف العربى الإسرائيلى .. وهذا الإنهاء ليس مهما فى حد ذاته بل من أجل هدف أسمى لأمريكا.

(هـ) محاصرة الاتحاد السوفيتى:

وكل الإجراءات السابقة تعتبر بالنسبة للولايات المتحدة إجراءات لتحجيم وضرب النفوذ السوفييتى وهى أهم حلقة فى السلسلة الاستراتيجية الكونية الأمريكية.

(و) تحويل الشرق الأوسط إلى كيان منسجم:

وهو أمر يمكن توضيحه ببساطة بالرجوع إلى المشروع الشرق أوسطى الخاص بالسوق الواحدة والذى يمكن تطويره لآليات دفاع واحدة.

٢ ـ أسباب ماحدث:

وقد اخترنا هذا العنوان مفضلين عنه أسباب الهزيمة أو أسباب الانتصار لأن هذا العنوان يجمع الأثنين معا.

(أ) أسباب الهزيمة:

- أولا قبل الدخول فى أسباب الهزيمة بشكل يؤدى بنا إلى وضع من يدخل فى كهف مظلم ويرضى ما يراه، وكان عليه أن يحذر قبل الدخول إلى الكهف وأن يصفه فى النور من الخارج لتتضح الرؤية. والذى يدعو إلى هذا الحذر أن كثيرا من المحللين والمعلقين استسهلوا مامسكوا الخيط من آخره وأخذوا ينسجون. المهم أن تكون الرؤية واضحة أولا وأن نضع أيدينا على لب الهزيمة ثم لا مانع من سرد الأسباب الأخرى لأن طبيعة ـ الكون والحياة تقول بأن هناك عامل أساسى وعوامل فرعية أو ثانوية، وعلينا أن نمسك بهذا العامل الأساسى حتى لايكون

تحليلنا مسيرا - ونحن معصوبي الأعين - خلف تحليلات أخرى غير متعاطفة وغير موضوعية على النحو الذى قرأناه من قبل.

- يمكننا القول - من أجل مصر والعرب وليس من أجل شخص أو فترة تاريخية - أن مربط الفرس كما يقول العرب كان التكنولوچيا الأمريكية التى هزمت حتى الاتحاد السوفيتى فيما بعد، ومضافا إلى التكنولوجيا الضعف المصرى أو الخلل المصرى، إذن نقول بإطمئنان أن العامل الرئيسى فى الهزيمة كان محصلة التكنولوجيا - الخلل.

التكنولوچيا الأمريكية من ناحية أعطت لإسرائيل إلى جانب السلاح المتطور، معلومة غالية لاتصل إليها إسرائيل إلا بأقمار أمريكا التجسسية وهى الأقمار التى قيل فيما بعد أنها تتمكن من رصد «تيكت» فانلة الرئيس صدام حسين ابان عاصفة الصحراء، والتى قال عنها أحد علماء الإتصالات الإلكترونية الفضائية أنها تتمكن من رصد كرة تنس تتحرك فى أحد الملاعب. هذه التكنولوچيا الفائقة أعطت القيادة الإسرائيلية وهى تشرب القهوة أو المرطبات أعطتها معلومات غالية عن موقع كل قطعة طيران وكل تحرك على الأرض المصرية، وهو أمر يماثل أن يقيد عملاق أحد المحاربين ويطلب من خصمه مجرد التنشين.

- هذا عن التكنولوچيا الفائقة الرهيبة وهنا نأتى للقطب السالب وهو الخلل المصرى ولا أقول العربى لأن مصر القائدة هى التى تحمل الوزر، الخلل المصرى تمثل فى ترك قيادة القوات المسلحة بيد شخص لا يرقى لمستوى المسئولية والمواجهة والذى ترك الطيران عار كالبط يدعو كل صياد إلى ضربه والذى

حول القوات المسلحة إلى أداة سياسية وأدخلها إلى نعيم الامتيازات ودخل فى صراع محسوب قلم فيه من قدرات القيادة السياسية التى لم تكن قيادة مغامرة لأنها لو كانت كذلك لانهت وجود المشير وهى تعلم مثالبة ولكنها كانت قيادة تحسب بالأرقام وتعد الخطوات وكانت تحتاج فى تعاملها الداخلى إلى جزء من عقلية المغامر.

- وهذا التصور قد يبدو فى الظاهر عاطفيا ولكنه العقل ذاته حتى لا نعود إلى تكرار أخطائنا وكذلك حتى لا نمسك بالجنازير ونضرب ظهورنا لنوجعها ونعذب الذات، وفى اليوم الذى تتضح لنا فيه هذه الحقيقة أى التكنولوچيا - الخلل سنلقى بالجنازير جانبا ونتفهم مواقفنا بعقلانية وردية.

٢ - وبعد ذلك لا بأس من إيراد الأسباب الثانوية للهزيمة ومنها قوة الدور الأمريكى الداعم لإسرائيل وضعف الدعم السوفييتى للعرب وإنعدام التنسيق العربى، وتفسخ العلاقات العربية وإصطياد مصر وقواتها فى اليمن، وسوء التقدير العسكرى والسياسى والافتقاد إلى المرونة السياسية وأيضا غياب الديمقراطية وإنحسار دور الجماهير فى مصر ودول العالم العزبى.

(ب) أسباب الانتصار الإسرائيلى:

١ - وبنفس الرؤية لا يجب أن نضخم من النصر الإسرائيلى إذا وضعنا فى الاعتبار الصيغة التى أوضحنا ها وهى التكنولوجيا - الخلل وهنا ينحسر النصر الإسرائيلى ليتحول إلى محصلة أتفاق على اغتيال أو ما يعرف فى أوساط المافيا بـ «الكنترات» أو العقد لعمل ما والأداة هنا التى تضغط على الزناد هى إسرائيل.

٢ ـ ومع ذلك نورد الأسباب الثانوية أو المساعدة ومنها استخدام إسرائيل للضربة الأولى وهى تعطى ميزة أكثر من ٢٥٪. بالإضافة إلى الضربة المفاجئة التى تعطى ميزة لا يمكن التنبؤ بنسبتها، وأيضا إفراط القوات المسلحة الإسرائيلية فى التزود بالسلاح المطور وإتقان التدريب عليه واستخدام القسوة والوحشية أثناء العمليات القتالية بما يؤدى إلى التدمير الشامل والإبادة وليس الإعاقة والامتناع عن قتل الأسرى واستخدام الأسلحة المحرمة دوليا مثل النابالم، والقيام بطرد السكان المدنيين لاحداث فوضى داخل أرض العدو.

٣ ـ بعض نتائج الحرب:

(أ) نهاية الناصرية:

كانت حرب ١٩٦٧ بحق هى الضربة القاضية التى أنهت حياة الرئيس جمال عبد الناصر وأدت مع تولى خلفه الرئيس أنور السادات إلى إنتهاء السيادة الناصرية مصريا وعربيا وهو انتصار لأحد أهداف التحالف الأمريكى ـ الإسرائيلى.

(ب) عزلة مصر:

عندما تبينت مصر بزعامتها الجديدة أن ٩٩٪ من الأوراق بيد الولايات المتحدة عمدت إلى تحويل الدفة غربا بعد حرب ١٩٧٣ مباشرة أنتهاء بتوقيع اتفاق كامب دافيد.

(جـ) تعدل النظام الإجتماعى ـ السياسى:

وأدى تحـويل الدفـة ناحيـة الغـرب إلى تبنى الديمقـراطيـة وإقتصاديات السوق الحرة وهو تحقيق لأحد الأهداف المشار إليها من قبل.

(د) دعم التنسيق المصرى الأمريكى:

ولما كانت ٩٩ ٪ من الأوراق بيد الولايات المتحدة فى التصور المصرى فى عهد الرئيس السادات فقد أدت طبيعة الأشياء إلى دعم التنسيق المصرى الأمريكى وهو نجاح للرؤية الأمريكية المشار إليها من قبل.

(هـ) محاصرة الاتحاد السوفيتى:

وأيضا أدت نتائج حرب ١٩٦٧ إلى ضرب النفوذ السوفيتى فى الشـرق الأوسط الذى أخـذ يتـخـبط بعـد ذلك، وهو إنجـاز للرؤية الأمريكية المشار إليها من قبل.

(و) تحـول الشـرق الأوسط إلى وحـدة سـيـاسـيـة وإقتصادية وأمنية:

وهذا أمر لا يزال قيد التطبيع وهو ماعرف فيما بعد باسم السوق الشرق أوسطية والنظام الشرق أوسطى وهى أمور يمكن إنجازها بعد السقوط السوفيتى والدخول إلى عالم جديد تماما لم تتضح أبعاده حتى الآن.

(ز) تنامى الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط:

وهذا التنامى لم يبدأ فى عهد السادات بل بدأ فى عهد عبد

الناصـر في المرحلة التي سـبقت حـرب الاسـتنزاف، فـقـد تقـدمت الولايات المتـحدة بمشروع اتفاقية تمهيدية تتفاوض حولها إسرائيل ومصر تحت إشراف الأمم المتـحدة ومبعوثها السفير جونار يارنج بهدف تحقيق سلام يتفق ومضمون القرار ٢٤٢ .

وتضمن المشروع مايلي:

١ ـ تخطيط حدود آمنة ومعترف بها.

٢ ـ الإمتناع عن إستخدام القوة المسلحة في العلاقات.

٣ ـ التعهد بحل المنازعات بالطرق السلمية.

٤ ـ إقامة مناطق منزوعة السلاح علي الحدود.

٥ ـ تأمين حرية الملاحة في قناة السويس وخليج العقبة.

وقد أعترضت مصر على هذه الرؤية بوصفها منحازة لإسرائيل واسـتـمـرت حـرب الاسـتنزاف إلى أن أعلن «وليـام روجـرز» وزير خارجية الولايات المتحدة مبادرته الأولى التي تشمل على:

١ ـ التقيد الكامل بترتيبات وقف إطلاق النار.

٢ ـ أن تقـوم أطراف النزاع بإعـادة دراسـة المشكلات التي تعـوق الاتفاق بينها.

٣ ـ جولة مفاوضات بين الأطراف تحت إشراف يارنج.

٤ ـ الحد من صادرات السلاح إلى دول النزاع في الشرق الأوسط.

وقد ألمح الرئيس جمال عبد الناصر إلى إمكانية التعامل مع المبادرات الأمريكية فى خطابه فى عيد العمال ١/٥/١٩٧٠، فى يونيو ١٩٧٠ أعلن روجرز عن مبادرة جديدة مؤداها:

١ - دعوة الطرفين للتقيد بوقف محدود لإطلاق النار على جهة قناة السويس لمدة ثلاثة شهور.

٢ - دعوة إسرائيل لإصدار بيان بالاستعداد بالإنسحاب من معظم الأراضى العربية المحتلة باستثناء مرتفعات الجولان لأن سوريا لم توافق بعد على القرار ٢٤٢ وكذلك القدس الشرقية التى تجرى بشأنها مفاوضات مشتركة.

٣ - استئناف مفاوضات بين الطرفين بإشراف السفير يارنج.

وقد وافق الرئيس جمال عبد الناصر على مبادرة روجرز وفى يوليو ١٩٧٠ أعلنت إسرائيل موافقتها أيضا على المبادرة.

القسم الرابع عشر

حرب الاستنزاف

١٩٦٩ ـ ١٩٧٠

حرب الاستنزاف ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠

تعتبر حرب الاستنزاف إستمرارا لحرب ١٩٦٧ لأن التوقف عند حد الأيام الستة يعنى أن الأعمال الحربية قد توقفت تماما، ولكن الواقع يوضح أن مصر كانت تستعد دوما لاستئناف القتال وتصحيح الأوضاع، ومع ذلك فإن حرب الاستنزاف تعد إحدى نتائج أوذيول حرب ١٩٦٧ ولذا أفردنا لها مكانا خاصا.

(أ) البداية:

كانت حرب الاستنزاف التى بدأتها مصر تهدف إلى تغيير «قواعد اللعبة» التى ترتبت على نتائج حرب الأيام الستة. فلقد كانت محصلة هذه الحرب لأول مرة خلق حالة خاصة من تغيير طبيعة الصراع العربى الإسرائيلى. من محصلة صفر إلى «أهداف مشتركة» فللمرة الأولى منذ سنة ١٩٤٨ أصبح هناك احتمال مساومة حقيقية حول المسائل المختلفة. تعرض إسرائيل الأرض التى أحتلتها غزوا فى مقابل استقرار سياسى للصراع العربى الإسرائيلى. فقد أملت إسرائيل فى أن تحصل من خلال تفوقها الاستراتيجى وقبضتها على

الأراضى المحتلة على تأمين لسلام حقيقى. ولقد اضطرت إسرائيل لتأكيد سيطرتها وتفوقها الاستراتيجى على أثر الموقف العربى فى مؤتمر الخرطوم فى أعقاب حرب الأيام الستة، الذى رفض التفاوض مع إسرائيل من موقف الضعف.

ولم تبد الدولتان العظميان مرونة تذكر لتقريب طرفى النزاع العربى فى مفاوضات. حيث كان الشرط الرئيسى للمفاوضات المحتملة هو بعض احتمالات التغيير فى موازين القوى. فعلى سبيل المثال تحصل مصر على الأرض دون ضمانات سلام لإسرائيل. وترى إسرائيل حرب الاستنزاف المصرية على أنها محاولة لتغيير الأوضاع الحدودية بتغيير الميزان الاستراتيجى. فالحفاظ على التفوق الاستراتيجى الإسرائيلى كان الشرط لتأكيد الوضع السياسى والحدودى.

وعندما أصبحت التحديات العسكرية المصرية مؤثرة، قررت إسرائيل أن تستعرض تفوقها الاستراتيجى فأرسلت قواتها الجوية للحرب فى يوليو ١٩٦٩ للحد من مكاسب مصر العسكرية من حرب الاستنزاف ولمنع القوى العظمى من إتخاذ موقف سياسى ضد موقف إسرائيل المعلن.

ويبدو أن جهود استعراض تفوق إسرائيل الاستراتيجى قد أسفر عن جهد مضاد قلل من هذه الاستراتيجية المتفوقة. حيث أن روسيا لم تستسغ هذا الجهد التفوقى الإسرائيلى. لقد رضيت الولايات المتحدة بالتغلغل السوفييتى كطريق وحيد لبقاء نظام ناصر طالما أنها لاتستطيع الإمساك بزمام إسرائيل. لقد هدفت روسيا ومصر لخلق

توازن إستراتيجى كشرط ضرورى لكسر الجمود وخلق تحرك دبلوماسى لتغيير الوضع الحدودى الذى نشأ بعد حرب الأيام الستة.

ولقد حققت التدخلات السوفييتية فى حرب الاستنزاف أهدافها. فقد اضطرت الولايات المتحدة لإعادة النظر فى سياستها فى المنطقة. فقد هدفت السياسة الأمريكية الجديدة أولا: تقليل مخاطر المواجهة بين القوتين، وتحديد الوجود الروسى فى الشرق الأوسط. وثانيا: زيادة النفوذ الأمريكى فى البلاد العربية. وتأمين القبول كحقيقة قادرة على تطوير الاستقرار السياسى فى المنطقة. ولقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية كممول رئيسى لسلاح إسرائيل وكضامن لتفوقها الاستراتيجى، نجحت فى إقناع كل من مصر وإسرائيل لإنهاء الحرب وبدء الحوار.

وهكذا: وعلى عكس الحروب السابقة فقد انتهت حرب الاستنزاف بدون قرار حربى واضح قاطع. انتهت بإنسحاب استراتيجى من كلا الطرفين.

(ب) تغير التوازن الإستراتيجى:

وعلى مدى تاريخ المواجهة الشرسة فى الصراع العربى الإسرائيلى، كانت هى الحرب الأولى التى لم يكن من الممكن إيضاح النصر من وجهة النظر العسكرية الخالصة. ولهذا كله فإنه لا شك أن التوازن الإستراتيجى بين مصر وإسرائيل قد تغير بالمقارنة بالوضع فى نهاية حرب الأيام الستة. فقد غيرت مصر من وضعها الإستراتيجى بشكل واضح عن طريق التدخل العسكرى السوفييتى

المباشر فى الحرب، الذى مكن مصر من العثور على إجابة عسكرية وسياسية للتفوق الإستراتيجى التصحيحى الإسرائيلى الذى اثبتته غارات العمق الجوى. فقد تدهور الموقف الاستراتيجى الإسرائيلى بشكل مباشر عما كان عليه هذا التفوق الذى ظهر فى نصر حرب الأيام الستة. وعندما حاولت إسرائيل ترجمة تفوقها الإستراتيجى للحرب من أجل الحفاظ على مصالحها الإستراتيجية، فقد تطلب هذا البعد عن أى إستهلاك للتعبير عن هذا التفوق. فى التمسك بتوازن دقيق بين الاستقلال العلمى لتفوقها فيما يعرف باسم الموقف العسكرى ومايتطلبه ذلك من تعامل مع المعسكرين أو القوتين الأعظم. فقد فقدت إسرائيل توازنها هذا بغاراتها فى العمق. إذ كان الهدف من الغارات هو تأمين المكاسب العسكرية والسياسية. ولكن احتمالية الإرتفاع بمستوى العمليات سياسيا وعسكريا لمستوى التدخل السوفييتى فى الحرب قد تجوهل. فقد أدى هذا التدخل إلى تحييد التفوق الإستراتيجى الإسرائيلى وإنتهت حرب الإستنزاف دون أن تجد إسرائيل إجابة على مسألة الصواريخ.

لقد أثر البديل الإستراتيجى على البديل السياسى. على الرغم من عدم تغيير الوضع الحدودى. وقد تغيرت العلاقات بين الميزان الإستراتيجى والميزان السياسى الذى ترتب على حرب الأيام الستة. فلقد قللت ظروف حرب الاستنزاف ـ خاصة الحضور السوفييتى العسكرى فى مصر ـ قدرة إسرائيل السياسية فى الصمود أمام تحرك القوتين الأعظم الدبلوماسى من أجل استقرار الأوضاع فى الصراع. والدليل على أن إسرائيل قد فقدت معايير ثقتها فى نفسها وقدرتها

على مواجهة الضغوط السياسية المضادة ولقبولها السياسى هو فى الحقيقة قبول مبادرة السلام الأمريكية.. قبول الإنسحاب كجزء من شروط وقف إطلاق النار ونهاية الحرب والموافقة على العودة إلى محادثات يارنج بعد أزمة الصواريخ، على الرغم من عدم ترحيب السوفييتى ومصر لقبول الوضع العسكرى الذى ترتب قبل تحريك قواعد الصواريخ. ولقد قاد التغير فى الميزان الإستراتيجى الناجم عن غياب القدرة السياسية والعسكرية لتقييم العمل الخاص بالصواريخ المدعم من قبل الروس قاد إلى تغير فى العلاقات المتبادلة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. فطالما تستطيع إسرائيل التأكيد على الوضع الحدودى والسياسى والعسكرى فهى تستطيع القضاء على التحركات الدبلوماسية وفقا لاوضاعها السياسية. وعلى هذا فإن غارات العمق الجوية والتى كانت تهدف إلى عرقلة خطة روجرز، قادت فى النهاية إلى تبنى خطة السلام الأمريكية لإنهاء الحرب. وقد كان قبول إسرائيل راجعا إلى حاجتها لتأكيد إستمرار دعم الولايات المتحدة الأمريكية السياسى والعسكرى. وقد تزايد إعتماد إسرائيل السياسى والعسكرى على الولايات المتحدة. وفقدت إسرائيل وضعا سياسيا وعسكريا لأنها كان عليها أن تحصل على دعم قوة كبرى عندما أضطرت إلى مواجهة قوة عظمى أخرى. وكان نجاح إسرائيل الرئيسى فى حرب الاستنزاف هو منع مصر من تأمين أى مكاسب حدودية مهما كانت.

وما كان يحرك إسرائيل طوال الحرب هو الخوف من أن أى تغير فى الوضع الحدودى مهما كان محددا قد يقود فى المستقبل إلى

ضغوط سياسية وعسكرية على جانب القوى العظمى لتأمين إنسحاب إسرائيلي غير مرغوب.

وقد كانت مصر من حرب الاستنزاف في خط مضاد مباشرة لمكاسبها العسكرية . وقد فشلت استراتيجية الاستنزاف من وجهة النظر العسكرية البحتة ولكنها نجحت سياسيا، فقد نجحت مصر في تحسين ميزانها الاستراتيجي في مواجهتها إسرائيل عن طريق القدرة على الحصول على تدخل عسكري سوفييتي في الحرب عندما اجبرت الجيوش على مواجهة الحائط وقد قوى هذا من وضعها السياسي. وقد استطاعت مصر أن تحصل على مبادرة امريكية عن طريق توجيه القوى الاعظم لاستراتيجيتها الواقعية في المنطقة . بل وتوجهها كي تقبلها اسرائيل . وقد استطاع جمال عبد الناصر أن يجعل اسرائيل تتيح الفرصة لمطالب في المباحثات المباشرة ووقف نار غير محدود. ولاول مرة منذ حرب الايام الستة تقرر استعدادها للانسحاب. وما كان مجهولا هو سعى حكومة إسرائيل للاطاحة بعبد الناصر والتي أدت إلى هلع في النهاية في إسرائيل . فلقد زاد اعتماد مصر سياسيا وعسكريا على الاتحاد السوفييتي في اطار الحرب ولكن بالاتفاق على مبادرة السلام الأمريكية والحوار مع الولايات المتحدة فتح عبد الناصر الطريق لمستقبل اعتماد مصري على الاتحاد السوفييتي ولكن خليفته أنور السدات استفاد من هذا الاحتمال .

....

(جـ) ادراك النتائج.

قويلت نتائج الحرب بطريقة مختلفة من كل من الجانبين . فكل رأى أن الحرب قد انتهت بانتصار داخلى ادى فى النهاية إلى عملية سياسية انهت الحرب . وقد كان كل طرف مهتما فى الأساس بتقييم العلاقة بين نتائج الحرب وأهدافها وتوقعاتها أثناء الحرب وقبلها . ولكن هذا التقييم لم يحمل بموضوعية خالصة ولكن وفقا لأمانى ورغبات كل جانب .

وكانت نتائج الحرب وأثرها ذات أثر على الفعل العسكرى والسياسى فى الفترة مابين نهاية حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر١٩٧٣ .

وفى إسرائيل كان للحرب أثرها على مستويين: حكومى وترى أنها كسبت الحرب على الصعيدين السياسى والعسكرى. وشعبى : يرى أن إسرائيل قد خسرت الحرب ويقف فى هذا المعسكر عازر وايزمان وماتى بيليد. ويرى الموقف الحكومى انتصار الحرب نظرا لأنها لم تغير من الموقف بعد ١٩٦٧ على الصعيدين السياسى والعسكرى . ولم تحقق انتصارا لمصر من أى نوع ، خاصة الوضع الحدودى . ولم يكن قبول إسرائيل للمبادرة الأمريكية من قبيل الفشل على العكس فقد اعربت المبادرة عن نجاح اسرائيل وأعربت عن رغباتها لتأمين وقف اطلاق النار. ولم يكن هناك مبرر لعدم قبولها .

وكان نجاح إسرائيل يرجع لادراكها للاجابات الصحيحة لسبب حرب الاستنزاف، والوقوف على الحدود بحزم، وارسال غاراتها إلى

العمق المصرى، فى مواجهة التدخل العسكرى السوفيتى المحدود . وكانت هذه الغارات سببا أجبر مصر على قبول وقف اطلاق النار فقد كانت قدرة اسرائيل على تدعيم تفوقها الاستراتيجى وراء اجبار الاطراف لقبول وقف اطلاق النار .

وعلى العكس فقد وصف « عيزرا وايزمان» الذى كان ثانى أكبر رتبة عسكرية خلال الحرب. وصف الحرب بأنها هزيمة عسكرية وسياسية لاسرائيل . فقد فشلت اسرائيل من وجهة نظره فى تشكيل سياسة عسكرية قوية وطويلة المدى ذات أهداف استراتيجية واضحة، وكذا الفشل فى الجمع بين القوة العسكرية والتحرك السياسى . وثالثا تضخيم الضغوط السياسية الخارجية التى حرمت اسرائيل من الاستخدام الجيد لتفوقها الاستراتيجى .

«لقد كنا فى أعماقنا نخشى الدب الروسى والنسر الامريكى والثعبان الغربى لذا فلم نطلق العنان للأسد الإسرائيلى» . وقد ألقى وايزمان باللوم على وزير الدفاع «موشى ديان» لمخاوفة من الاتحاد السوفييتى التى لم يعلنها فقط داخل الحكومة ولكن على العامة أيضا. وقد كان هذا الموقف مؤثرا على حرب ٦٩ ـ ١٩٧٠ . وقد استغل الروس هذا التردد ليظهروا بقوة وبسرعة .

وهو يلخص الموقف فى ان غياب الأهداف السياسية والعسكرية الواضحة والسلوك غير المنضبط فى الحرب والتقدير المبالغ فيه للضغوط السياسية قادت إلى إنهاء الحرب دون نصر حاسم .

ومن هذا الرأى ايضا نجد « ماتى بيليد» الذى اعتقد أن اسرائيل قد فشلت فى الحرب ذلك انها فشلت فى الاطاحة بنظام الحكم

بغاراتها فى العمق .. وثانيا انها بالغت فى تفوقها الإستراتيجى. وثالثا لأنها لم تستطع تحديد النفوذ السوفييتى، ورابعا قبلت وقف إطلاق النار دون محاولة تأمين إمكانية إستغلال السوفييت لهذا الموقف.

وقد أثارت اختلافات وجهات النظر الإسرائيلية حول الحرب ونتائجها الدهشة إذ كان التفسير الحكومى مثيرا. فقد تم التوصل لهذه الآراء دون اختبار موضوعى لعوامل النجاح والفشل. ويرجع وايزمان هذا لضيق افق إستراتيجى. يهدف إلى عملية «غسل مخ» جماهيرية من خلال وسائل الإتصال والإعلام المباشر.. ويقول وايزمان: «إن الحكومة نفسها قد صدقت هذا، لقد قبلت إسرائيل المبادرة الأمريكية فى الوقت الذى أعلنت فيه أنها مبادرة لاتحقق الأهداف المرجوة ولكن الحقيقة أن قبول المبادرة كان من موقع «اللاخيار».

لقد كان وايزمان محقا فى تقييم الوضع الإسرائيلى بالفشل، ولكن لم يكن سهلا قبول مبررات هذا الفشل . فمن الصعب الموافقة على رأيه من أن إسرائيل لم تستغل تفوقها الإستراتيجى. ألم يكن من المحتمل إذا ما استغلت إسرائيل تفوقها الإستراتيجى أن تزداد حدة المواجهة مع الاتحاد السوفييتى؟ ألم يكن من المحتمل لو أن إسرائيل واجهت التحرك السوفيتى أن تقع فى فخ أشق عليها من غاراتها فى العمق؟ لقد انتهت الحرب دون إجابة صريحة حول مسألة الصواريخ.

فى فبراير ومارس سنة ١٩٧٠ رفضت الحكومة الإسرائيلية مشروعات وقف إطلاق النار المؤقت وبدأت حوارا مع مصر . وتجاهلت أيضا اقتراح وزير داخليتها موشى شابيرو فى أن تعلن

إسرائيل وقف إطلاق غير مشروط، ووقف غاراتها لثمان وأربعين ساعة أو اثنتين وسبعين كما فعلت الأمم المتحدة فى فيتنام كخطوة لوقف الحرب. وكذا موقف الحكومة الإسرائيلية المعارض لإقتراح د. ناحوم جولدمان رئيس المجلس اليهودى العالمى فى مارس ١٩٧٠ للذهاب لمصر والبحث عن محادثات مصرية إسرائيلية. رغم عدم عزمه على تمثيل إسرائيل فى هذه المحادثات.

لقد رفضت حكومة جولد مائير هذه الاقتراحات على أساس أن عبد الناصر يجب أن يشعر بأنه هزم فى حرب الاستنزاف. ولكن إسرائيل فشلت فى اقتناص الفرص لإنهاء الحرب بمبادرتها الخاصة فى التوقيت الإستراتيجى. وأجبرت على ذلك تحت شروط إستراتيجية محبطة.

وقد ترتب على ذلك أن حرب «يوم كيبور» «يوم الغفران» بنيت علىٰ أساس التقدير الخاطىء لمدى فاعلية الجهود السلمية ومدى تفوق القدرة الإسرائيلية ومدى الإستهانة بالقدرة المصرية. ورغم هذا فقد صرح موشى ديان فى يونية ١٩٧٣ بأنه يبدأ حربا ولا يخطط لها ولا يرغب فى توسيع دائرتها ولكنه يسعى لتحجيم العدو ومنعه من بدأ الحرب.

فى يناير ١٩٧٢ خلف دافيد العازر، بارليف وعين تال رئيس أركان بينما وضع شارون رئيسا للقيادة الشرقية. وكان من المتوقع أن يقوم شارون وتال بتغييرات جذرية. ولكن شيئا لم يحدث. نظرا للأنفاق الذى التهمه إعادة بناء خط بارليف.

لقد تجاهل مخططو السياسة الأمنية الإسرائيلية بعض الحقائق

الأساسية التى نتجت عن حرب الاستنزاف. أولا: قرب خط بارليف من خطوط مصر أجبر إسرائيل على دخول حرب الاستنزاف. وثانيا: تقدم نظام الصواريخ لغرب القناة عمل على تحييد تفوق الطيران الإسرائيلى فى قطاع القنال مما خلق وضعا صعبا لدفاع مؤثر على خط بارليف فى حرب مستقبلية. والذى بدا واضحا فى حرب يوم الغفران. ان تصورات إسرائيل السياسية والعسكرية فى يوم الغفران تعود بجذورها للتقييم الخاطئ لنتائج حرب الاستنزاف.

(د) هل كانت حرب الاستنزاف حربا محدودة؟

وهناك تصنيف غربى لهذه الحرب على انها حرب محدودة. ولكنها تخرج عن هذه الدائرة لعاملين:

أولهما، عدم قدرة مصر على فهم وإدارة حرب محدودة. وثانيهما محاولات كل من الطرفين لتوسيع دائرة الحرب أملا فى تحقيق مكاسب سياسية وعسكرية متميزة. فمعظم الأخطاء التى وقعت فيها مصر نبعت من عدم قدرتها على فهم طبيعة الحرب المحدودة. لقد حاولت القيادة المصرية أن تجعل من فرص الحرب المحدودة تناسب الحاجات المصرية دون دراية واضحة بالحدود المتاحة لهذه الإستراتيجية. ولهذا فإن محمد حسنين هيكل قد عبر عن الإستراتيجية المصرية فى حرب الاستنزاف إنها تحقق ماتحققه حرب شاملة. دون تساؤل عن مدى إمكانية ذلك. وهل يمكن أن تستمر الحرب محدودة إذا ما كانت قد استمرت بهذا الهدف؟. إن أهداف مصر لا تعنى بالضرورة ضد أهداف إسرائيل. وأن قدرة مصر على توسيع دائرة الحرب ليس أقل من إمكانية ذلك عند

إسرائيل كى تحافظ على وضعها الحدودى. وبينما اعتمدت إسرائيل على قـوة الطيـران كـان من الـواضح أن هناك مـؤشـرا لـفشل مـصـر إستراتيجيا. فالاعتماد على مقولة الحرب المحدودة لم تكن تعنى هذا لإسرائيل.. وأن التهديد السوفييتى وحده بتوسيع دائرة الحرب هو الذى حمى الإستراتيجية المصرية من الإنهيار تماما.

وحتى تحطيم الشبكة المضادة للطائرات فى نهاية ١٩٦٩ فقد حرصت إسرائيل على وضع رد عسكرى لا يتجاوز حدود الحرب المحدودة. أضافت إسرائيل قوة الطيران بعد يوليو ١٩٦٩ لتمنع عبور القناة.

وعن طريق تدمير الإستعدادات المصرية للعبور وإجبارها على الاقلاع عن الفكرة مؤقتا. فقد منعت إسرائيل إتساع نطاق الحرب. وعلى أى حـال فإن تحطيم الطيران الإسرائيلى لشبكة مضادات الطائرات خلال غاراتها فى العمق بعد يناير ١٩٧٠ قاد إلى موقف خطير فى الحرب.

فقد استمرت الحرب محدودة ولكنها الآن تتخطى حدودها القديمة فبغارات العمق اختفت كثرة من ملامح الحرب من مارس لديسمبر ١٩٦٩، فمنذ يناير ١٩٧٠ حتى إبريل ١٩٧٠ أصبحت الحرب من زوايا عديدة حربا جديدة. ذلك أن غارات العمق قدمت تغييرات فى طبيعة خطط الحرب السياسية والعسكرية.

أولا : تغيير الخطط السياسية الإسرائيلية. عن طريق ضرب أهداف محددة.

ثانيـا : تحولت الحرب من حرب على جبهة قناة السويس لتصبح حربا لعدد من الجبهات المصرية.

(هـ) الإدراك المصرى :

قامت مصر بتقييم نتائج حرب الإستنزاف كنصر مصرى من وجهتى النظر السياسية والعسكرية. فمن وجهة النظر العسكرية تغيير التوازن الإستراتيجى بين مصر وإسرائيل، الذى قاد إلى مكسب سياسى، المبادرة الأمريكية لوقف إطلاق النار وإستعداد إسرائيل للإنسحاب من أراضى أحتلتها بقبولها المبادرة. وبالمثل فهذه المكاسب أبقت الشعور بأنها غير كافية كى تمكن مصر من تحقيق أهدافها الرئيسية.

ووفقا لعبد الناصر فإنه قد أمكن تغيير الميزان الإستراتيجى بطريقين: «قدرة قواتنا على الرد، وزيادة المساندة العسكرية والسياسية للاتحاد السوفييتى لنا» ولكن الخطة العسكرية فشلت طالما إنها لم تستطع أن تجبر إسرائيل على الإنسحاب من سيناء أو قنال السويس. أو إجبار إسرائيل على قبول حرب محدودة. وكان هذا وراء نجاح الدبلوماسية المصرية. فقدرة مصر على إشراك روسيا فى التدخل العسكرى أجبر إسرائيل على التراجع عن فكرة تفوقها الإستراتيجى. فالتغير فى الموازين الإستراتيجية نجم عن ضغوط القوتين من وجهة نظر إسرائيل.

كانت مصر ترى أن قبول مباردة روجرز لم يكن كافيا لتغيير الوضع الحدودى. فخلال زيارته لموسكو قال جمال عبد الناصر لبريجنيف: «لا أعتقد أن المبادرة يمكن أن تحقق فرصة نجاح، فأنا لا أقدر نجاحها بأكثر من ٥ ٪».

فلتغيير الوضع الحدودى كان لا بد من تغيير القوة لصالح مصر (القوة الجوية والقوة العسكرية والقوة الاقتصادية). كان عبد الناصر يرى أنه لا بد من موقف عربى فى جانبه يواجه إسرائيل فى الجانب الآخر. وكان وقف إطلاق النار يعنى منع إسرائيل من تحطيم الجهود المصرية لزرع شبكة الصواريخ بالقرب من القناة.

يقول الأستاذ هيكل: «كان أهم شئ فى نظر ناصر هو الإنتهاء من بناء حائط الصواريخ. وعندما يتم هذا فهو لن يحمى قواتنا المسلحة على ضفة القنال بل سيعطى حماية لخط يصل إلى مابين ١٥و٢٠ كم داخل الضفة الغربية للقنال. ومن ثم يغطى قواتنا العابرة القناة عندما يحين الوقت».

إن جذور حرب يوم الغفران تمتد إلى الدروس المستفادة من حرب الإستنزاف. ورغم هذا فقد شعرت مصر فى نهاية حرب الإستنزاف إنها قد قامت بتأمين مكاسب سياسية وعسكرية. أن عبور القناة بحماية مظلة الصواريخ وهو ماوضع موضع التنفيذ فى حرب يوم الغفران، قد وضع بناء على خطة لجمال عبد الناصر قرب نهاية حرب الإستنزاف. يقول هيكل «أعطى عبد الناصر أوامره للجنرال فوزى لإعداد «العملية جرانيت» والتى كانت تعنى الإستعداد لعبور القناة والإنطلاق إلى أبعد مدى فى الممرات فى سيناء.

القسم الخامس عشر

مساعدات الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل من حرب ١٩٤٨ إلى نهاية حرب ١٩٦٧

مساعدات الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل

وهى تنقسم إلى قمسين رئيسيين:

(أ) مساعدات مباشرة تقدم من حكومة الولايات المتحدة أو إحدى مؤسساتها وهذه يعلن عنها عادة.

(ب) مساعدات غير مباشرة، تقدم إما من مؤسسات داخل الولايات المتحدة - سواء كانت يهودية أم غيرها - وإما عن هيئات أجنبية متأثرة بالنفوذ الأمريكى مثل البنك الدولى.

منذ قيام إسرائيل وفى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٥ بلغت جملة المساعدات الحكومية الأمريكية من معونة فنية ومنح، ومن قانون فائض الحاصلات، وعن طريق بنك التصدير والاستيراد ومن القروض بلغت ١٠٥٤ مليونا من الدولارات، وعموما فإن المساعدات الأمريكية لإسرائيل لم تتأثر كثيرا بالتكييف الأمريكى الجديد لوصف دولة إسرائيل بأنها دولة متطورة وأنها لم تعد دولة نامية ، ففى ١٩٦٧ مثلا قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل تسهيلات إئتمانية قدرها ٣٠ مليون دولار تسدد بالليرات بهدف توفير إسرائيل

لاحتياطيها من العملات الصعبة، ومنحتها ما قيمته ٢٧٫٥ مليون دولار سلعا غذائية بموجب برنامج (الطعام لأجل السلام) كما قدمت الولايات المتحدة إلى بنك التنمية الصناعى الإسرائيلى قرضا مقداره ١٥ مليون دولار.

وأما عن المساعدات العسكرية فإن الولايات المتحدة حتى ١٩٦٢ لم تكن تؤمن بفائدة تزويد إسرائيل بالسلاح، إذ كانت إسرائيل تعتمد على مصادر أخرى مثل فرنسا، وإن كان هذا لم يمنع تقديمها لكمية كبيرة من الأسلحة لإسرائيل بقصد رفع معنوياتها مرتين سنة ١٩٥٨، المرة الأولى عقب قيام الوحدة بين مصر وسوريا، والمرة الثانية عقب قيام ثورة العراق فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ .

ولكن هذه الخطة لم تلبث أن تغيرت أثر إحتدام الصراعات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية فى الشرق الأوسط خاصة بعد صدور التشريعات الإشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة وإنفصال سوريا. ففى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وقعت الولايات المتحدة مع إسرائيل إتفاقا بمقتضاه تتزود إسرائيل بنظام دفاعى يعتمد على صواريخ الهوك بحيث تشكل فى تقدير الخبراء العسكريين الإسرائيليين أساسا للدفاع الجوى الإسرائيلى، وقد بررت الولايات المتحدة ذلك بأنه يهدف إلى المحافظة على توازن القوى فى المنطقة لمواجهة المعدات السوفيتية الحديثة التى انهالت على الدول العربية.

ثم فى فبراير ١٩٦٦ أعلنت الولايات المتحدة عن توريدها صفقة من الدبابات تعويضا عن وقف ألمانيا الغربية لجزء من صفقة كانت قد تعهدت بتقديمها لإسرائيل ثم أوقفت تنفيذها تحت الضغوط العربية المختلفة.

ثم فى مايو ١٩٦٦ زودت الولايات المتحدة إسرائيل بصفقة أخرى من طائرات «سكاى هوك» المقاتلة القاذفة.

وفى ١٩٦٧/١٠/٢٤ فى أعقاب العدوان الإسرائيلى أعلنت الولايات المتحدة رفع الحظر على إرسال الأسلحة لمنطقة الشرق الأوسط وتزويد إسرائيل فى الوقت ذاته بصفقة جديدة من طائرات «السكاى هوك».

ثم فى ديسمبر ١٩٦٨ قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل صفقة أخرى من طائرات «الفانتوم» التى تعد من أحدث ما أنتجته الولايات المتحدة من الطائرات العسكرية.

وتوالت بعد ذلك صفقات الأسلحة بما لم يعلن عنه أو يمكن كشفه نظرا لأنه يتم فى طى الخفاء ولا يعرف إلا بعد الإعلان الرسمى ـ سواء من جانب الولايات المتحدة أو إسرائيل ـ .

العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل

ما سبق من مساعدات الولايات المتحدة لإسرائيل إنما هو جانب ومظهر للعلاقة الوثيقة بينهما، هذه العلاقة التى وصفها «دافيد نيس» الأمريكى الدبلوماسى الذى كان يعمل بالقاهرة وصفها بأنها (علاقة أمريكا الخاصة جدا بإسرائيل) وهى العلاقة التى فاقت علاقة أمريكا بأية دولة من الدول الأعضاء فى حلف جنوب شرق آسيا أو حلف الأطلنطى، وهذا إنعكاس مستمر لتصريح «هارى ترومان» الرئيس الأمريكى سنة ١٩٤٨ «إننا نتعهد بإقامة دولة لإسرائيل كبيرة وحرة وقوية بما يكفى لأن تجعل شعبها آمنا ويستطيع الأعتماد على نفسه

وقد أصبح الجو مهيئا لإقامة إرتباط فريد فى التاريخ الأمريكى الحديث بين الولايات المتحدة ودولة أخرى على نفس المستوى الذى كان موجودا فى ذلك الوقت بين الولايات المتحدة وبريطانيا».

وهذا يفسر الحصانة الكاملة تقريبا من النقد التى تتمتع بها إسرائيل فى الولايات المتحدة، وهو موقف يندر أن يوجد له مثيل بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة الأوروبيين والآسيويين الذين تتولى أجهزة الإعلام وممثلو الهيئات التشريعية الأمريكية يوميا كشف أخطائهم ومواطن ضعفهم، وأن أي أنتقاد لسياسة إسرائيل يجد فى أمريكا من يتصدى له على أساس أنه معاداة للسامية وعلى أساس اعتقاد نسبة كبيرة من الأمريكيين أن إسرائيل تمثل بلدا صغيرا ديمقراطيا يكافح من أجل البقاء وسط بحر من العرب (غير المتحضرين الموالين للشيوعية).

وهذا يفسر أن اليونان وتركيا وهما من الدول التى تشكل خط الدفاع لحلف الاطلنطى فى مواجهة الاتحاد السوفيتى، لم تتلق بعد العتاد العسكرى الحديث الذى حصلت عليه إسرائيل. بل وإنه فى الوقت الذى كانت الولايات المتحدة تمارس ضغوطها على أكثر من مائة دولة مستخدمة كافة الوسائل العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية، لكى تلتزم بمعاهدة منع إنتشار الأسلحة النووية، فى هذا الوقت، أعفيت إسرائيل من هذه الضغوط بل ويتردد أنه بمساعدة الولايات المتحدة فإن المفاعلات النووية الإسرائيلية فى (ديمونة) و (نحال سوريك) تنتج كمية من مادة البلوتونيوم تكفى لصنع قنابل عديدة قوة كل منها ٢٥ كيلو طن.

ومن المعروف أن التعاون قائم على قدم وساق بين إسرائيل والولايات المتحدة فى مجال تبادل المعلومات بين أجهزة المخابرات، بطريقة لم يسبق لها مثيل ويتعدى بكثير الترتيبات النووية الخاصة القائمة بين أمريكا وبريطانيا.

كما أن هذه العلاقة الخاصة جدا هى التى تفسر استثناء إسرائيل من نطاق إسقاط الجنسية الأمريكية عن أى مواطن يدلى بصوته فى إنتخابات دولة أجنبية أو يخدم فى صفوف قوات مسلحة أجنبية، فقد أصدرت المحكمة العليا الأمريكية تفسيرا يسمح للأمريكيين بالخدمة فى الجيش الإسرائيلى دون أن يفقدوا جنسيتهم، مع أنه طبقا للقانون الإسرائيلى (قانون العودة) فإن أى يهودى أمريكى يحصل على الجنسية الإسرائيلية بمجرد دخوله إسرائيل.

العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية العربية المتحدة:

وتمثل علاقات الجمهورية العربية المتحدة بالولايات المتحدة أهم نقاط السياسة الأمريكية إزاء الشرق الأوسط.

ومن أهم مظاهر هذه العلاقة فى الخمسينات موقف الولايات المتحدة من إنشاء السد العالى، هذه العملية التى امتزجت بطريقة بوقائع المسرح السياسى فى المنطقة، فقد ارتبطت بكل ملابسات الموقف فى الشرق الأوسط وأحداثه.

إلا أنه من المفيد بلا شك التعرض لهذه العلاقات منذ الخمسينات، وبالذات فى الفترة التى تلت مباشرة قيام إسرائيل، فقد أدى ذلك إلى قلق الولايات المتحدة رغم مبادرتها بالأعتراف نتيجة

خوفها أن تؤدى الظروف القائمة وقتئذ لحالة من عدم الاستقرار فى منطقة - أصبح - للولايات المتحدة فيها مصالح كثيرة، فعملت على أن تشاركها بريطانيا وفرنسا فى إصدار التصريح الثلاثى فى ٢٥ مايو سنة ١٩٥٠ لضمان دول من الشرق الأوسط والحدود القائمة بين تلك الدول ومعارضة إستخدام القوة والتهديد بواسطة أى دولة من دول المنطقة. ولقد كان هذا الإعلان من الركائز التى اعتمدت عليها إسرائيل فى شن سلسلة من اعتداءاتها، وفى تحديها لقرارات الأمم المتحدة وهى مطمئنة الجانب لأن الولايات المتحدة حاميتها وسندها.

وحاولت الولايات المتحدة جر (مصر) إلى الموافقة على اقتراح تحت اسم (قيادة الشرق الأوسط) وذلك فى أكتوبر ١٩٥١ فى أعقاب إلغاء مصر معاهدة سنة ١٩٣٦ التى كانت تربطها ببريطانيا، وكان المشروع لو تحقق يمثل حلقة أخرى من الحلقات التى تدعم وتقوى من قبضة حلف شمال الأطلنطى، فأساسه كان تحويل القوات المسلحة لدول المنطقة إلى قوة واحدة تحت قيادة واحدة خاضعة للغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة. وتقبل دول المنطقة بموجبه وجود قوات للغرب وعلى رأسها أيضا قوات للولايات المتحدة على أراضيها، ووضع قواعدها العسكرية وموانيها وطرق مواصلاتها ومنشئاتها الإستراتيجية تحت تصرف القائد العام للمنطقة. فكان هذا من أهم مظاهر تطلعات الولايات المتحدة إلى مصر التى رفضت الاقتراح ولم تقبله نتيجة لذلك أى دولة عربية.

ثم ظهرت محاولة أمريكية جديدة تقدمت بها ومعها بريطانيا سنة ١٩٥٣ تعرض على مصر جلاء القوات البريطانية عن منطقة

القناة بشرط إرتباط مصر بقيادة منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ووضع القاعدة المصرية فى القناة تحت إشراف خبراء يساعدهم خبراء بريطانيين، لكن مصر رفضت وأصرت على الجلاء غير المشروط.

فعملت الولايات المتحدة بعد ذلك على عزل الثورة المصرية فأنشأت حلف بغداد - رغم عدم إنضمامها إليه رسميا - فى فبراير ١٩٥٥ لاستكمال حزام حلف شمال الأطلنطى وليكون همزة وصل مع حلف جنوب شرقى آسيا.

كما عملت الولايات المتحدة - لعزل مصر - بأسلوب آخر مواز هو التخطيط لإرتباط الولايات المتحدة باتفاقيات ثنائية مع دول المنطقة تقدم لها بموجبها معونات عسكرية واقتصادية، وارتبطت بالفعل بعدد من هذه الإتفاقيات الثنائية مع إيران وباكستان والعراق والمملكة العربية السعودية وإسرائيل.

وهكذا أحست بل وتأكد للولايات المتحدة فشلها فى إحتواء الثورة المصرية، بعد أن لمست أن الاتحاد السوفييتى استطاع أن يكسر الحصار الذى فرضه الغرب وذلك بمعاونة النظم التحررية فى مقاومة النفوذ الغربى فى المنطقة. ومن مظاهر هذا النجاح السوفيتى إبرام صفقة الأسلحة مع مصر سنة ١٩٥٥ وتأييده لمصر وإنذاره لدول العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦، ثم عرضه تمويل السد العالى بعد أن سحبه الغرب، الأمر الذى دعا الولايات المتحدة مرة أخرى لإعلان مشروع إيزنهاور للتعاون الأمريكى مع دول الشرق الأوسط فى سبيل تطوير إقتصادياتها، والإستعداد لتقديم القوات العسكرية

الأمريكية متى ما طلبتها أى دولة من دول الشرق الأوسط لحمايتها من أى اعتداء مسلح تقوم به دولة خاضعة لسيطرة الشيوعية الدولية».

موقف أمريكا من مصر منذ قيام الثورة ١٩٥٢ حتى العدوان الثلاثى ١٩٥٦ :

وهكذا كانت القاهرة منذ قيام ثورة ١٩٥٢ هدفا مباشرا لتخطيط السياسة الأمريكية فى المنطقة، اتسمت أولا منذ سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٥٥ بصورة ودية، فساعدت الولايات المتحدة فى تأييد مصر، ومساعدتها للتوصل إلى اتفاق مع بريطانيا للإنسحاب من السودان ثم الجلاء، وكان هدف الولايات المتحدة هو أن تحل محل بريطانيا بعد جلائها عن مصر وملء الفراغ الناتج عن هذا الجلاء وربط مصر بنظام الدفاع الأمريكى لإحتواء الاتحاد السوفييتى، غير أن الولايات المتحدة لم تكن من المهارة فى شئ فقد استغلت طلب مصر للسلاح لتدافع عن نفسها وأعتبرته فرصة للمساومة للإنضمام فى حلف دفاعى غربى، الأمر الذى أنهى فترة حسن العلاقات المصرية الأمريكية نتيجة سخط الولايات المتحدة لعقد مصر صفقة الأسلحة السوفييتية سنة ١٩٥٥ مما ترتب عليه إنذار الولايات المتحدة وتهديدها بتسليح إسرائيل، وزاد تصاعد التوتر فأعترفت مصر بالصين الشعبية فى مايو ١٩٥٦ ، وسحبت أمريكا بالتالى تمويلها للسد العالى بطريقة تتنافى مع اللياقة فأممت مصر قناة السويس فكان عدوان ١٩٥٦ على الوجه المعروف.

القسم السادس عشر

جولدا مائير
خامس الرواد الأول الصهاينة



المرأة التى لا تعرف الخوف ولاتهاب المعارك.

مقدمة

هناك نساء عديدات تركن بصماتهن على صفحات التاريخ.. حتشبسوت ملكة مصر الفرعونية.. وكليو باترا سليلة أباطرة الأغريق، في العهد القديم.. وشجرة الدر زوجة سلطان مصر المملوكي في العصر الوسيط.. وإيفا بيرون زوجة حاكم الأرجنتين..

وجميعهن أتين من القمة، حيث كان السلطان والصولجان رهن إشارة منهن.. لم يعرفن النضال، ولم يعانين شظف العيش.. وكان كل شئ ممهدا لهن لتلبية رغباتهن.

أما «جولدا مائير» فكانت على النقيض، إذ هاجرت ـ وهي طفلة ـ مع أبويها من «كييف» هربا من الاضطهاد الروسي إلى الولايات المتحدة، وفي ريعان شبابها اقتنعت وآمنت بالمبادئ الصهيونية التي كان يروجها «بن جوريون» و«بن زيفي» بين الشباب الأمريكي، وكانت ضمن أول أفواج الشباب الأمريكي الصهيوني الذي هاجر إلى فلسطين، والتحقت في أول الأمر بالعمل في مستعمرة يهودية «كابوتس» وكانت تمارس الأعمال الخشنة بيديها، وتحمل السلاح على كتفيها للدفاع الذاتي عن المستعمرة.

تتلمذت على الرواد الأوائل للصهيونية «بن جوريون» و «بن زيفى» و«وايزمان»، وتدرجت من أدنى درجات الصهونية، إلى أن أصبحت وزيرة عندما أعلن «بن جوريون» قيام دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨ .

وعندما كانت أول سفيرة لإسرائيل لدى الاتحاد السوفييتى - فى أوج سطوته، واحتياج إسرائيل إلى مؤازرته - لم تتورع فى توجيه النقد اللاذع لسياسته وزعماته.

وفى الأمم المتحدة، كانت تمثل إسرائيل الخطيبة المفوهة، التى تسوق حججها المقنعة - الواحدة تلو الأخرى.

وعندما تأكدت من أن «بن جوريون» زعيمها وقدوتها فى الكفاح والنضال الصهيونى ينحرف عن المبادئ الصهيونية والديمقراطية، ويفضل بعض تلاميذه الصغار على الرواد الأوائل للصهوينية، لم تتوان عن مهاجمته ومعارضته على سطوته وقوته، وهزمته فى عقر حزبه « الماباى» وحملته على الإنسحاب من مسرح السياسة، والاعتكاف الاختيارى فى «كابوتس» «سيدى بوكر» بصحراء النقب.

ثم قادت الحياة السياسية وتزعمت حزب «الماباى»، وخاضت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وتمكنت من إنقاذ إسرائيل بإتصالاتها ونفوذها فى الولايات المتحدة، من زلزال العبور المصرى الذى زعزع - بل وأطاح - بهيبة إسرائيل العسكرية.. بيد أنها لم تتردد فى اللجوء إلى خبرة «بن جوريون» الذى سبق أن عصفت به، عندما تعرضت إسرائيل للخطر فى حرب أكتوبر طالبة المشورة والنصح.

وقد أوصى «بن جوريون» بتعيين «أريل شارون» لقيادة المدرعات، والذى نجح - بفضل المعلومات التى كانت تقدمها الولايات المتحدة - فى فتح ثغرة «الدفرسوار»، ونقل المعارك إلى أرض مصر. وهذه الخطة هى التى نفذها «بن جوريون» فى حروب ٤٨، ٥٦، ١٩٦٧ .

وقد عاشت «جولدا مائير» فى آوج مجدها - وأثناء تبوئها السلطة- عيشة أسرية بسيطة، بعيدا عن الترف والصخب والبهرجة والدعاية الشخصية، وختمت حياتها بعد أن اطمأنت على مستقبل إسرائيل والشعب اليهودى، بتوقيع معاهدة السلام مع مصر، والتى كانت إسرائيل تخشى مواجهتها.

هذا وقد رأيت من الضرورى أن أفرد لهذه المرأة المناضلة - فى الجزء الثانى من الكتاب - بعد أن اعتلت أرفع المراتب فى الدولة الصهيونية وتزعمت يهود العالم، أن أفرد لها قسما خاصا أوضح فيه فكرها السياسى وفلسفتها وأسلوبها النضالى، معتمدا على أهم المراجع وأقربها إلى الحقيقة، والتى تناولت سيرة حياتها تفصيلا.

جولدا مائير

خامس الرواد الأول الصهاينة

إن فلسفة جولدا مائير وأسلوبها السياسى كان ينصب إلى إستدرار عطف الشعوب.

وتتسم تصريحات جولدا مائير بالزهو والمرارة معا، إذ تتغنى بانتصارات إسرائيل عام ١٩٥٦ . (العدوان الثلاثى بمشاركة إنجلترا وفرنسا)، وعام ١٩٦٧ بمشاركة أمريكا، ولم تكن حربا بالمعنى الصحيح بل مؤامرة دمرت فيهاالطائرات المصرية على الأرض فحرمت القوات المصرية من غطاء جوى يحميها. كما كانت تشعر بالمرارة من تسلل الاتحاد السوفيتى إلى منطقة الشرق الأوسط وهو يومئذ أحد القوتين الأعظم، وقد علمت أن الدول العربية التى احتلت إسرائيل جزءا من أراضيها ـ خاصة مصر ـ لن تستسلم مما يحتم إبقاء إسرائيل فى حالة طوارئ وقلق دائمين.

وكذلك بالغت وغالطت كثيرا فى أحاديثها عن التغلغل السوفييتى وما يتعلق بنفوذ الخبراء السوفييت على القيادة المصرية.

إلا أن بعض تصريحاتها كانت حقيقية وإن أفاضت بالمبالغة فى موقفها من التصريحات العنترية الجوفاء التى كان يرددها بعض القادة العرب ضد إسرائيل، وكانت جولدا مائير تتصيدها لتظهر بمظهر الحمل الوديع وسط الذئاب العرب. وكانت أغلب خطب القادة العرب أن لم تكن كلها للاستهلاك المحلى فى بلادهم. مما أفقدهم تعاطف الرأى العام العالمى ـ وخاصة الغربى ـ فبدوا استفزازيين بل عدوانيين وكسبت إسرائيل ـ على حسابهم ـ تأييد الرأى العام العالمى ودعمه، وساعد على ذلك قصور الإعلام العربى عن أداء واجبه على الصعيد الخارجى، فى مواجهة النجاح الكبير للإعلام الإسرائيلى، فى أوروبا والولايات المتحدة بحكم سلطان إسرائيل على أكثر وسائل الإعلام فى هذه المناطق ومالها من نفوذ مادى ومعنوى عليها.

وقد حرصت مسز مائير من استقراء كلماتها فى شتى المناسبات على التظاهر الدائم بالحكمة والتعقل والإلتزام بالمواثيق والقرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة، وذلك مايجافى الحقيقة تماما إذ كانت هى البادئة بالعدوان ولم تحترم أيا من المواثيق والقرارات التى تتغنى بالتمسك والإلتزام بها، فقد هاجمت مصر عام ١٩٥٦ وهاجمت مصر وسوريا والأردن عام ١٩٦٧، وعمدت دائما إلى الاستفزاز وفرض المعركة على العرب وهم على غير إستعداد لتوقيتها.

وقد انحت باللوم والمسئولية دائما على الجانب العربى مستغلة كما أسلفت الخطب الحماسية، فى الجماهير العربية ـ وبصفة خاصة

على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وهو فى نظرها وغيرها من المسئولين الإسرائيليين العدو الرئيسى الأساسى الذى يتحسبون له الحساب. فهو رجل عسكرى قاد ثورة شعب هو أكبر الشعوب العربية عددا وإستعدادا.

كما ركزت على بعض شئونها الخاصة من نشأتها إلى نضالها إلى الحديث عن أسرتها وما أسند إليها من مناصب كبيرة وخطيرة، وكانت الدعاية الخادعة المقصودة لدولة إسرائيل، حيث تعترف بالفقر وما يواجه إسرائيل من مشكلات كثيرة بهدف تشجيع اليهود من المهجر إلى بذل كافة جهودهم للهجرة إلى إسرائيل لأسباب إستراتيجية بعيدة المدى، وقد نجحت إلى حد كبير فى جذب يهود الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية والفلاشا من أثيوبيا.

نشاط جولدا مائير السياسى:

ولقد تمكنت من زعامة حركة العمل فى فلسطين ثم أصبحت زعيمة لحزب الهستدروت وكان فى سنة ١٩٤٠ حين بدأت تتسع حركة التهجير اليهودية. وحين ألقى القبض على زعماء الحزب من الرجال انتخبت رئيسة بالنيابة للقسم السياسى من «الوكالة اليهودية» فى القدس مع موشى شاريت رئيس هذا القسم. ومن ثم كانت ضمن أعضاء المفاوضات مع بريطانيا حتى إعلان قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين. وقد ذهبت إلى شرق الأردن متنكرة فى زى عربية للقاء سرى مع الملك عبد الله فى محاولة للتأثير عليه فلا ينضم إلى الهجوم العربى على دولة إسرائيل.

و عند إعلان دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ عينت وزيرة مفوضة في موسكو، ثم وزيرة للعدل سنة ١٩٤٩ بعد أول إنتخابات في إسرائيل، وعضوا بارزا في حزب الماباى، وفى سنة ١٩٥٦ عينت وزيرة للخارجية، إذ غيرت اسمها إلى «مائير» وكانت «مسز مايرسون» نسبة إلى زوجها. ثم اعتزلت العمل من وزراة الخاريجة سنة ١٩٦٥ لتصبح سكريترة لحزب الماباى، وفى مارس سنة ١٩٦٩ وبعد وفاة ليفى أشكول عينت رئيسة لوزراء إسرائيل.

دور جولدا مائير فى معركة ١٩٤٨ :

وحول حرب الشرق الأوسط سنة ١٩٤٨ ذكر «بن جوريون» أن مساعى «جولدا مائير» للحصول على الأموال اللازمة لقيام دولة إسرائيل سوف يقال عنها يوما عندما يكتب التاريخ: «إن امرأة يهودية قد جمعت المال الذى مكن لقيام الدولة»

وقد أوردت جولدا مائير هذا النص فى مقدمة حديثها الذى ألقته فى ٢١ من يناير ١٩٤٨ فى مجتمع الرأسمالين اليهود فى أمريكا لتحصل منهم على ما يمكن جمعه من مال لإسرائيل.

كما حرصت جولدا مائير منذ البداية على محاولة استدرار عطف العالم حول القضية، كما كانت تحرص أيضا فى حديثها على استدرار جيوب الرأسماليين اليهود فى أمريكا، فتوضح أن اليهود فى فلسطين قد أصبحوا فى حالة لم يبق أمامهم ازاءها إلا تشكيل الدولة الجديدة فى أرض الميعاد. وتركز فى البداية على نقطة تثير بها عطف الرأى العام العالمى عامة واليهودى الرأسمالى الأمريكى خاصة، فتصور كفاح شباب إسرائيل وخروجهم إلى مزارعهم

وأعمالهم وكلهم دون العشرين رغم تيقنهم من أن العرب الفلسطينيين فى انتظارهم فى كل طريق يطرقون.. هؤلاء العرب الذين يعرقلون مسيرة اليهود فى فلسطين ويعرقلون مساعيهم للاستيلاء على الأرض.

رأى جولدا مائير فى حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

فى كلمة لها فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٥ ديسمبر ١٩٦١ تتحدث حول الحلول الممكنة لمشكلة اللاجئين. وهى بطبيعة الحال تحمل العرب مسئولية تفاقم المشكلة، بل وتحملهم كذلك مسئولية حلها. وذلك باستعراضها للقضية منذ إعلان قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ .. فتحمل العرب مسئولية رفض قرار الأمم المتحدة بإنشاء دولة لإسرائيل ودولة للعرب فى فلسطين، وتحملهم مسئولية رفض قبولهم اللاجئين الفلسطينيين فى أراضيهم بدلا ممن خرج منها من اليهود، وتعلن أن إسرائيل كانت على استعداد لتعويضهم عما تركوا من ممتلكات. وتلخص القضية بقولها فى النقاط التالية:

١ ـ لقد قبلنا حل سنة ١٩٤٧ ولكن هل حث العرب الفلسطينيين على قبول ذلك؟ فلو فعلوا لكانت هناك دولة لإسرائيل وأخرى للفلسطينيين يعيشون فى رئام ووفاق وتعاون.

٢ ـ وبخلاف ذلك فقد قررت الدول العربية إعلان الحرب على إسرائيل، حيث ظهرت قضية اللاجئين نتيجة لهذه الحرب. فالمسئولون عن الحرب هم المسئولون عن خلق قضية اللاجئين.

٣ ـ ولئن كان قرابة ٥٥٠ ألف عربى قد تركوا الأراضى فى إسرائيل، فقد ترك مثل هذا العدد نفسه من اليهود الدول العربية إلى إسرائيل. ومن ثم كان هناك نوع من تبادل السكان.

٤ ـ ليس للأمم المتحدة قرار بعودة اللاجئين بغير شروط إلى إسرائيل، بل على العكس هناك قرارات توصى بالمفاوضات لإيجاد حل سلمى لهذا الأمر.

٥ ـ تعتقد إسرائيل أن حل مشكلة اللاجئين فى استقرارهم فى الدول العربية فى نطاق التقدم الاقتصادى للشرق الأوسط.

٦ ـ وأن إسرائيل لعلى استعداد لتقديم التعويضات اللازمة للممتلكات التى تركها العرب وراءهم، وسوف تطالب بدون شك كذلك بتعويضات عن أموال اليهود الذين قضى عليهم فى مختلف الدول العربية.

جولدا مائير وحرب ١٩٥٦ والجلاء عن سيناء ١٩٥٧

وعن حرب ١٩٥٦ والجلاء عن سيناء ١٩٥٧ فى كلمتين أكدت جولدا مائير أن تتحمل فيهما مصر مسئولية حرب ١٩٥٦ وإحتلال إسرائيل لبعض الأراضى الأخرى ثم اضطرارها للإنسحاب بعد ذلك. وحملت الفدائيين وعبد الناصر مسئولية تحرير الأراضى المغتصبة... وحملتهم مسؤولية محاولة إعادة الحق لإصحابه، وصورت الفدائيين على أنهم مجموعة من اللصوص الذين يقتلون وينهبون ويعتدون، ناسية أو متناسية أرض مَنْ، أو مال من، ينهب... لوصح التعبير، هؤلاء اللصوص.

تحمل عبد الناصر مسئولية تشجيع الفدائى الذى ينطلق من حدود سيناء من قطاع غزة، وتصرح ببساطة أن مطلب إسرائيل بسيط وهو الأمان من كل مايهددها ويهدد أمن حدودها. إنها ترغب

فى أن تعيش آمنة فى سلام حتى تسطيع اكمال العمل لتقدم بلادها وبناء مجتمعها المبنى كما تقول - على العدالة الإجتماعية والحرية والفردية،.. إنها ترغب فى العيش بسلام مع جيرانها من أجل الخير المشترك ومن أجل رفاهية شعوب المنطقة التى تعانى من الفقر والجهل والمرض.

جولدا مائير وحرب ٥ يونيو ١٩٦٧

ثم تأتى مرحلة أخرى تبدو واضحة فى نغمة خطاب جولدا مائير بعد حرب الخامس من يونيه ١٩٦٧ .

فبعد حرب ١٩٦٧ وبعد أن يظن أهلها أنهم قادرون عليها، تعتقد جولدا مائير أن الأمر قد صار أخيرا لإسرائيل، واعتقدت أيضا أن هذه الجولة التى استطاعت فيها إسرائيل أن تصل إلى هذا الإتساع من الأرض دائم باق على مدى الزمن.. وهذه الخلفية هى التى تحكم كل تصريحاتها بعد ذلك. ويبدو هذا واضحا من خطابها فى جمع يهودى يوم وصولها بعد ستة أيام فقط من بدء حرب ١٩٦٧ لتعلن النصر، ولتعلن أن هذه الفئة القليلة ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ يهودى التى أدعى العرب أنهم قادرون على الإطاحة بهم عبر البحر المتوسط قد استطاعت أن تلقن العرب درس،. واختفت نغمة المسكنة واستدرار العطف التى كانت تسيطر عليها قبل هذا التاريخ، ثم تعطى التصريح وراء الآخر.

كان اليهود يعرفون أن النصر دائما حليفهم، لأنهم - على حد قولها - وإن ظلوا مشتتين فى أنحاء الأرض فقد كان يجمعهم أمل العودة إلى إسرائيل.

كان الشباب اليهودى فى كافة أنحاء العالم يحاول الوصول إلى إسرائيل قبل تلك الحرب، ناسية أو متناسية ما كانت تمارسه الحكومة الإسرائيلية من دعايات وضغط على يهود العالم فى سبيل اقناعهم بالهجرة إلى إسرائيل.

«وعلى العرب الآن أن يبحثوا عن وسيلة للسلام فنحن لانريد إرسال أبنائنا للحرب مرة أخرى».. ثم تحمل عبد الناصر مسئولية الحرب، ومسئولية عدم تقدير الموقف ومسئولية خداع إسرائيل وعدم التزامها بكافة قوانين الشرف والإنسانية.

وكانت تلح على فكرة «السلام» وكأنما أحست بأن هذه الحرب لم تكن فعلا حربا واجه فيها جندى جنديا، أو بمعنى آخر كانت تحس بأن إسرائيل إنما استطاعت بالخداع والحيلة ومساعدة أمريكا، أن تحتل بعض الأراضى بالقوة دون أن تحرز نصرا.

ولذلك فهى تطالب بالسلام خشية جولة أخرى قد تنكشف فيها قوة إسرائيل الحقيقية وتسقط كافة الأقنعة الزائفة فهى تريدها جولة أخيرة تعقبها محاولة السلام.

جولدا مائير والدعوة إلى السلام

بعد قرابة الأعوام الثلاثة من حرب الشرق الأوسط ١٩٦٧، تتحدث من مركز قوة موهوم فى الكنيست فى ٢٦ مايو ١٩٧٠ داعية إلى السلام متهمة مصر بأنها تجاهلت تعهداتها بالسلام فى الشرق الأوسط. وتنقل عن عبد الناصر قوله «تقدم الجيش المصرى عبر أنهار من الدم والنار» وما أظن أن يصدر قول كهذا عن رجل لم

يرض بنقض عهده بعدم البدء بالعدوان عام ١٩٦٧ . ولو كان فعل لتغير الأمر تماما الآن. والعجب أن تقلب إسرائيل حقيقة أمر لا يخفى على العالم كله، فتدعى أنها الدولة ذات الموارد الضعيفة بالقياس إلى موارد الدول العربية إنما تضطر إلى شراء أسلحتها وتؤدى ثمنها نقدا لكل دولة تشترى منها، على حين تدعى أن مصر إنما تتلقى الهدايا من السلاح دون حساب. ثم هى تحمل الاتحاد السوفييتى مسئولية ما حدث سنة ١٩٦٧ ومسئولية دعم العرب بعدها.

وذكرت أن برنامج إسرائيل للسلام هو:

- وضع الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية فى القدس تحت مسئولية المختصين بالأديان بهدف إتفاقيات تعطى طابعها الدولى الفاعلية والتأثير.
- الاعتراف المتبادل بالسيادة.
- التعاون الإقليمى لتطوير المشروعات الجيدة لكل المنطقة.
- ولكن القادة العرب تجاهلوا البرنامج ولم يوافقوا عليه بالرد أو التعليق.

وقد أكدت من جديد مبادئ السلام قائلة: نحن مستعدون لمناقشة السلام مع جيراننا فى أى يوم وفى كل الموضوعات.

وكان رد عبد الناصر بعد ثلاثة أيام «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، وما ينبغى لصوت أو نداء أن يكون أقدس من النداء للحرب.

وفى الكنيست أيام ٥و٨ مايو و٣٠ يونية ١٩٦٩ كررت إعلان استعدادنا للدخول فى مفاوضات مباشرة مع كل طرف من جيراننا

دون شروط مسبقة للتوصل إلى تسوية سلمية، وكان رد الدول العربية تلقائيا متعجلا، ووصم المعلقون فى دمشق والقاهرة وعمان السلام بالعار وإنه «استسلام» وأمطروا إقتراحات إسرائيل بالاستهزاء. ولنأخذ مثلا مما نشرته إحدى الصحف الأردنية الرئيسية «الدستور» فى ١٥ يونيو ١٩٦٩ «أن مسز مائير مستعدة للذهاب إلى القاهرة لتعقد مباحثات مع الرئيس عبد الناصر، لكن للأسف لها، فلم توجه إليها الدعوة، وهى تعتقد أن يوما يكون العالم فيه بلا بنادق يكون يوما عظيما سينزع فى الشرق الأوسط - وكانت تلك هى اللحظة التى أعلن فيها عبد الناصر خروق إتفاقيات وقف إطلاق النار وعدم الإعتراف بخطوطها.

القسم السابع عشر

نهاية زعيمين

مقدمة

تمهيد

الفصل الأول

مدرسة «عبد الناصر»

الفصل الثاني

مدرسة «بن جوريون»

مقدمة :

اتسمت مرحلة ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣ بسيادة فكر مدرستين هما: رؤية بن جوريون المتحالف مع القوى الاستعمارية ورؤية عبد الناصر الذى قاد حركة التحرر فى العالم العربى وكان له دور كبير فى قيادة حركة التحرر فى العالم، ويضاف إلى هذين التيارين أو المدرستين عامل هام هو الفعل الأمريكى الذى كان يأخذ بيد اسرائيل وفاء باستراتيجيته الكونية ويعوق مسار حركة التحرر لأنه رأى فيها تسريبا وتسهيلا للنفوذ السوفييتى إلى منطقة هامة وحساسة هى الشرق الأوسط تستحوز الثروة والموقع والبترول.

وقد اتسمت هذه الفترة على الجانبين الاسرائيلى والعربى، (والمصرى بشكل خاص) بقتالية واضحة وصدام مسلح فى أكثر من نقطة داخل هذه الفترة التاريخية.

وأهمية هذه الفترة أنها كانت مقدمة لفترة أخرى بدأت بحرب عام ١٩٧٣ توطئة لحل النزاع العربى ـ الاسرائيلى حلا سلميا وفق التصور والرضا الأمريكى.

وليس التـعـرض من هذه الـدراسـة الإدانة أو التـجـريـح لتـيـار أو لآخـر ولكن الهدف تلمس الخيط الذى يقود إلى المرحلة التالية وهى مرحلة كامب دافيد التى بدأت فى الواقع عام ١٩٧٣ .

تمهيد:

عبد الناصر.. وبن جوريون

كـان لكل من عـبد الناصر وبن جـوريون دورا فى نفس الفتـرة تقريبا وإن تغايرت رؤى كل من الرجلين:

١ـ كان عـبد الناصر رجل مـبادئ يؤمن بالتحـرر الوطنى، وبعدم الانحياز، وبالعدالة الاجتماعية، ومعاداة الاستعمار.

أما بن جوريون: فلم يكن يتورع فى سبيل تحقيق أهدافه عن اتباع أية طريقة، لأن الغاية فى تصوره تبرر الوسيلة، ولم يكن بن جوريون مـثـلا ضد الإرهاب رغم إعـلانه خـلاف ذلك، ولكنه كـان ضد التوقيت الخاطئ للإرهاب، وقد حارب بن جوريون الاشتراكية فى بولندا أيام شبابه، وأنضم للاشتراكيين فى فلسطين، ثم شجع بعد ذلك على قيام طبقة رأسمالية فى اسرائيل، واتخذ بن جوريون نفس المسلك فى علاقاته مع الدول الغربية بعد قيام دولة إسرائيل، فعندما رأى عدم جدوى بريطانيا للصهيونية إتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بحثا عن المعونة الاقتصادية، وإلى فرنسا للحصول على أسرار القنبلة الذرية.

٢ ـ لم يكن عبد الناصر توسعيا رغم أن الظروف مهدت أمامه الطريق للامتداد الاقليمى عندما عرضت عليه كل من سوريا والسودان واليمن وليبيا «كل فى حينه» الوحدة إلا أن نظرة عبد الناصر كانت القومية العربية أولا، وشعاره يبدأ بالحرية ثم الاشتراكية وينتهى بالوحدة، أى أن الوحدة لم تكن مشكلة حالية بالنسبة له.

أما بن جوريون فكان سياسيا توسعيا بحكم انتمائه الصهيونى، ففى خطابه عام ١٩٥٠ ذكّر زملائه فى الكنيست فى خطاب شهير بأن تسعة أعشار يهود العالم لا يزالون بلا وطن.

ثم حدد بن جوريون أهدافه الثلاثة فى نوفمبر ١٩٥٦ بما يلى:

- القضاء على قوات العدو التى تهدد اسرائيل.
- تحرير الأجزاء من الوطن التى لا تزال تحت احتلال الأعداء «يقصد من النيل إلى الفرات».
- وأثر حرب ١٩٦٧ خطب بن جوريون قائلا: «لابد من قدوم موجة كبرى من المهاجرين اليهود بهدف دعم الاستيطان».

٣ ـ كان قدر عبد الناصر وثورة يوليو الدفاع عن استقلال وتحرر مصر ودعم حركات التحرر العربية وغيرها، وكان اختيار بن جوريون وزملائه التحالف مع الاستعمار، مما أحدث فرزا اقتضته المرحلة، وضع اسرائيل وأمريكا والغرب فى جانب،والاتحاد السوفييتى ومصر والدول النازعة نحو التحرر فى

جانب آخر، وارتبط هذا الفرز بالاستراتيجية الكونية الأمريكية الغربية بمحاصرة الأتحاد السوفيتى بما يجره هذا من ضرب اصدقائه فى المنطقة.

٤ ـ وعلى هذا يمكن القول أن الانتصارات والتفوق الاسرائيلى كانت منحة من الاستعمار لخدمة أغراضه وعندما تنتهى أهداف الاستعمار تعود إسرائيل لحجمها الطبيعى.

الفصل الأول

مدرسة عبد الناصر
والتعقيب على عهده



جمال عبد الناصر زعيم القومية العربية تكاتلت وتعانقت ضده الاستعمار والصهيونية والولايات المتحدة وعملوا على تدميره.

١ - اسس الحقبة الناصرية:

إذا أمعنا النظر فى اسس الحقبة الناصرية نجد أنها تتصادم مع اسس حقبة «بن جوريون» والحقبتين تنهيان فى الواقع عام ١٩٧٣، لنجد أمامنا مرحلة تاريخية جديدة احجمت فيها الحرب طريقا للمشكلات من أجل حلها وأبعادها عن الركود، وهى حقبة تعرف باسم كامب دافيد ثم أعقبتها حقبة «مدريد».

(أ) استندت المرحلة الناصرية إلى عدة ثوابت تعبر عن التصور العام لقيادة هذه المرحلة:

وأول ثوابت هذه المرحلة التحرك على محاور أو دوائر ثلاث وهى: الدائرة العربية (الدائرة الأولى) ويلتصق بها ضرورة تحرير فلسطين ، المأساة التى ظهرت نتيجة الوجود الاستعمارى، كما يتصل بهذه الدائرة تصور محدد عن عناصر القوة الكامنة فى هذه الدائرة وهى عناصر تتصل أولا بإمكانية الشعوب العربية المترابطة ماديا ومعنويا ولديها مقومات الحضارة اللازمة لتقدمها، كما تتصل ثانيا بالأرض والموقع الاستراتيجى المتميز فهى ملتقى طرق العالم ومعبر

تجارته وممر جيوشه، وتتصل ثالثا، بوجود البترول وهو عنصر هام من عناصر قوة العرب. والدائرة الثانية هى الدائرة الافريقية نظرا لوجود السودان والنيل وخلفية من دول العالم الثالث تقوم مصر بدور همزة الوصل بينهما وبين العالم الخارجى. والدائرة الثالثة وهى الدائرة الاسلامية وتعد الكعبة الشريفة رمزا وملتقى هذه الدائرة. ومن خلال حركة التاريخ المصرى - العربى اضيفت دائرتان، الرابعة، هى حركة عدم الانحياز، والخامسة، حركة التحرر الوطنى الديمقراطى فى العالم. ويلاحظ أن الدوائر الثلاثة الأولى ثابتة والأخرتين ترتبطان بتغير الظروف.

ويلاحظ أن فكرة هذه الثوابت المتصلة بالدوائر المشار إليها لم تأت من فراغ، فقد ورد فى كتاب فلسفة الثورة أن مجئ الحملة الفرنسية قد أنهى العزلة التى فرضت على مصر وفتح آفاقا جديدة، ثم جاءت أسرة محمد على التى ورثت سمات كثيرة عن المماليك وحاولت أن تلبسها ثيابا تتناسب مع القرن التاسع عشر، ومع ذلك كانت الحملة الفرنسية ومجهودات محمد على بداية اليقظة الحديثة فى مصر. وقد قامت مصر بجهد كبير لاختراق مراحل كثيرة مرت بها المجتمعات الأوروبية وصولا إلى الحداثة.

وثانى مجموعة تمثل الثوابت فى الحياة السياسية المصرية فى المرحلة الناصرية كانت مبادئ الثورة الستة وهى أولا، تصفية الاستعمار وأعوانه، وثانيا تصفية الاقطاع، وثالثا القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، ورابعا اقامة عدالة اجتماعية وخامسا اقامة جيش قوى، وسادسا إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

(ب) وقد أدت حركة مجموعتى الثوابت التى أشرنا إليها إبان المرحلة الناصرية إلى بروز تحالفات اقتضتها ظروف المرحلة، بل تعتبر مفروضة على مسيرة الثورة، ونحذر فى هذا الصدد من الحكم على تلك المرحلة بمقاييس التسعينات أو الثمانينات أو حتى السبعينات وقد اتخذت التحالفات إتجاهين ـ: تحالف خارجى مع الاتحاد السوفيتى لمواجهة قوة عظمى مناوئة ـ وهى الولايات المتحدة حليفة إسرائيل، ويرتبط هذا التحالف بتحالف الدول المعادية للاستعمار والتى قادت حركة التحرر الوطنى الديمقراطى فى العالم.

وتحالف داخلى هو تحالف قوى الشعب العاملة لسد الطريق أمام تسلل أعداء الثورة، وحشد الطاقات لتجسيد تصورات الثورة فى التحرك السياسى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وقد أدت هذه الثوابت وما تبعها من تحالفات إلى قيام العالم الغربى وخاصة الولايات المتحدة الاميكية بمحاصرة ومهاجمة بل والتآمر على مصر وصولا إلى ضرب ومحاصرة الحليف السوفيتى ونصرة وتفوق الحليف الاسرائيلى. وقد عمدت الولايات المتحدة إلى استخدام طاقاتها لتحقيق هذا الهدف على النحو التالى:

* استنزاف موارد مصر فيما لا يجدى.

* حرمان البرامج الاجتماعية من الموارد اللازمة نتيجة لهذا الاستنزاف.

* استفزاز الدولة وجرها للرد بعنف لاظهارها فى وسائل الاعلام الغربية بمظهر الدولة العدوانية.

* زرع وتجنيد العملاء مما يدفع إلى تقييد الحريات وعدم السماح بالمعارضة.

* جر الدولة إلى حروب ومنازعات إقليمية تدبرها أو تدفع إليها كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية أو أية دولة أخرى مستجيبة لمتطلبات الاستراتيجية الامريكية، وهو أمر يضر بالبناء الاقتصادى والتنمية الاجتماعية ويضرب الثورة فى أغلى أهدافها بل فى سبب قيامها.

* تكوين معارضة محلية بهدف تغيير النظام أو إفراغه من مضمونه.

(جـ) وقد أدت عوامل أخرى إلى مواقف عدائية من الغرب فى مواجهة القيادة المصرية ومن ذلك ما أحدثه مؤتمر باندونج (ابريل ١٩٥٥) ومؤتمر عدم الانحياز فى يوغوسلافيا (سبتمبر ١٩٦١) كما أعلنت الثورة عن السياسة الخارجية المصرية وفق أسس ثلاثة.

- مناهضة الاستعمار والسيطرة.

- العمل من أجل السلام كصيغة وحيدة للتقدم الوطنى.

- التعاون الدولى من أجل الرخاء المشترك لجميع الشعوب.

٢ - كسر احتكار السلاح وحرب السويس:

أدت الضغوط الغربية المنحازة لاسرائيل إلى تحرك الثورة لكسر احتكار السلاح، ومواجهة الموقف المتأزم نتيجة حصول إسرائيل على

السلاح وامتناع دول الغرب عن إمداد مصر والدول العربية به مما أخل بالتوازن العسكرى والسياسى فى الشرق الأوسط وقد لجأت مصر إلى تشكوسلوفاكيا، وفى الواقع إلى الاتحاد السوفيتى وتمكنت من كسر احتكار السلاح وهو أمر أدى إلى تحرك الغرب للضغط على مصر، وانتهى الأمر بايقاف الدول الغربية لوعدها بتمويل مشروع السد العالى وهو المشروع الذى كانت تعول عليه مصر كثيرا فى مجال التنمية الشاملة، وتم التخلى عن المشروع من قبل الغرب فى يوليو ١٩٥٦ بحجة التشكيك فى مقدرة مصر الاقتصادية.

- وقد ردت مصر على هذا التحرك بقيامها بتأميم قناة السويس ١٩٥٦.

وقد حاولت الدول الغربية - بريطانيا وفرنسا - إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل التأميم واستخدمت فى ذلك الوسائل الاستعمارية القديمة، فدفعت اسرائيل إلى الهجوم على سيناء ووجهت انذارا فى ٣٠/١٠/١٩٥٦ إلى كل من مصر وإسرائيل بايقاف القتال وسحب القوات مساحة ١٥ كم من القناة، وقبول مصر احتلال المواقع الرئيسية على ضفتى القناة بقوات بريطانية وفرنسية لضمان حرية الملاحة، إلا أن مصر ردت بالمقاومة ومن خلفها العالم ودول العالم الثالث، وانتهى العدوان بانسحاب قوات الدول الثلاث وساعد فى ذلك الانذار السوفيتى والتحرك الأمريكى ضد الغزو داخل الامم المتحدة وخارجها وكانت تستهدف تأمين مصالحها فى الشرق الأوسط.

ونتيجة ما سبق وخوفا من التغلغل الشيوعى فى الشرق الأوسط ولحماية اسرائيل ولتأكيد المصالح الأمريكية فى منطقة تحوز البترول

والثروات تحركت الولايات المتحدة الامريكية وأعلنت مشروع ايزنهاور الذى تحدث عن الفراغ فى منطقة الشرق الأوسط ودعم المستجيبين لمشروع ايزنهاور- التحالف الامريكى - بمساعدات اقتصادية وعسكرية وقد رفضت مصر هذا المشروع وغيره من المشروعات المماثلة.

٣ - حرب ١٩٦٧ وضرب التجربة الناصرية:

ونتيجة تصاعد المواجهة بين كل من العالم العربى وإسرائيل من جهة، والاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة من جهة أخرى وأختلاط الأوراق والنظر إلى التجربة الناصرية بوصفها مساعدا للتسلل السوفييتى تم توجيه ضربة إلى هذه التجربة بالتعاون الوثيق من الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل، وكان لكل منهما أهدافه الخاصة التى توحدت بضرب القيادة المصرية.

(أ) تأثيرات حرب ١٩٦٧ :-

أحدثت هزيمة ١٩٦٧ عدة آثار تتفق مع طبيعة الحدث، وعكست عمق التردى الداخلى والحرب الخارجية ومدى الأهمال والتفكك فى العالم العربى فى مواجهة الاخطار المحيطة به. فمن ناحية تأكدت عدة تصورات عن: قوة التأييد السياسى والاقتصادى والعسكرى الامريكى لاسرائيل، واهتزاز فكرة الرأى العام العربى عن قوة العرب وقدرتهم على هزيمة اسرائيل واستعادة كل فلسطين، كما اهتزت صورة التأييد السوفيتى للدول العربية فى مواجهة المخطط الأمريكى - الإسرائيلى.

ومن ناحية أخرى ظهر توجه جديد فى مصر الناصرية بعد عام ١٩٦٧ لاقى موافقة من القادة العرب مؤداة شعار «إزالة آثار العدوان» بمعنى أستعادة الأراضى التى أحتلتها اسرائيل خلال حرب ١٩٦٧ . وقد انبثق هذا التوجه عن مؤتمر القمة العربية الرابع بالخرطوم/ أغسطس ١٩٦٧ ، رغم أختلاف القادة المجتمعين حول اسلوب الكفاح، هل يكون سياسيا أم عسكريا، وانتصر الرأى القائل بأفضلية الأسلوب السياسى فى هذه المرحلة، ومع ذلك رفض المجتمعون اقتراحا قدمه الرئيس جمال عبد الناصر بدعوة الدول العربية لقبول اتفاق تحت رعاية الأمم المتحدة بضمان حدود الدول بالمنطقة مقابل الانسحاب الإسرائيلى، مع السماح بحرية مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة. ورغم أختلاف وجهات النظر توصل المؤتمر إلى قرارات هامة تحقق وحدةالصف العربى ووحدة العمل الجماعى، ومنها الدعوة إلى سرعة تصفية القواعد العسكرية الأجنبية فى الأراضى العربية، كما نوقشت فكرة استخدام سلاح البترول ضد الدول التى أيدت اسرائيل، إلا أن الرأى الغالب كان تفضيل استمرار ضخ البترول بتحقيق عائد يستخدم فى دعم دول المواجهة، كما تم التأكيد على المبادئ الأساسية فى العمل العربى وهى: لاصلح ولا تفاوض ولا أعتراف باسرائيل، والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه.

وكان من أبرز نتائج يونيو ١٩٦٧ التغييرات الجذرية التى شملت معظم المواقع الرسمية، ثم إعلان بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ الذى أكد على ضرورة مشاركة أوسع للجماهير وعلى أهمية الديمقراطية وعلى جدية التغيير والذى وصفه البيان بالقول بأن التغيير المطلوب «لابد له

أن يكون تغييرا فى الظروف وفى المناخ، وإلا فإن أى أشخاص جدد فى نفس الظروف، وفى نفس المناخ، سوف يسيرون فى نفس الطريق.

ورغم وفاة جمال عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ وتولى الرئيس السادات، فقد استمر خط عبد الناصر - المصرى والعربى - على ما هو عليه لفترة حتى قام السادات بإحداث تغيير شامل فى هذا الخط.

(ب) مأزق القرار ٢٤٢ :

هذا عن النتائج العامة لحرب عام ١٩٦٧ أما على الصعيد الخارجى فقد انتهت مداولات الدول الكبرى إلى صيغة عرفت باسم القرار ٢٤٢ فى ١٩٦٧/١١/٢٢ ويلاحظ طول الفترة التى استغرقتها للوصول إلى تفاهم حول القرار (من يونيو حتى نوفمبر) ورغم احتواء القرار على بعض الألفاظ الغامضة وأبرزها الخلاف حول كلمة من أراضى... بدلا (من الاراضى) . فإن ديباجة القرار لم تترك مجالا للشك فى أن القصد من القرار هو الانسحاب من كل الأراضى المحتلة وقدعمدت اسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة لأسباب تتصل أيضا بالمصالح الامريكية إلى عرقلة تنفيذ هذا القرار لمدة طويلة متذرعة بالاختلاف حول التفسير وبذلك مكنت الولايات المتحدة اسرائيل من الابقاء على الأراضى المحتلة رهينة هذا الالتواء المستمر فى تفسير القرار حتى قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وكانت الولايات المتحدة تتخوف من مصر لأنها وفق التصور الامريكى قد سهلت التواجد السوفييتى فى الشرق الأوسط ودعمت من قدراته.

ويتبع التأمين الأمريكى الضخم لاسرائيل من التصور الامريكى بأن إسرائيل هى الامتداد الامريكى حضاريا وسياسيا وعسكريا فى الشرق الأوسط وقد رسخ هذا التصور بتأثير اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية الذى ربط بين هذا التصور وبين المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، وهى مصالح اقتصادية وأخرى تتصل بالسياسية الكونية الأمريكية التى تهتم بتعقب وتحجيم النفوذ السوفييتى والغرض من وراء التأييد الأمريكى اللامحدود لاسرائيل هو إرهاق واستنزاف الدول العربية الثورية ومن ثم التأثير سلبا على النفوذ والتواجد السوفيتى فى المنطقة.

(جـ) وقد عانت الامة العربية من عوامل ضعف واضحة بعد هزيمة ١٩٦٧.

وكان من المنطقى أن تتجاوز أزمتها لمواجهة آثار العدوان وإزالته. وأولى عوامل الضعف كانت الخلافات الجانبية والافتقادات المتبادلة بين الدول العربية. يضاف إلى ذلك أن الدول الغربية بدلا من الألتزام بقرارات مؤتمر الخرطوم عمدت إلى معارضة كل مبادرة لحل الأزمة فى إطار القرار ٢٤٢ وبذلك أعطت مسوغا لاستمرار الاحتلال وتجميد الموقف، وأخيرا نجد الدول العربية البترولية قد اقتصرت مساندتها على حد المبالغ الرمزية المحدودة التى أقرها مؤتمر الخرطوم وكان كل ما يعنيها هو تقديم هذا الدعم المادى دون تفهم لب الاستراتيجية وهى قومية المعركة بكل ما تحمله الكلمة من آفاق.

عوامل القوة:

كانت رؤية مؤتمر الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) من أبرز عوامل القوة التى مهدت لحرب أكتوبر ١٩٧٣ لان أحداث التاريخ لا تنشأ من فراغ بل وفق مقومات تؤدى إلى مسار محدد ثم إلى نتائج تتفق مع هذه المقدمات. وقد عدل مؤتمر الخرطوم كما سبق أن قلنا من جوهر الاستراتيجية العربية، من وحدة الهدف إلى وحدة الصف، ومن التحرر الكامل لأرض فلسطين إلى إزالة آثار العدوان، ومن التنافر الشديد إلى قدر مطلوب من التنسيق، رغم بقاء عوامل الخلاف حول أسلوب معالجة آثار العدوان.

وثانى عوامل القوة هو الدعم الذى قدمته الدول العربية القادرة إلى دول المواجهة، مصر وسوريا والأردن. ورغم أن هذا الدعم للمواجهة لم يكن كافيا إلا لتعويض خسائر دول المواجهة عن الموارد المتوقفة والعجز المتراكم نتيجة الحروب إلا أنه كان دعما لازما لاستمرار استعداد دول المواجهة لازالة آثار العدوان والصمود أمام الضغوط الخارجية. والجدير بالذكر أن الدول العربية لم تستخدم كافة اسلحتها الاقتصادية لدعم المواجهة ومن ذلك سلاح البترول وسلاح الأرصدة العربية وسلاح التجارة الدولية.

وثالث عوامل القوة هو نمو المقاومة الفلسطينية منذ منتصف الستينات والتى أخذت شكل «منظمة التحرير الفلسطينية» والتى أصبح لها جيش خاص بها وأجهزتها التنفيذية المستقلة وانطواء كافة الاتجاهات تحت مظلة المنظمة مع بقاء هامش معقول للرأى المستقل للمنظمات الحركية المنظمة.

ورابع عوامل القوة نجده فى حرب الاستنزاف فى الفترة من ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ والتى مكنت من رفع الروح المعنوية وأكتساب المهارات القتالية واستطلاع مراكز وتحصينات العدو استعدادا للمعركة القادمة.

وخامس عوامل القوة كان الحاح الجماهير العربية على الحل العسكرى طريقا للتحرير واستعادة الأرض المحتلة ولم يكن فى مخيلة الجماهير العربية أى تصور للحل السياسى للقضية.

(٤) امتداد الحقبة الناصرية «السادات حتى عام ١٩٧٣»:

من الناحية الفعلية يعتبر تولى الرئيس السادات لحكم مصر فى الفترة من عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ امتدادا للحقبة الناصرية بمعظم ثوابتها وباسلوب المواجهة مع إسرائيل، إلا أن الرئيس السادات أتخذ من تحولات عام ١٩٧٣ وأبرزها حرب أكتوبر وسيلة إلى الوصول لحل سلمى للصراع العربى ـ الاسرائيلى، وهنا دخلت منطقة الشرق الأوسط مرحلة جديدة بعد عام ١٩٧٣ عرفت باسم مرحلة كامب ديفيد.

وقد حاول الرئيس السادات فى هذه الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ إيجاد حل سلمى للنزاع الشرق ـ أوسطى إلا أن الولايات المتحدة وإسرائيل لم يستجبا للمحاولات فكانت حرب ١٩٧٣ منطلقا لفترة جديدة.

(أ) فى يناير ١٩٧١ بدأت محاولات الرئيس السادات لحل المشكلات بالاتصال بالولايات المتحدة الامريكية لتنفيذ مبادرة روجرز وخاصة فيما يخص بانسحاب القوات الإسرائيلية على طول الضفة الشرقية لقناة السويس، وأعلن الرئيس السادات جانبا من

مبادرته فى فبراير ١٩٧١ التى أقترح فيها انسحاب اسرائيل إلى الحدود الدولية ويجرى فى نفس الوقت تطهير قناة السويس لفتحها أمام الملاحة الدولية ويعقب ذلك تعهد اسرائيل من الانسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة.

وقد وضعت اسرائيل العراقيل أمام مبادرة السادات وأصرت على المفاوضات المباشرة ودون تعهدات سابقة ومعنى ذلك أهمال القرارات الدولية.

(ب) ثم جاءت مباحثات يارنج فى فبراير/ ١٩٧١ أيضا واستجابت لها الحكومة المصرية أما حكومة اسرائيل فاعلنت عدم استعدادها للانسحاب إلى حدود ١٩٦٧/٦/٥ وهو ما يكشف عن نوايا توسعية.

(جـ) وأيضا أعلن الرئيس السادات فى مايو ١٩٧١ ترحيبه بزيارة وليام روجرز فى إطار جولته بالشرق الأوسط، وأقدم الرئيس فى نفس الوقت على خطوة ذات مغزى فى مايو/١٩٧١ بعزل نائبه على صبرى من منصبه لمعارضته لمبادرة فبراير/ ١٩٧١ والتى اعتبرها على صبرى اتجاه السادات إلى التسوية الجزئية، ثم تلى ذلك حركة التصحيح أو ما أسماه السادات بثورة التصحيح وضرب مراكز القوى فى ١٩٧١/٥/١٥.

(د) أخذت العلاقات بين السادات والاتحاد السوفييتى تسوء لتباطؤ الاتحاد السوفييتى فى الاستجابة لمطالب السادات بالسلاح، وفى يوليو ١٩٧٢ طلب الرئيس السادات من السفير السوفييتى بالقاهرة ابلاغ بلاده ما يلى:

= سحب الخبراء والمستشارين العسكريين من مصر خلال عشرة أيام.

= وضع كل المنشآت العسكرية السوفييتية فى مصر تحت الرقابة المصرية.

= كل الأسلحة الموجودة فى مصر والتى تخضع لرقابة السوفييت إما أن تباع لمصر أو تسحب فورا.

= إن كل المناقصات بين البلدين يجب أن تجرى فى مصر وليس فى موسكو كما كان الحال فى الماضى.

(هـ) ورغم ذلك كله لم تحدث استجابة من الولايات المتحدة الأمريكية بشكل ينهى النزاع فى الشرق الأوسط بشكل سلمى، ومن ناحية أخرى وبعد إعادة حساباته قام الاتحاد السوفييتى بإعادة امداد مصر بالسلاح مع بداية عام ١٩٧٣ وهو أمر تمكين القوات المسلحة بعد ذلك من استكمال استعداداتها لحرب أكتوبر.

التعقيب على عهد جمال عبد الناصر

أولا: المستوى الداخلى:

من أبرز ما وجه من نقد إلى التجربة الناصرية على الصعيد الداخلى كان ما يلى:

١ - الحياة الديمقراطية:

(أ) وعد الراحل جمال عبد الناصر بإقامة حياة ديمقراطية سليمة على انقاض الفساد السياسى الذى وصمته قيادة الثورة فور قيامها، ومرت فترة انتقالية كافية مورست فيها كل أشكال العمل الشعبى والرسمى ومن ذلك شعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» وهو الشعار الذى رفعته قيادات الثورة فى مواجهة المطالبين بالديمقراطية.

(ب) ورغم مرور الفترة الانتقالية إلا أن الثورة فشلت فى إقامة حياة ديمقراطية سليمة، وقد فكر جمال عبد الناصر بعد نكسة ١٩٦٧ فى السماح باقامة حزبين سياسيين لانه ادرك أن الديمقراطية لا تقوم بدون قيام رأى آخر له نفس الحقوق والواجبات، ويعنى هذا القول ضرورة قيام الديمقراطية على أساس التعددية الحزبية إلا أن جمال عبد الناصر لم يتمكن من تحقيق هذا الهدف حتى وفاته.

(جـ) وقد قيل تبريرا للفشل فى إقامة حياة ديمقراطية سليمة أن الثورة كانت محاطة باعداء فى الداخل والخارج وهو أمر كان صحيحا فى جزئية واحدة أما بقية الابعاد فكانت من خلق وتصور أجهزة الأمن فى الدولة.

٢- أهل الثقة وأهل الخبرة:

(أ) سمح الرئيس الراحل بتصنيف المواطنين إلى أهل الثقة وأهل الخبرة وهو أمر أدى إلى التضحية بالتنمية السليم العلمية فى مقابل توظيف وتصعيد المحاسيب والانصار.

(ب) وقد أدى هذا الأمر إلى سوء الادارة فى قطاعات الدولة وانزواء أهل الخبرة وحرمان الدولة من جهودهم، بالاضافة إلى زيادة عدد الانتهازيين الذين اظهروا للدولة ولاء غير حقيقى، وحدث هذا حتى بين بعض صفوف الضباط من القوات المسلحة الذين كانوا معادين للثورة فعلا ومتعاونين معها اسما من أجل منافع ومواقع شخصية.

٣ ـ نشأة طبقة متميزة:

(أ) أدى مفهوم أهل الثقة والتخوف من المخاطر الداخلية والخارجية من الناحية الأمنية والرغبة فى حماية الثورة من المخاطر إلى تزايد الأعـتـمـاد على الضـبـاط من القوات المسلحـة لاحـتـلال المواقع القيادية الهامة فى الدولة وساعد على ذلك رغبة العديد من الضباط فى احتلال مواقع قيادية غير مؤهلين لها ورغبتهم فى الاستفادة المادية من تقلدها.

(ب)ـ د أتجه الاندفاع من الضباط إلى نواحى ثلاثة فى الدولة هى:

ـ الهراقع السياسية والتنظيمية العليا والمتوسطة.

٢ ـ وزارة الخارجية وخاصة المواقع العليا. «سفراء ـ وزراء مفوضون ـ مستشارون» .

٣ـ الشركات «القطاع العام» فى المراكز الهامة .

أدى هذا الانتشار المصطنع إلى حساسية بين أفراد الشعب وإلى تفاقم مشكلة زيادة الضباط المشاركين فى الادارة.

(جـ) والجدير بالذكر أن هذه السمة لم تقتصر على الثورة المصرية بل تعدتها إلى بقية ثورات وانقلابات دول العالم الثالث. إلا أنها في مصر كانت ظاهرة واضحة ومتضخمة.

٤- مراكز القوى:

(أ) أدى انتشار الطبقة المتميزة فى المجتمع المصرى من الضباط واقاربهم إلى نشأة ما أطلق عليه فيما بعد مراكز القوى.

(ب) وهذه المراكز كانت تتحرك فى حياة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

(جـ) وبعد وفاته حاولت أن تقوم بدور جماعات الضغط على نسق ما يقوم فى المجتمعات الديمقراطية إلا أنها لم تكن مؤهلة لهذا الدور، بالاضافة إلى أن القيادة السياسية الجديدة لم تكن مؤهلة هى الأخرى لقبول هذه الممارسات لأن قيادة الدولة كانت تعنى نظام الحكم الأبدى الذى لا يقبل وجود مراكز قوى أخرى خارج مركزه.

٥ - انهيار القوات المسلحة:

(أ) أدى الصراع المستمر على السلطة بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وبين المشير إلى وضع خطير لأن هذا الصراع استمر يتحرك على خط التماس الذى يمنع تصفية هذا الصراع لصالح طرف دون آخر.

(ب) وأدى هذا التوازن المخل إلى أن تصبح القوات المسلحة أداة فى يد المشير يغدق عليها العطايا واهتمت القيادة السياسية بالعمل السياسى الداخلى والخارجى.

(جـ) وأدى هذا الغياب عن القوات المسلحة وتسييس الصراع إلى عدم تبين القيادة السياسية لواقع القوات المسلحة التى كانت منهارة فعلا قبل حرب ١٩٦٧ بسبب انخراطها فى العمل السياسى لصالح المشير.

٦ - هزيمة عام ١٩٦٧:

(أ) كانت هزيمة عام ١٩٦٧ محصلة الفشل فى إقامة حياة ديمقراطية، والفشل فى ابعاد القوات المسلحة عن مجال الصراع السياسى الداخلى.

(ب) وهذه الهزيمة أدت إلى تدمير كثير من المنجزات الداخلية والعربية، بل ودمرت صحة وهيبة القيادة السياسية نفسها.

(جـ) ولا يخفف من ذلك أن هذه الهزيمة كانت تخطيط وتنفيذ أمريكى - إسرائيلى.

٧ - التصور الاشتراكى:

(أ) إن العدالة الاجتماعية مطلوبة ويتم تحقيقها عبر أدوات تتفق مع الخصائص الداخلية لمصر وهى خصائص تقوم على: الوطنية والاسلام والعروبة والتسامح الذى قد يطلق عليه أحيانا الليبرالية.

- وقد حاول الرئيس الراحل تطبيق العدالة الاجتماعية مستعينا بنظام لم يتم تطويعه وفق الخصائص المحلية المشار إليها، ولم يتمكن قائد الثورة من أن يدخل بشكل فعال فى النسيج العام للمجتمع المصرى والعربى.

(ب) وقد أدى هذا الأمر إلى حساسيات داخلية، وإلى حساسيات عربية، وإلى صدامات عربية، وإلى صدامات دولية، ونشير إلى ذلك فى حينه.

٨ - **التنظيم السياسى:**

(أ) وهناك وجه آخر للثقة يتصل بأمرين سبق الإشارة إليهما وهما: الديمقراطية والطبقة المتميزة.

(ب) وقد حاول قائد الثورة إقامة تنظيم سياسى بديل عن الاحزاب السياسية القديمة. فأقام منظمة التحرير، ثم الاتحاد القومى، ثم الاتحاد الاشتراكى وبشكل سرى أقام التنظيم الطليعى. إلا أن كل هذه التنظيمات فشلت لانها أقيمت من أعلى ولم تتشكل فى تطور طبيعى. ويكفى للدلالة على ضعف هذه التنظيمات أنها لم تستطع الدفاع عن مبادئ وأهداف ومؤسسات الحقبة الناصرية بعد وفاة قائدها.

ثانيا: المجال العربى:

قامت ثورة مصر بقيادة جمال عبد الناصر فى وقت كان فيه العالم العربى متلهفا لقيادة عربية ناهضة تخلصه من الاستعمار وبراثن الصهيونية.

ووجدت الشعوب العربية فى جمال عبد الناصر فارسها والتفت حوله، وخاصة حول أزمة ١٩٥٦.

ووصلت زعامة عبد الناصر فى العالم العربى إلى درجة لم تحققها زعامة عربية من قبل، إلا أن هذا المد لم يستمر طويلا

وخاصة بانتكاسة الوحدة مع سوريا. وقد وجهت إلى عبد الناصر عدة انتقادات على المستوى العربى وأبرزها:

١ - الوحدة السورية:

إنه فضّل إقامة الوحدة العربية مع سوريا على أساس عاطفى بدلا من قيامها على أساس سليم وبالتدريج عبر الفيدرالية أو الكنفودرالية وصولا إلى الوحدة الكاملة.

٢ - الصراع مع الحكام العرب:

سلم يتمكن عبد الناصر من أحداث التعاون مع الحكام العرب بديلا عن المواجهة وذلك لأسباب كثيرة منها:

تخوف الزعماء العرب من فكرة القومية العربية التى تؤدى إلى انتهاء دولهم.

ومن فكرة الاشتراكية التى تهدد ثرواتهم بعد أن شاهدوا إجراءات التأميم والمصادرة فى مصر.

وأدى هذا الصراع مع الحكام إلى تشتيت قوى مصر فى منازعات كان يمكن تفاديها، بل أدى إلى دخول بعض هؤلاء الحكام فى مؤامرات تستهدف ضرب مصر من أجل ضرب جمال عبد الناصر. ومثال ذلك المؤامرات الأردنية والسعودية والمغربية.

٣ - كارثة عام ١٩٦٧:

(أ)- وقد أدى الصراع المصرى الداخلى والصراع العربى بين الحكام وعدم قيام قيادة عربية موحدة وانخراط الجيوش العربية

فى المجالات السياسية والعداء الغربى ضد العرب، أدى كل ذلك إلى كارثة عام ١٩٦٧.

(ب) وقد أدت هذه الكارثة إلى مزيد من التفكك فى العالم العربى وإلى ضمور عبد الناصر وإلى معاناة مصر والعالم العربى من جراء نتائجها حتى حقبة التسعينات.

ثالثا: المجال الدولى

١ - العداء الغربى:

(أ) كانت بدايات عبد الناصر معقولة على الصعيد الدولى وخاصة أنه تمكن من الحصول على الدعم الأمريكى عام ١٩٥٦ وأدى هذا الدعم إلى إجهاض العدوان الثلاثى وخاصة لغضب أمريكا من هذا التحرك الذى تم دون استشارتها.

(ب) وكان من نتائج التحرك الصهيونى ناحية أمريكا والغرب والتحرك المصرى ناحية الاتحاد السوفيتى بسبب حظر السلاح إلى قيام فرز عالمى وضع إسرائيل والغرب فى جانب، والاتحاد السوفييتى ومصر وبعض الدول العربية فى جانب. وأدى هذا إلى تحالف واقعى كان من نتائجه أن ربطت أمريكا بين نظرتها الاستراتيجية للتهديد السوفييتى وبين أصدقاء السوفيت وابرزهم مصر واستعانت بيدها الطويلة الممسكة باسرائيل لضرب السوفييت فى العالم العربى.

(جـ) فهل كان يمكن تفادى العداء الغربى؟ بعض النقاد يجيبون بنعم والبعض بلا.

(٢) التحالف مع الاتحاد السوفييتى:

(أ) وقد جر التحالف مع الاتحاد السوفيتى إلى عداء غربى على النحو الذى قمنا بشرحه.

(ب) كما قام بخلط الطريق المصرى نحو تحقيق العدالة الاجتماعية بالطريق السوفيتى نحو الاشتراكية وهو خلط لم يكن فى صالح مصر.

الفصل الثاني

مدرسة «بن جوريون» والتعقيب على عهده

مدرسة بن جوريون

١ ـ الخط السياسى:

(أ) حياة «دافيد بن جوريون» هى عرض للقضية الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أيامنا هذه، فقد قضى معظم حياته فى خدمة الصهيونية، مشاركا فى صنع خططها، منفذا أهدافها العدوانية والتوسعية، بالنار والإرهاب والاغتيال، متخذا من أساليب الإبادة التى مارسها قادة بنى إسرائيل وانبياءهم منذ أربعة آلاف عام وسيلة لابادة شعب فلسطين العربى فى القرن العشرين. ويعتبر بن جوريون القدوة للأجيال اليهودية فى المستقبل فقد غرس فيهم عقدة التعالى على البشرية كلها، فلم يأخذ العبرة من التاريخ ولا من الكتاب المقدس الذى قرأه بتعمق حتى يعود إلى الصواب ويسلك طريق الخير والعدل والمساواة بين البشر، ويساير روح العصر الذى يعيش فيه، بنبذ عقيدة الشعب المختار، وفكرة السادة والأرقاء.

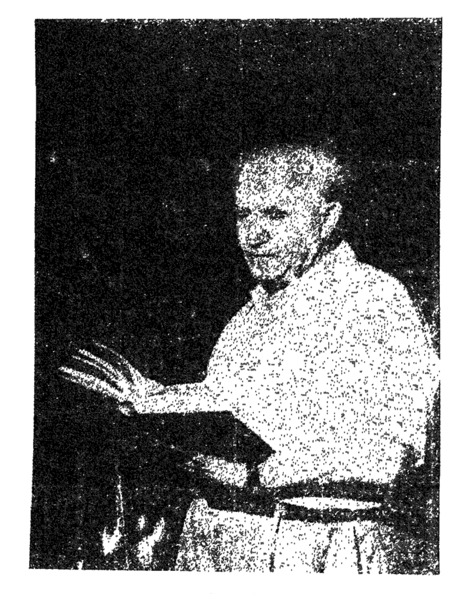
فلو أن «بن جوريون» ورفاقه من زعماء الصهيونية قد أدركوا هذه الحقيقة لزالت محنتهم وعاش الشعب اليهودى كريما فى وسط

الأسرة الإنسانية واندمجوا فى مجتمعاتها، يأخذون ويعطون بقدر ما ملكت واحتوت عقولهم من إبداع وخير.

وتثبت أغلب الدراسات التى تناولت حياة «بن جوريون» ومنهجه السياسى أنه لم يكن يتورع فى سبيل تحقيق أهدافه عن اتباع أية طريقة. فالغاية تبرر الوسيلة.. ومادامت الوسيلة تؤدى إلى النتيجة المرجوة، فلا يهم بعد ذلك تصنيفها أو تقويمها خلقيا. فلم يكن ضد الارهاب ولكن ضد توقيت الارهاب، كما رأى أن الأرهاب ضد العرب سيعود بنتائج مشجعة. حارب فى شبابه الاشتراكيين فى بولندا، وانضم للاشتراكيين فى فلسطين.. ثم شجع بعد ذلك على قيام طبقة رأسمالية فى إسرائيل، فهو إذن يغير مبادئه «ومعتقداته وأساليبه وفق مجريات الحوادث لبلوغ غاياته.

وقد اتخذ نفس المسلك والأسلوب فى علاقاته مع الدول بعد قيام دولة إسرائيل، فعندما رأى عدم جدوى بريطانيا للصهيونية، اتجه إلى الولايات المتحدة، ثم إلى فرنسا ليحصل على أسرار القنبلة الذرية، وحصل على الكثير مما أراد. وقد فسر موقف فرنسا من إسرائيل بسعيها إلى إيجاد قوة توازن أوروبية أو بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى بمساعدة الصهيونية.

ويتساءل «هيدلى كوك» مؤلف كتاب Israel: A Blessing & Cure أن سياسة بن جوريون كانت ستسمر بعد وفاته، خاصة وأن العناصر العسكرية من الجيل الثانى تعد من مدرسته. ويجيب على هذا السؤال «الفريد ليلينتال» فى كتاب: The other Face of the Cain بأن قيادة بن جوريون لاسرائيل وتأثيره فى العسكريين قوى جدا،



بن جوريون

ويرى أنه طالما بقيت آراء «بن جوريون» حية فإنه ليس ممكنا أو معقولا أن تأخذ إسرائيل بعين الاعتبار أى طلب أو اقتراح عادل.

ب - ولم يكن «بن جوريون» على كل حال يتوقع تسوية سلمية فى ظل الأوضاع العالمية السائدة، ولن يأتى السلام مع العرب إلا حين تصل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى إلى اتفاق على القضايا الدولية. وقد يقع ذلك فى عشرة أعوام أو عشرين عاما.

وقد وقف بحزم منذ إقامة دولة إسرائيل إلى جانب القوى الغربية، فاسرائيل معزولة ولديها مما تمنح القليل.

كان لا يثق فى البريطانيين ولكنه مع حرصه على علاقات جيدة مع الأمريكيين، ازداد ميله نحو فرنسا، بل لقد قامت سياسته الخارجية على أساس من الصداقة الفرنسية - الاسرائيلية التى سمحت له إلى حد ما باتباع سياسة ديجولية مع الاحتفاظ بنهج استقلالى تجاه الولايات المتحدة وذلك سلوك جرىء مدهش من جانب دولة صغيرة،مطمئنا للتأييد الفرنسى بما كان يمكنه من البدء فى مشروعات لا تسر الأمريكيين.

وهكذا كسب «الاتفاق الهامشى» ثم تشاور فيما بعد مع واشنجتن. وبنى المفاعل الذرى فى «ديمونة» دون علم الأمريكان.

(جـ) وكان يوجه سياسة «بن جوريون» الخارجية مبدأ أساسى واحد، هو الدفاع وبقاء اسرائيل، ومن أجل ذلك كان مستعدا أن يمد حبال الصبر والتحمل لألمانيا رغم ما اقترفته الدولة نحو الشعب اليهودى، ولم يكن سلوكه تجاه الألمان قائما على الصداقة، فهم عنده مذنبون فى أبشع الجرائم ضد الشعب اليهودى ومن واجبهم من ثم مساعدة إسرائيل للدفاع عن نفسها.

على أن السمة الغالبة فى «بن جوريون»، الذى تربى على تعاليم التوراة، وواجه الحقائق القاسية، أن تصوره لاسرائيل والعالم إنما يقوم على إعلاء القيم الأخلاقية والإنسانية، وجعل مبادئ أمة صغيرة مثالا للعالم فتكون اسرائيل عرس الماضى البعيد والمستقبل القريب، الوريثة المباشرة للمملكةالقديمة التى بعثت من بعد قرون تحاول أن تنساها.. من المنفى.

لقد أنشأ بن جوريون أمة، ولكن الشعب مع ذلك انقلب ضده، كما وصل إلى قمة صعوده الدرامى.

(د) وقد حرص بن جوريون فى جميع مراحل حياته حتى الممات فى إظهار العرب بوصفهم شعوبا متأخرة وأن الدول العربية الستة التى كانت أعضاء فى الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ قد تحدوا المنظمة الدولية وأعلنوا الحرب على إسرائيل، وقد صدق كثير من الكتاب الغربيين ادعاءات بن جوريون دون أن يحاولوا التعرف على حقيقة الدول العربية والتعرف على انعدام السند القانونى لليهود فى فلسطين.

(هـ) وبخلاف القدامى الذين يرهقون جيل الشباب بمطالب التمجيد للماضى، ظل «بن جوريون» برؤيته للمستقبل ـ كالحجر الذى ينقط المثال ـ ليحرر الصورة الحبيسة بداخله، فالصحارى ستستسلم لنشاط المدن الجديدة الرائدة، والجامعات مثل «اكسفورد» فى النقب التى خطط لها فى مستعمرة «Sde Bok-er»، والأراضى الخصبة، وفى مخيلته الواثقة رأى مشروعات ضخمة تجلب المياه للمساكن الجديدة حيث يعيش مليون

يهودى، والمنشآت الشمسية التى تحول حرارة الشمس إلى طاقة، ومشروعات الذرة التى تستخرج الطاقة لكل الشرق الأوسط، وفى تل أبيب والقدس كان اتباعه من الشباب يناقشون هل تعيش اسرائيل بروح «الكيبوتز» مع المتطوعين الذين يستصلحون الأرض بجهودهم الذاتية الشاقة، أم ستكون هناك ثورة تطوير التى سيحل فيها الجرار والآلات محل المعول والجاروف.

وكان بن جوريون نفسه يؤمن بأنه من المستحيل أن تحل الآلة محل الإنسان، وهناك حتى الآن إمكانية صناعية للعمل التطوعى ومؤسسة الدولة التى تحافظ على الفكر الاشتراكى بينما تحولها إلى حقائق فى عصر التقنين «التكنولوجيا»، ولعل هناك آخرين ينشغلون بمناقشات نظرية، وكان بن جوريون راضيا أن يرى المبانى المجسمة فى «بير سبع» صغيرة الحجم التى تتضاءل أمامها المدينة القديمة، كما رأى تخطيطا لمدن جديدة فى «النقب» و«إيلات» تنتشر وكأنها عزف المطرقة والسندان، وكانت هذه هى اسرائيل الوليدة فى عمرها الغابر، تصرخ وتطالب بالمستقبل.

ولم يكن كل ما رآه ملائما له مع عمره الجاد الطويل، فقد قاوم الطلب على التليفزيون فى اسرائيل ورأى فيه ترفيها غير منتج، لقد رآه فى الولايات المتحدة وفى فرنسا ـ عند زيارته الرسمية للجنرال «ديجول» وفى دول الشمال (اسكندينافيا) وقرر أن التليفزيون متلفا أكثر منه مكلفا، ويعتقد أنه قال أن الأمة المحاطة بالعرب ليست فى حاجة إلى أفلام رعاة البقر والأفلام الهندية، كما لم ترق له صورة من بعض أجزاء تل أبيب حيث يخيل له أنها براقة رخيصة

(مبهرجة) تحكمها «Levantinism» بثقافة قديمة التقطها المتجولون الاسرائليون أو من السياح فى اسرائيل أحيانا أخرى.

وبالنسبة لـ «Hazaken» فإن أنقى هواء فى الصحراء هو الهواء الحقيق الذى تستنشق فيه روح المواطن الاسرائيلى، وفى سنه المتقدمة، وبيده التوراه، يمكن أن يهب نفسه لأن يكون مربيا، وهو عمله طول حياته، سواء بين المهاجرين «السفارديم» فيمن كان يريد منهم الاندماج فى التقاليد الغربية وبحماس فى الحياة الاسرائيلية، أو بين الأمم الأفريقية الجديدة التى منحها نتائج الخبرات الاسرائيلية، وقبل تشكيل فرق السلام فى الولايات المتحدة بزمن طويل، كانت اسرائيل قد بدأت فى ارسال المتخصصين منها فى الطب والصناعة والزراعة إلى أفريقيا عقب تصور وفكر «بن جوريون» القيادى بأن اسرائيل ستكون جسرا بين الغرب من جانب وأفريقيا وآسيا من جانب آخر.

مر طوال حياته المفعمة بالأخطار، والصراع من أجل التسوية، وأصبح معتادا على وجود الأعداء، وعلى هذا لم يتردد فى تكريس نفسه للإيمان المثالى فى أخوة الإنسان، ولهذا لم ينشد تصريحا سماويا فى إطار التنظيم الدينى، لكنه أقنع نفسه باجابته الشخصية، وفيها دراسة نسبية مقارنة ساعده فيها الدين.

وقد رأى بن جوريون أنه أقرب إلى الشباب من رفاقه الشيوخ، ورأى أن من يخلفونه من الجيل الذى نما مع البلاد وزادته حرب الاستقلال صلابة، يقدرون الحقائق ويضعون مصلحة البلاد فوق الحزبية.

وأثبتت انتخابات نوفمبر عام ١٩٥٩ أن بن جوريون كان على صواب فى وضع الشبان، بيريز وديان وأبا ايبان، على رأس قائمة مرشحيه، فقد أنتخبوا جميعا، الأمر الذى أثار حفيظة الحرس القديم الذى وجد فى قضية لافون فرصة للانتقام، وكان أقوى حليف ضد أعمال «بن جوريون» هو نفسه، فقد كانت أخطاؤه تعادل انتحاره السياسى.

٢- العسكرية التوسعية:

(أ) كانت مدرسة بن جوريون شاملة تؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، ولم يكن ضد الإرهاب بل ضد توقيت الارهاب، وكان يؤمن بالتوسع واللجوء إلى الحرب للدفاع وتحقيق حلم إسرائيل الكبرى. ولذلك نرى هذه المدرسة قد استخدمت كل السبل قبل وإبان حرب ١٩٤٨ لتدعيم السياسة التوسعية - العدوانية لاسرائيل، فعمدت إلى اساليب الابادة والارهاب ومصادرة الأراضى وطرد السكان، وكانت هذه السياسات تستند إلى نظرة استقلالية بوصف اليهود شعبا مختارا والعرب أدنى مرتبة.

ولإيجاز هذه النظرة قبل الدخول فى التفاصيل نعرض للأهداف التى عرضها بن جوريون فى نوفمبر ١٩٥٦ إبان العدوان الثلاثى على مصر فقد ذكر إنها:

١- القضاء على قوات العدو التى تهدد إسرائيل.

٢- تحرير الأجزاء من الوطن التى لا تزال تحت احتلال الاعداء، ويقصد سيناء وغيرها.

٣ ـ ضمان حرية المرور فى العقبة والسويس.

وعقب حرب ١٩٦٧ خطب بن جوريون قائلا:

١ـ إن حرب الأيام الستة ليست المعركة الأخيرة.

٢ـ لابد من قدوم موجة كبرى من المهاجرين اليهود لدعم الاستيطان.

(ب) وتظهر شخصية بن جوريون المخادعة من خلال حرب ١٩٥٦ لأنه يحاول أن يطمس معالم التآمر فنجده فى كتابىّ «سنوات التحدى»، و«بن جوريون ينظر إلى الوراء» أو يتذكر. لم يبين أن لإسرائيل علاقة بالعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ على مصر مع أن موشى ديان أخلص تلاميذه أكد فى كتابه «مذكرات حملة سيناء» التجاهل المتعمد، وخاصة توجه بن جوريون سرا إلى فرنسا وإشتراكه فى خطة الاعتداء، وأيضا كشف أن بن جوريون حاول أن يأمر القوات الإسرائيلية بالإنسحاب عندما تأخر الإنجليز والفرنسيين فى ضرب المطارات المصرية.

وقد ظهر أن سياسة بن جوريون مستمرة فى إسرائيل حتى بعد وفاته. هذه السياسة التى تتلخص فى التجمع ثم التوسع وهى القاعدة التى لا يمكن لأى زعيم اسرائيلى أن يشذ عنها، القاعدة الأساسية للمخطط الصهيونى التوسعى التى يقوم بتنفيذها الجيش الذى يناط به الحفاظ على كيان اسرائيل. اما التكتيك الحربى الذى أقامه «بن جوريون» على الخداع يتشابه فى كافة حروبهم العدوانية ـ ففى عام ١٩٥٦، أشاعوا بأنهم يدبرون عدوانا شاملا على الأردن، ولكن

الجيش هجم على غزة وسيناء بالتواطئ مع فرنسا وإنجلترا. وعندما أدين العدوان عارض بن جوريون الانسحاب، وذكر بن جوريون أن غزة لم تكن أبدا ملكا للمصريين، ولمدة ثمانى سنوات لم تعمل فيها شيئا لتطويرها، واتهم الأمم المتحدة باللين تجاه العرب والجفاء تجاه اسرائيل بخصوص سيناء التى ليست إلا «كاريكاتير للعدالة»، كما أثار «بن جوريون» فى مذكراته مسائل كثيرة من الجدل والمغالطة حول اتفاقية الهدنة وحرية المرور فى قناة السويس منذ قرار الامم المتحدة فى أول سبتمبر ١٩٥١، ورد «همرشلد» بتقرير إلى الجمعية العامة بنزع سلاح العوجة واقترح وضع قوات الطوارئ فى الجانب الاسرائيلى على الأقل كما فى جانب مصر. وكتب «بن جوريون» أن الخلاف والجدل الذى شغلت به اسرائيل لم يكن فى ذلك الوقت مع الاتحاد السوفييتى بل مع جميع أعضاء الامم المتحدة وفى المقام الأول مع الولايات المتحدة، وكان واضحا للجميع أن إدارة «ايزنهاور» تحاول التشجيع لاستخدام العقوبات الاقتصادية والتهديد لاجبار إسرائيل على الرضوخ لقرارات الامم المتحدة.

وفى ٢ فبراير ١٩٥٧ أقرت الجمعية العامة قرارها السادس بمطالبة اسرائيل بالانسحاب فى الحال، وقرار آخر يطالب بالحفاظ على الهدنة العسكرية ووضع قوات الطوارئ على خطوط الهدنة، ورغم برقية ايزنهاور التى تحذر من أن استمرار تحدى الأمم المتحدة يمكن أن يؤدى إلى تفكير جدى للعلاقات بين اسرائيل والاعضاء الآخرين فى الامم المتحدة بما فيهم الولايات المتحدة، فإن «بن جوريون» وحكومته عارضوا طلبات الأمم المتحدة فى اليوم التالى، وقد أدى ذلك إلى انقاص المعونة الأمريكية لإسرائيل، وانخفضت

ميزانيتها وصاحب ذلك تسريح ٢٥٠٠ عامل مدنى، كما كان من المتوقع أن تخسر اسرائيل خمسة وعشرين مليون دولار من المساعدات ،وثلاثين مليون دولار من الفائضات الزراعية، وقرض استيراد بنكى قدره خمسة وسبعين مليون دولار. ولابد أن ينخفض مستوى المعيشة فى اسرائيل التى كان يبدو أنها مستعدة لذلك. ومع الأسف وكالمعتاد لم يستغل العرب هذا الوضع المتداعى فى العلاقات بين أمريكا واسرائيل. ومع الأسف وكالمعتاد لم يستغل العرب هذا الوضع المتداعى فى علاقات أمريكا وإسرائيل.

وفى ١١فبراير سلم «دالاس» لـ «أبا ايبان» مذكرة قبلتها اسرائيل فيما بعد كوثيقة اساسية للانسحاب الفورى غير المشروط، وفيما يختص بخليج العقبة تعتقد الولايات المتحدة أنه يمثل مياه دولية.

تعقيب على عهد بن جوريون

كشف مراسل «للمانشستر جارديان» بتاريخ ٢٠، ٢١ نوفمبر، أول اعتراف مباشر عن التآمر الحربى، وبمقابلات مع الطيارين الفرنسيين الذين أرسلوا للهجوم على المصريين فى سيناء، والطيران لحماية الأراضى الاسرائيلية، والقاء الامدادات للفرق الاسرائيلية فى سيناء مثلا، والهجوم بالنابالم على العربات الحربية المصرية والتى رآها تحترق فى الصحراء. وقال إن الدور الفرنسى كان حاسما فى نصر إسرائيل فى سيناء، وقد دحض إنكار ديان الرسمى - والغير صحيح - للمشاركة الفرنسية، وفى ١٥ نوفمبر أزاح «أبا إيبان» الستار أمام الأمم المتحدة عن الوثائق التى قال أنها ضبطت فى مراكز

القيادة فى سيناء، والتى قال المصريون فى الأمم المتحدة أنها مليئة بالأخطاء اللغوية إذ احتوت على سبعة عشر كلمة لا تستعمل فى اللغة العربية. كما قال المراسل العسكرى «لجيروزاليم بوست» فى ٢١ نوفمبر أن أيًا من الوثائق ورد بها خطة مصرية للهجوم على اسرائيل عاجلا أو آجلا، بل على العكس فإن تخفيض عدد القوات المصرية فى سيناء قبل الحرب يؤكد أن مصر ليس فقط لم تخطط للهجوم بل ولم تتوقع أن إسرائيل تخطط للهجوم، بل وكما أكد «ديان» بأن القوات الإسرائيلية كانت تطور مواقعها الهجومية على الحدود لمدة عام بينما المصريون ظلوا فى المواقع الدفاعية.

(د) وقد لجأت التوسعية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ إلى نفس المخطط وذلك بإيجاد أو خلق السبب الذى يبدو أمام العالم أنه يدفعها إلى الحرب، إذ أوحت إسرائيل بأنها تدبر هجوما شاملا على سوريا بعد حوادث الحدود، ولكنها شنت هجومها على مصر، ويعزو «بن جوريون» سبب انتصار اليهود فى هذه الحروب، لا إلى الحلف غير المقدس بين الصهيونية والاستعمار، بل إلى التفوق الروحى لليهود وإلى انعدام إرادة القتال عند العرب، إذ يفكر فى مؤلفه «Ben Gurion of Ipreal» أن القوى الروحية عند اليهود قد تغلبت على القوى المادية عند العرب، وهذا يدل على تناقض فى هذه الأقوال، فيذكر مرة أن اسرائيل بلد قوى وناهض، ومرة أخرى أنه بلد ضعيف محاط بشعوب عدوانية، وهى - أى أسرائيل - تنادى بالتوسع وترى أن القوة هى التى تحسم المشكلات وتعين الحدود وتارة أخرى تتظاهر بالسلم فى الوقت

الذى تعد نفسها للهجوم وتنادى بالحرية ثم تصوت مع الاستعمار فى المحافل الدولية ضد أي قضية تحررية.

إن عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧، وما حققه من مكاسب كانت أمنية بن جوريون منذ عام ١٩٤٨ وقد تشبث الاسرائيليون بالأرض التى استولوا عليها بالقوة (الضفة الغربية والجولان والقدس وسيناء) كدليل على فعالية وتطبيق الاستراتيجية الصهيونية.

إن تصرفات إسرائيل تؤكد بأن التشدق بالاعتدال والتطرف لا معنى له فى المخططات الصهيونية، لأن كل صهيونى ملتزم بالأهداف القصوى لهذه المخططات وأن الاختلاف ما هو إلا مجرد اختلاف فى التوقيت.

وفى الشتات على مدى ألفى عام، كان الشعب اليهودى بلا وطن، وليست له سلطة مركزية، وحتى الديانة اليهودية كانت طبقا للشتات وينقصها ما للديانات الأخرى، وأطاع اليهود النظرية السياسية التى تحكم الدولة المضيفة فى منفاهم.

وكان طموح مؤسس الحركة الصهيونية قد سد هذا القصور الأساسى فى حياة الشعب باعادته إلى وطنه وإرجاع حياته الوطنية المستقلة، فإذا كان الاسهام الرئيسى «لتيودور هرتزل» هو تكوين الصهيونية السياسية وتأسيس منظمة الصهيونية العالمية، وإسهام «حاييم وايزمان» التوصل إلى وعد بلفور، فقد كان العمل الرئيسى «لديفيد بن جوريون» هو إقامة دولة إسرائيل، وكان هذا الانجاز تتويجا لحياته وابرازا لموقعه الفريد فى التاريخ. وبذل «بن جوريون»

قصارى جهده من أجل إقامة السلطة، وكانت كل السنوات التى عمل فيها سكرتيرا للهستدروت موجهة إلى بناء الهستدروت على أعضائه والعمل العام فى فلسطين، وحين انتخب للوكالة اليهودية ناضل لتوسيع هذه السلطة فى كل ما يتعلق بالشعب اليهودى فى فلسطين، وحاول لأبعد من ذلك إلى فرض هذه السلطة على كل يهود العالم.

وقد رأى «بن جوريون» فى الصهيونية الحل الوحيد للمشكلة التى تواجه الشعب اليهودى والفرصة الفريدة للخلاص، وكان مقتنعا تماما بأن الصهيونية إذا لم تتحقق حالا، فإن الشعب اليهودى مقضى عليه، وهذا يفسر لماذا تفوق على زملائه فى الحركة العمالية والقيادة الصهيونية، مدفوعا باحساس دائم بأن الأرض تحترق تحت أقدام اليهود وخاصة فى أوروبا، وكانت محنتهم مصدرا للقوة بالنسبة له «ومصدرا طبيعيا»، وعندما ازداد الخطر تحت حكم «هتلر» وهددت الكارثة يهود أوروبا، كان هذا المحك الذى وضعه تحت الاختبار.

ومن أقوال بن جوريون التى تنم عن صفاته وقرارة نفسه: «سقطت يهودا بالنار والسيف والدم، وستقام اسرائيل بالنار والسيف والدم».

وأغلب الدراسات التى تناولت حياة «بن جوريون» ومنهجه السياسى تثبت أنه لم يكن يتورع فى سبيل تحقيق أهدافه عن اتباع أية طريقة فالغاية تبرز الوسيلة، وما دامت الوسيلة تؤدى إلى النتيجة المرجوة فلا يهم بعد ذلك تصنيفها أو تقويمها خلقيا، فلم يكن ضد الارهاب ولكن ضد توقيت الارهاب.

ويتساءل «هيدلى كوكو» إن كانت سياسة «بن جوريون» ستستمر

بعد وفاته، خاصة وأن العناصر العسكرية من الجيل الثانى تعد من مدرسته، ويجيب على هذا السؤال «الفريد ليلينتال» فى كتابه «الوجه الآخر للعملة» بأن قيادة «بن جوريون» لإسرائيل وتأثيره فى العسكريين قوى جدا، ويرى أنه طالما بقيت آراء «بن جوريون» حية فإنه ليس ممكنا أو معقولا أن تأخذ إسرائيل بعين الاعتبار أى طلب أو اقتراح عادل.

وقد أجابت مجريات الأحداث على تساؤلات المؤلفين إذ أظهرت أن سياسة «بن جوريون» مستمرة فى إسرائيل حتى بعد وفاته، هذه السياسة التى تتلخص فى التجمع، ثم التوسع وهى القاعدة التى لا يمكن لأي زعيم فى إسرائيل أن يشذ عنها. إنها القاعدة الأساسية للمخطط الصهيونى التوسعى التى يقوم على تنفيذها الجيش الذى تتبلور مهمته فى الحفاظ على كيان إسرائيل.

كان يرى أن كيان الدولة إنما يتوقف على الارتباط بتراب إسرائيل، وأن النقب تلك المنطقة الكبرى لابد من تعميرها بالسكان باستصلاحها واستمرار الهجرة إليها بكل ما تكلفه.

ذلك أن إسرائيل عند «بن جوريون» ليست ملكا لسكانها بل لكافة اليهود فى العالم، وإن لم يكن لهم حق فى التدخل فى سياستها فى الداخل أو الخارج، فقلب إسرائيل إنما يخفق فى القدس لا فى نيويورك أو لندن، وكان سلوك «بن جوريون» هذا نتاج نضاله الطويل ضد قادة الصهاينة فى الخارج، لقد وجد الإسرائيليون التهديد العربى والخطر الماثل على الحدود، ومع ذلك فإن على اسرائيل إذا وافق العرب على إقامة السلام - وهو الأفضل كثيرا - أن تظل قوية مما يحمل العرب على التخلى عن طموحهم فى تدميرها.

وكان يوجه سياسة بن جوريون الخارجية مبدأ أساسى واحد هو الدفاع وبقاء إسرائيل، ومن أجل ذلك كان مستعدا أن يمد حبال الصبر والتحمل لألمانيا رغم ما اقترفته الدولة نحو الشعب اليهودى، ولم يكن سلوكه تجاه الألمان دائما على الصداقة، فهم عنده مذنبون فى أبشع الجرائم ضد الشعب اليهودى، ومن واجبهم من ثم مساعدة اسرائيل للدفاع عن نفسها.

تلك سطور لعلها تأخرت عما كان ينبغى من ظهورها بيننا زمنيا وذلك من منطق ما كنا نعلن أن «أعرف عدوك» وإن لم نكن نعرف ما كان يجب أن نعرف وأن نستعد له كما استعد هو بالاتحاد والتنظيم والتخطيط فضلا عن حسبان الممكن وغير الممكن واستغلال العلاقات ولباقة السياسة.

كان «بن جوريون» وإن عددناه نحن من المجرمين - نبيا فى قومه مؤمنا بعقيدته التى عمل لها حياته فلتكن فى تلك الصحف عبرة لنا وخبرة لأبنائنا ومن يعقبنا من أجيالنا.

المراجع العربية

(١) اسرائيل الكبرى الدكتوراسعد رزق، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨.

(٢) إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى. الدكتور أسعد رزق.

(٣) إسرائيل ١٩٨٥؛ أحداث ومواقف. اعداد رضا سليمان.

(٤) إسرائيل والقارة الأفريقية، الأبعاد والحاضر الدكتور محمد عبدالعزيز ربيع.

(٥) إسرائيل ١٩٨٤.

(٦) الأخوان المسلمين والصلح مع إسرائيل. حسين كروم.

(٧) الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائق دكتور يونان لبيب رزق.

(٨) انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربى الإسرائيلى ـ مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(٩) اندماج الأحزاب العمالية الثلاثة، محمود عطا الله.

(١٠) التفسير الكبير للفخر الرازى ط (٣) (١١)تاريخ الرسل والملوك. امين جرير الطبرى، دار المعارف.

(١٢) التاريخ السرى لحرب إسرائيل. ميشيل بار زدهار.

(١٣) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط. اسماعيل فهمى.

(١٤) تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل. وزارة الخارجية المصرية.

(١٥) تاريخ فلسطين السياسى تحت الإدارة البريطانية المذكرة التى قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ترجمة فاضل حسين، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٦.

(١٦) حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل. م.ص. سيجال، ترجمة وتعليق دحسن ظاظا بيروت، ١٩٦٧.

(١٧) الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، حمدى فؤاد.

(١٨) حقيقة اسرائيل. اللواء الركن محمود مشيت خطاب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧.

(١٩)دلالة الحائرين. موسى ميمون- عارضة بأصوله العربية والعبرية حسين أتاى، جامعة أنقرة، ١٩٧٢.

(٢٠) دقت أجراس السلام، عبدالمنعم شميس.

(٢١) الدبلوماسية الصهيونية.الدكتور فايز صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت،١٩٦٧.

(٢٢) رواية بن جوريون للتاريخ. الدكتور سيد نوفل، إدارة الاستعلام والنشر جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٢.

(٢٣) السادات رجل الحرب... ورجل السلام، موسى بدوى.

(٢٤) السلام بين مصر وإسرائيل، مجدى حماد وأخرين.

(٢٥) السلام الصعب. فوميل لبيب.

(٢٦) السلام الضائع فى كامب ديفيد. محمد ابراهيم كامل.

(٢٧) السياسة الأميريكية تجاه الصراع العربى الاسرائيلى منذ حرب ٧٣ وحتى اتفاقية كامب دفيد. محمود محمد عبدالغفار.

(٢٨) سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية. نصار علمية.

(٢٩) الشرق الأدنى القديم؛ حـ ١ مصر والعراق عبد العزيز صالح، المطابع الأميرية القاهرة، ١٩٦٧.

(٣٠) عند مفترق الطريق - حرب أكتوبر ماذا حدث فيها وماذا حدث بعدها، محمد حسنين هيكل.

(٣١) العرب والتحالف الأمريكى الإسرائيلى مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية:

(٣٢) الفكر الإسرائيلى وحدود الدولة. معهد الدراسات والبحوث العربية.

(٣٣) لفكر الدينى الإسرائيلى .حسن ظاظا، القاهرة، ١٩٧٥.

(٣٤) الفن القصصى فى القرآن الكريم. محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٥١.

(٣٥) قاموس الكتاب المقدس - بطرس عبدالملك وآخرون. بيروت، ١٩٦٤.

(٣٦) القرن الكريم.

(٣٧) قرار الحرب فى السياسة الإسرائيلية. السيد عليوه.

(٣٨)قصص الأنبياء .ابن كثير. القاهرة.

(٣٩) قصص الأنبياء. أحمد الثعلبى النيسابورى القاهرة، ١٩٥٤.

(٤٠) قصص القرآن. عبدالوهاب النجار، مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٦٦.

(٤١) القصصى القرآنى. عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥.

(٤٢) قنطرة الشر إسرائيل؛ طريق الامبريالية إلى العالم الثالث. عباس محمود العقاد.

(٤٣)كامب ديفيد بعد ١٠ سنوات. وليام ـ ب كوانق.

(٤٤) الكتاب لمقدس (كتب العهد القديم والجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة.

(٤٥) الكتب التاريخية فى العهد القديم. مراد كامل، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٨.

(٤٦) المابابى الحزب الحاكم فى إسرائيل. ابراهيم العابد، منظمة الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦.

(٤٧) ماذا نأخذ بالمفاوضات. ناصف منير الريس.

(٤٨) مبادرة السلام: رحلة القرن العشرين توثيق وتحليل علمى. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٤٩)محاربون ومفاوضون. كمال حسن على.

(٥٠) المدخل إلى سياسة اسرائيل الخارجية. سيد نوفل.

(٥١) مصر وأمريكا ـ عرض تاريخى لتطور العلاقات المصرية الأمريكية. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٥٢) مصر والصراع العربى الاسرائيلى.

(٥٣) مصر والعرب واسرائيل فى الكتب المقدسة محمد أحمد محمود حسن.

(٥٤) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم. أبوالمحاسن عصفور ـ دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

(٥٥) معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص

باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفةالغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

(٥٦) معاهدة السلام العربية لإسرائيلية فى ضوء قواعد القانون الدولى مزودة بالوثائق والخرائط. ابراهيم محمد العنانى.

(٥٧) الملل والنحل. محمد بن عبدالكريم الشهر ستانى مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٧ .

(٥٨) المناظرة بين بطرس غالى وموش ديان، أمام الجمعية البرلمانية الأوروبية. اسامة الغزالى حرب.

(٥٩) المنظمة الصهيونية العالمية. اسعد عبدالرحمن منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧ .

(٦٠) مؤتمر كامب ديفيد.. رؤية علمية. عبدالعزيز سليمان فؤاد وأخرين.

(٦١) المواجهة المصرية الإسرائيلية فى البحر الأحمر. د. عبدالعظيم رمضان.

(٦٢) الموقف المصرى فى المفاوضات الخاصة. باقمة ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة. وزارة الخارجية المصرية.

(٦٣) الوجود الاسرائيلى والعربى فى أفريقيا.

محبات أمام الشرابى

(٦٤) وعليكم السلام. محمود عوض.

(٦٥) اليوميات الفلسطينية مجلد ٥,٤ من ٦٧/٧/١ الى ١٩٦٧/١٢/٣١.

(٦٦) اليوميات الفلسطينية مجلد ٦ من ٧/١/٦٧ إلى ١٩٦٧/١٢/٣١

المراجع الأجنبية

1- The Road to Camp David. U. S. Negotıation Strategy towards the Arab– Israeli Conflict. Thomas Parken.

2- The Secret Wars of The C.I.A . (1981-1987). Bop Woodward.

3 - The Commanders. Bop Woodward.

4- Present at the Creation, "My years in the State Department".Dean Acheson.

5 - Herzil. Amos Elon.

6 - Israel's Secret Wars. I an Blak& Benny Morr.

7 - Ben- Gurion of Israel. Barent Litrinoff.

8 - Zıonism and the Arabs, 1882-1948. (Astudy of Ideology).Yosef Gorny.

9 - Ben- Gurion. Robert St. John.

11- Ben- Gurion and the Palestinıan Arabs from Peace to War.Shabtal Tereth.

12- Ben- Gurion "Thể Burning Ground" 1986- 1948.Shabtal Tereth.

- Ben- Gurion (Apolitical Biograbhy).Maurice Edelman.

13 - The Israeli- Egyptian War of Attrition" 1969- 1970. Yaacove Bar, Siman to.

14- Suze The Twice- fough War (Ahistory).Kennet Love.

15 - Egypt and Israel. Howard M. Sachor.
16 - Israel: Year of Challenge.

17- Ben- Gurion looks back.
18- The Arab Brycott of Israel.

19 - The Economic of Peace Making. (Focus on the Egyptian). Chill, Dan. S.

20 - Israeli Pitnetion. The Promise of Peace Economic Cooperation Between.Arab, Ruth. W.

21 - Egypt- Israel. Bruton Henry, J.

22 - Double Vision Conflict. Chafete, Ze'ew.

23 - Decisions in Israeles Forign Policy. Aronse, Shloms.

24 - Destination Peace, Three decades of Israel Foriegn Policy. Brecher, Michael.

25 - Israel's Global role. Rafael, Gideon.

26 - Israeli Egyptian War of Attrition. Shahak, Israel.

27 - Negotiating for Peace ın the M. E. Bar- Simon-ton Yaacov.

28 - Egypt- Israeil.Fahmy Ismail.

29- The United States and Israel. Sacher, Morley.

30 - The Palestınian proplem and U. S. Policy. Reich, Bernard.

31 - Egypt and the U.S. Kuniholm, Bruce Robelle.

32- Politıcial Ideologesof israelis, Memeograph 1965. Meyer; Gail E.

33 - Ideogical Change in Israil Micihigan State University. Any-onovsky, aoron.

34 - The Government of the State of Israeil, Twayne Pulishers INC, New Yourk 1963. Arayan; Alan.

35 - Rebirth and Destiny, N; Y 1954. Ben- Gurion, David.

36 - Ben- Gurion Looks back (talks withe Moshe Pearlman) New York 1956. Simon and Shuster.

37- Bar Zohar, Michael .The Armed Prophet: A Biograbhy of Ben-Gurion Arthur Barmer Limited, London 1966.

38- Badi Joseph. The Covemment of Israel Twayne Publishers Inc. New York 1963.

39- Begin, Menochem. The Revolt: Story of the Irgun Henry Schuman, New York 1951.

40- Ben Gurion, David, Israel: years of challenge, anthony Blond, London 1964.

41- Ben Curion, David. Rebirth and Destiny of Israel Philosophical libary, New York, 1954.

42- Bernestien, Marver, H the Politics of Israel Princeton New Jersey, 1957.

43- Comay, Joan Ben Gurion and the Birth of Israeal Random House, New York 1967.

44- Gooke, Hedley V. Israeal: Ableing and a curse stevenes and sons, Limited London; 1960.

45- Dayan, Moshe. Diary of the Siniai Cammpaing English Translation by George Weidenfield and Nicolson Ltd London, 1966.

46- Dunner, Joseph, The Republic of Israel. Whititlesey Housse, New York, 1950.

47- Edelman Maurice. David the Story of Ben Gurion G.P. Putnam's Sons, New York 1965.

48- Goldsmith, S. Twenty 20th century jews. Shengold publishers, inc, New York 1962.

49- Grandos, Jorge Garcia The Birth of Israel: the Drama as I saw it Alfred A Knopf, New York, 1948.

50- Horowitz, David. State in the Making. Alfred Knopf, New York 1953.

51- Hurewitz, J. C. The Struggle for palestine, W. Norton and Co Inc New York 1950.

52- Learsi, Rufus. Fulfilment: The Epic Story of Zie.

53- Desmond Donnlly, Struggle for the World-the Cold War: 1917-1963 New York: St. Martin's.

54- Foreign Relations of the United States,, 1941 (Washington, D.C.U.S. Government Printing office) Vol. III, p. 20 I.

55- Foreign Relatiions of the United States, 1942 (Washington, D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. I' p, 530.

56- Foreign Relations of the United States: 1941 Cited (ch.2) vol IV, pp 841. 42.

57- Longer and Gleason, the Underdard war, 1940-1941, Cited (ch. 3) pp; 909-10.

58- Foreign Relations of the United State, 1943 (Washington, D.C. U.S. Government Printing Office) Vol, II, P. 866.

59- Foreign Relations of the United State 1944. (Washington; D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. IV.

60- Harley A. Notter; Postwar Foreign Policy U.S. Government Printing Office, 1949.

61- Sherman Kent; Strategic Intelligence (princetion University Press 1949) p, VIII.

62- Ransom. Central; Intlligence and National Security Cited, pp; 52. 53.

63- Truman, Years of tria land Hope Cited (Ch. 16) pp. 132-33.

64- Current Development in United States Foreign Policy (Washington, D.C. Brookings Instituion), Vol II No 4 November 1949 pp. 4,5.

65- Sill Samuel p. Huntington' the Common Defense (New York; Columbia University Press; 1961) pp. 50. 51.

66- Michael Howard and Robert Hunter, Israel and the Arab World' the Crisis of 1967 (London : Institue of strategie Studies, 1967)p. I.

67- Richard P. Stebbins, the United States in World Affairs 1951 (New York: Harppers Brother, 1952)p. 273.

68- Records of Conversations, Notes and papers Exchanged Between the Royal Egyptian Government and the United Kingdom Government, March 1950 Novemlber 1951 (Cairo Egyptian Ministry of foreign affairs, 1951) p. 155.

69- Department of State Bulletin, vol. XX v, October.

70- Andre' Chouragui- l'Eltat D' Israel- p. 93.

71- Ceorge Livet- les Cuerres de Religion 2a, edicao Paris, 1966.

72- Ceorges Contenau- les Civilisations Anciennes du Proche Orient" Paris, 1948.

73- Abbe' Jules Claras - "La Faillite des Religions" Harblay-(France)- pg. 200.

74- Cecile Morrision - les Croisades" _Paris 1969- pg 107.

75- Andre' chouragui- "Histories du Judaisme" 4a. edicao Paris, 1968- pg. 24.

76- Ldem- L'Etat d'Israel" 5a. ed-Paris, 1967- Pg 25.

77- Ander Chouragui- "L'Etat d'Israel" 5a.ed. Pgs 16 e 17.

78- Idem, idem, pg. 19.

79- Idem, idem, pg 24.

80- Idem, idem, pg 26.

81- Idem, idem, pg 29.

82- Idem, idem, pg 30.

Bibliography:

1- David Sling, Shimon Peres, Intervews, London, 1972.

2- Aaron S. Klieman, Israel and the World after 40 Years pergman-Bras sey's international Defense publishers, New York 1990.

3- Eliahu, The objectives of Israel's Foreign Police, Anglo-Israel sociation, 1957.

4- Herzi Diaries, Vol. I.

5- Dr. Fayez Sayegh, The Zıoist Diplomacy, Research, Center, P.L.O. Beirut, 1969.

6- Moshe Peariman, Ben,- Gurion looks Back, New York, 1959.

7- Walter Eyton; The First ten years, Adiplomatic History, London. 1952.

8- ALex Bein, abiography of the Theoder Herzl, London, 1057.

9- J.L. Talmon, Israel among the Nations, London, 1970.

10- Ben Gurion Rebirth and Destingy of Israel, New York.

11- Michel Brecher, The Foreign Policy System of Israel Oxford University press, 1972.

12- David Ben - Gurion, Israel among the Nations, The Government of Israel, Year Book, 1952.

13- Reuven Shiluah, Ressearch center. The Middle East Record, 1960.

14- Henry. Kessingar, Domestic and Foreign Policy, Internationol politics and Forign policy, 1969.

15- Chaim Weizmann, Triad and Error, an autobiography, Shochon Books, New York, 1969.

16- Holt Rine Heart and Winston, Ben - Gurion, Israel, Years of Challenge.

17- Robert loewenberg and Micheal Widlianasky, can Israel Survive a Paleastinıan State? Hebrew University, Jeruasalem, May 1990.

18- Abba Eban, The New Diploamacy, International Affairs in the Modern age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1983.

19- Simaon D. Messing The Story of flasha, Priniting offset Company Borrklyn, New York, 1982.

20- The integration of the United States Jewy and Israel Durham University Miacrofilms.

21- The Stistical Abstracts of Israel, Vol 39, 1989.

22- Zeev Schiff and Ehud Yaari, ISrael's War in lebanon Edited and transalted by ina Friedmon, Simon and Schuster, New York 1984.

Periodicals:

1- Soviet Jewish Affaris, Vol, 17 No 3. 1987.

2- The New Times, May, 15, 1990.

3- The Jewish Observer, August 25. 1987.

4- The New Outlook, August/ September, 1985.

5- The Jerusalem Quartly, No. 37. Ideolooy and Israeli Foreign Policy.

6- American Arab Affairs,. Spring, 1989.

7- The Jerusalem Quarterty No. II. 1989.

8- The Jewish Observer. March/ 15 1964.

9- Antonovsky, Aaron, Political Ideologies of Israelis, Memeograph, 1965.

10- Aryan, Alan, ideological change in Israel, Michaigan State University, 1965.

11- Badi, Joseph, The Government of the State of Israel, Twayane Publishers Inc, New York, 1963?

12- Ben - Gurion, David, Rebirth and Desting, N.Y. 1954.

13- Ben - Gurion Looks Back (In talks with Moshe Pearlman) Simon and Shuster, New York, 1956.

14- Bernstein, Marver, H., The Politics of Israel, Princeton, Princeton University Press, 1957.

15- Cooke, Hedley Vicars, Israel, a Blessing and a Curse, London, Stevens, 1960.

16- Gordon, A. D., Selected Essays, Trans, By Frances Burnce (N. Y. League for Labor Palestine, 1938).

17- Government of Israel, Corernment Yearbook, 1953- 1954.

18- Government of Israel, Statisical Abstact, 1964.

19- Hadwin; Arnold, politics in Israel, London, Anglo - American Association, 1960.

20- Kerem Moshe, The Kibbutz, Published by "Israel Digest Jerusalem, October, 1963.

21- Kraines, Oscar, Gorernment and Politics in Israel, Boston, Houghton Mifflin, 1961.

22- Lillienthal, A. What Price Israel, Hennry Regnery Commpany; Chicage, 1953.

23- New Outlook, Tel-aviv, Vol. 6, No 4 and 7' Vol. 7, No 4.

24- Peretz, Don, The Middle East Today, Holt, Rinehdhrt Awinston Inc? N. Y. 1963.

25- Seligman, Lester, G. Leadershib in a New Nation, Athzrton Press, New York, 1964.

26- Who's Who (Israel)

27- Zweig, Ferdynand, The Israel Worker, Sharon Books New York, 1959.

28- Dead- Line Date of World Affairs, New York 1948-1966.

29- Keesings Contemporary Archires, London, 1948- 1966.

30- Israel Government Year Book 1952.

31- American Jewish Year book 1966 American Jewish committee New York.

32- The Jewish Encyclopedia Vol. VI.

33- The Standerd Jewish Encyclopedia.

محتويات الجزء الثاني من كتاب المفهوم السياسى والاجتماعي لليهود عبر التاريخ.

القسم الثالث

القسم الرابع

القسم الخامس

القسم السادس

القسم السابع

القسم الثامن

القسم التاسع

القسم العاشر

القسم الحادى عشر

حرب عام ١٩٦٧م

القسم الثانى عشر

القسم الثالث عشر

القسم الرابع عشر

القسم الخامس عشر

القسم السادس عشر

القسم السابع عشر

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٩٥٩٧

I.S.B.N 977-01-4570-X



السفير الدكتور/ حسين شريف

* حاصل على ليسانس فى القانون - ودكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة السربون بباريس.
* إلتحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٤٢ وعمل بالاتحاد السوفيتى وفرنسا وإيطاليا والحبشة والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورومانيا، ثم مديراً لإدارة أمريكا الشمالية وكندا بوزارة الخارجية، ثم سفيراً لمصر فى البرازيل. وهو عضو الآن فى المجالس القومية المتخصصة. وعضو جمعية العلوم السياسية.
* مثل مصر فى العديد من المؤتمرات الدولية بالخارج.

له مؤلفات منها:

* وحدة وادى النيل باللغة الفرنسية.
* مفهوم السياسة الأمريكية من خلال مؤلفات هنرى كيسنجر.
* النواحى الاقتصادية والسياسية الأمريكية تجاه العالم.
* التحدى اليابانى فى التسعينات.
* السياسة الخارجية الأمريكية - اتجاهاتها وتطبيقاتها من الحرب العالمية الثانية إلى عام ١٩٩٤ (جزءان)
* المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ - من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ق م - ١٩٩٥م (أربعة أجزاء)
* له مقالات عديدة فى السياسة الدولية.
* حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من مصر.
  ووسام أوفسيه من الدرجة الأولى من فرنسا.
  ووسام الرافدين من العراق.
  ووسام وكزوبرودى سول من البرازيل.

٧٥ ٢٣ فرنسا